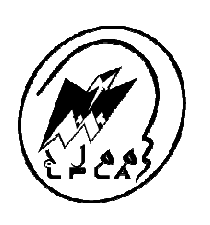
جامعة مولود معمري تيزي وزو

كلية الآداب واللغات



مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

الأمم الحيّة أمم قويّة بلغاتها

منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

2012

الإيداع القانوني:6 - 00 - 381- 9931- 978

الردمك: 628 - 2011

الفهرس

المقدمة	5
الأمم الحيّة أمم قويّة بلغاتهاـ نماذج تجارب ناجحة ـ **أ د صالـح بلعيـد**	7
التّلازم بين اللّغة والتّقدم العلمي **الطالبة: نضيرة قاسمي**	47
سياسة فرنسا في نشر لغتها **أ / عبد الغاني تواتي**	79
تجربة الإنـگليز في تعميم اللغة الإنـگليزية **خليل حميش**	115
تجربة المجتمع الإسرائيليّ في إحياء اللّغة العبريّة (עברית) **أ. طارق بومود**	149
التجربة اليابانية في إحياءِ لُغتِها **بلقاسم منصوري**	189
التّخطيط للّغة العربيّة في ظلّ الواقع اللّغويّ في الجزائر **محمّد حرّاث**	225



التقديم

أقدم للقارئ العربي هذا العمل الجماعي الذي أنجزته فرقة بحث من طلاب الدراسات العليا دفعة ماجستير 2010 ـ 2011م. تخصّص علوم اللغة.

هو عمل أكاديمي جرى تحت إشرافي، وتمّ فيه توزيع القضايا ذات العلاقة بموضوع: **الأمم الحيّة قوّية بلغاتها**. وتوالى فيه العمل على مدار السنة الجامعية، بكلّ جهد وتفان، حتى رأيت استواءه بنوع من الاطمئنان، ولذلك وافقت على تنضيد المادة العلمية لتكون مجمّعة في عمل جماعي واحد.

إنّ هذا العمل يأتي تعضيداً لأعمال سابقة، وهو عرف قطعته على نفسي بأنّ كل دفعة ماجستير عليها أن تترك بصماتها في عمل جماعي؛ يعالج قضية في اختصاص الدفعة. ومن هنا فإنّ هذه الدفعة سارت على المنوال، وقد انتقيت لهم هذا العنوان الذي يأتي في وقت تستصرخ فيه العربية حماتها، وتنادي هل من مغيث؟

يستهدف هذا العمل الجماعي وخز الضمير العربي بأنّ الأمّة العربية لا تكون حيّة إذا أهملت الاهتمام بلغتها، وبخاصة أنها العربية التي شرّفها الله بكلمه، ولا يكون لها المقام والمكان والكلمة إذا لم تول العربية ما تستحقه من عناية واستعمال وتطوير وإقامة مؤسّسات، وإنتاج في مجال المصطلح العلمي. وبات حرياً بنا بأن ضربنا أمثلة من تجارب ناجحة لشعوب كانت لغتها عدماً ولكن عندما وقع الاهتمام بها ارتقت وترقت لغاتها، وعضدناه بأمثلة من تلك الشعوب القوّية وكيف اهتمّت بلغاتها، وماذا أنفقت في سبيلها، ولم يُغلها المال والإنفاق في سبيل أن تنال لغتها الانتشار.

هو عمل نقصد به استنهاض الهمم بغية تقديم الجهد الكبير المفضي إلى تقديم البديل النوعي للغة العربية التي تنتظر منّا الدفع بها قدماً في البحث والإنتاج، ونرجو ممّن يهمّه الأمر أن يقول كلمته في هذا العمل الذي ننتظر منه المنال في ما كنّا به ننال.

المشرف: أ د صالح بلعيد

الأمم الحيّة أمم قويّة بلغاتها

ـ نماذج تجارب ناجحة ـ

أ. د. صالــح بلعيــد

جامعة تيزي وزو

ـ مقدّمة: هذا بيان بالعربية ومن أجل العربية؛ بيان أزعم أنّه صادق، وأروم من أولي الأمر والعزم إعمال العقل والنظر في المسألة اللغوية بجدّ لأنّها أمنُنا اللغوي، والأمنُ اللغوي لا يقلّ شأناً عن أمننا المائي والغذائي والعسكري. وكما يقال: إنّه إذا أمّنتَ لسانك أمّنتَ حياضك ومحيطك، وإذا كان لسانُك أعجمياً فإنّ دارَك يدخلها الأجانب بحكم القوّة والقانون؛ باعتبار لسانهم يُتداول في محيطك، ومن حقّهم أن يرتادوا دارك وأن يحصل لهم حقّ فرض بعض المعطيات.

ويجب التفريق من البداية بين تعلُّم اللغة الأجنبية، وهو ضروري ومهم وبين التعليم باللغة الأجنبية، وهو شيء مرفوض لدى الأمم الراقية، وهذا ما لا تبديه ولا تضعه السياسات اللغوية في خططها في كلّ أقطار العالم، كما يجب أن نتوقّف ونتمعّن الآثار السلبية لموجة التغريب الكاسحة في لكلّ المجالات ومنها المجال اللغوي، بل والداعية إلى رهن اللغات المحلية على أنّها من سقط المتاع، وهنا نقطة الخطورة التي يجب أن نتفطّن إليها ونخطّط لنيل المقام الأعلى للغة الوطنية.

وإنّ مسألة اللغة العربية تحتاج إلى توعية المواطن بأهمية لسانه، وما يقدّمه اللسان العربي من سيادة إضافة إلى أنّ التنمية في كلّ بلاد العالم لم تحصل باللسان الأجنبي بتاتاً. فيجب أن ننقل إلى المواطن العربي الحقيقة المرّة بأنّ العرب نكرات بين الأمم، أمّة العرب تقرّ في دستورها على رسمية العربية وتعمل باللغات الأجنبية، أمّة العرب لا تقرن القول بالفعل، أمّة العرب أكرمها الله بلغة كلام العرب فتنكّرت للغة تحمل كلام الله. وكان علينا –نحن المثقفين- الوعي

والتوعية بأنّ اللغاتِ الأجنبيةَ ثوب مستعار سيعود يوماً إلى صاحبه، ولا تعطي اللغات الأجنبية من العلوم إلاّ القشور، أو ما عفا له الزمان ولم يصبح من العلوم المطلوبة.

وسمت مداخلتي بـ (**الأمم الحيّة أمم قوّية بلغاتها - نماذج تجارب ناجحة-**) حيث وقع التركيز على التجارب الناجحة لأمم متقدّمة، وكان على رأسهما: **فرنسا وإنجلترا وألمانيا،** ولتكون لنا عبرة في ضرورة الاهتمام بلغتنا كما لم أغفل التجارب الناجحة لأمم كانت متخلّفة، ولكن اهتمامها بلغتها والعمل على الأخذ بأسباب الترقية اللغوية جعلها تحقّق نمواً مرتفعاً في الدخل والإنتاجية، متّخذة اللغة الوطنية قاطرة للتنمية البشرية؛ لأنّها السبيل الوحيد لتحقيق اقتصاد المعرفة، وعمود اقتصاد المعرفة هو امتلاك الثورة التكنولوجية ولذا لم تتوانَ - تلك الأمم- في الفصل السريع في استعمال اللغة الوطنية لغة رسمية ولغة التعامل في كلّ المحال والمجال، وفي كلّ المؤسّسات والتخصّصات ولم تتكّل على امتلاك الأموال التي توفّرت لبعضها؛ حيث رأت أنّ ذلك لا يؤدّي بالضرورة إلى مجتمع المعرفة؛ لأنّ تقدّم الشعوب يقاس بما يملكه أفراد الأمّة من معرفة ومهارات، وما يتمتّعون به من صحة، **وما يستعملون من اللغة الأمّ**. وإنّ مجتمع المعرفة هو القادر على تحقيق التنمية البشرية بإيجاد معرفة جديدة وتعميمها ووضعها في خدمة التنمية البشرية، وكلّ ذلك لا يكون إلاّ باللغة الوطنية والاعتزاز بها، وتعليم العلوم بها.

وفي هذا الموضوع حاولت كذلك تلمّس بعض السبل - النماذج- التي تنهض باللغة العربية والتي تجعلها مواكبة لمتطلّبات العصر، وجعلتها **عبراً** لنا بعدما وقفت على الكثير من الجهود المبذولة لخدمة اللغات الوطنية، ووقفت كذلك على الجهود الإصلاحية في مجال تعميم اللغات الوطنية والتي بذلتها الشعوب الحيّة لخدمة لغاتها، وصولاً إلى دراسة الفاعلية الفردية والانطلاق منها لدراسة الفاعلية الاجتماعية، وأردت أن يكون ذلك **عبراً** لنا على مستوى مسؤولينا وشعبنا ونخبنا باتّخاذ العبرة في كلّ ذلك، وبضرورة الوعي بأهمية

اللغة الوطنية (العربية) "باعتبار أنّ تحليل الفاعلية هو عملية يفترض أن تكون دائبة ومثابرة تقوم بالكشف عن ديناميات بنيات الوعي وتسجيل آليات تفاعلها فيما بينها، وكذلك إمكانات استجابتها لمتطلّبات التطوّر الاجتماعي. هذا إذا شئنا حقاً الاهتمام بمحرّضات التقدّم والتخلّف، وإذا شئنا تفهّم العوامل المؤدّية إلى النصر أو الهزيمة [1]". وهذه الأمور تعدّ –في نظري– من فاعليات النشاط الفردي والاجتماعي بغية التطوير.

ويجب أن نقرّ في البداية بأنّ التعليم في دولنا العربية فاشل في تكوين مجتمع المعرفة؛ بسبب لغة التعليم في جميع التخصّصات، والبحوث العلمية لم تكن باللغة العربية، وإنّه ما تقدّمت دولة بلغة غيرها، ولذا كان من أحد أسباب تدنّي المستوى في بلادنا هو استخدام اللغات الأجنبية استخداماً أساساً بدل العربية، وبخاصة في المواد العلمية، وكم ندفع من باهظ الثمن ونخسر، ونحن نستعمل اللغات الأجنبية بدل العمل على تعميم استعمال العربية التي توحّد العرب جميعاً، وهي ماضينا وحضارتنا وحاضرنا، ومقوّم من مقوّمات هويتنا إلى جانب الدين الإسلامي. فهل استقوَتْ علينا اللغاتُ، وركبنا موجةَ جلد الذات، والنظر إلى لغة القرآن بخلفية تحقيرية، وَوَسْمِها بلغة التخلّف والخذلان.

ويجب العلم بأنّ العرب بدؤوا الحديث عن حركة التعريب منذ ستينيات القرن الماضي؛ حيث "اجتمع ممثلو الدول العربية في بنغازي في مايو 1961 في حلقة لدراسة مشكلات التعليم الجامعي، وصدرت عن هذا الاجتماع توجيهات وتوصيات، لعلّ أهمَّها أنّ تدريس العلوم باللغة العربية ضرورة علمية وقومية باعتبار أنّ الفكر الأصيل لا يخلق في الأمّة إلاّ إذا كانت تتعلّم بلغتها وتكتب بها أيضاً، وأكّد المجتمعون بالإجماع على ضرورة تعريب التعليم الجامعي والعالي، وطلبت الحلقة العربية الإسراع في تعريب التعليم في كلياتها المختلفة وجاء في التوصية الخامسة لهذه الحلقة ما يلي: **العمل على توفير المراجع باللغة العربية، وكذلك الدوريات العلمية، وإصدار المجلات الخاصة لنشر مختصرات**

عربية لكلّ البحوث الأجنبية [2]". ولكن ذلك كان حبراً على ورق، ورغم ما أُعطي لموضوع التعريب من أهمية منذ أكثر من نصف قرن، لم نصل إلى حلّ ينهي المشكل اللغوي. وباتت الضرورة تفرض علينا الآن تغيير أسلوب عمل واعتماد خطّة مشتركة بين مؤسّسات الدول والمنظّمات الجماهيرية التي تقترح وتساعد على التطبيق. فما هي الحلول المجدية بعدما سُدّت الأبواب في وجه اللغة العربية في وقتنا المعاصر، أو في عصر العولمة الذي لا يقبل إلاّ اللغات المنتجة للعلم الملموس، والعربية الآن لغة لا تنتج هذا العلم حالياً، فهل نتركها تنهش فيها الأنياب؟ فما هي الحلول الإجرائية لاحتواء المسألة اللغوية في الوطن العربي الذي يتراجع عن لغته، فالمغرب العربي تنخر فيه الفرنسية نخراً، والمشرق تعشعش الإنجليزية في تدريس العلوم ودول الخليج تنتحر فيها العربية كلّ يوم؟ فأين الخلل وأين الحلّ؟

أؤكّد ذات المرارة بأنّه مضى نصف قرن، ونحن نشهد انحداراً شاقولياً في المسألة اللغوية، فأين يكمن الخلل؟ تردّيات وتراجعات على المستوى الاقتصادي، وتضييق على الحريات الفردية والعامة، وإخفاق في الجانب العسكري واللغوي والأمني، ولم يبحث الجانب اللغوي على أنّه من الكماليات فالحياة عندنا بلا معنى، أكلٌ فنكاحٌ فنومٌ فتفريغٌ، وكلّ هذا يساوي مستقبلاً غامضاً، ويبدو لي أنّ كلّ هذا سببه نقص التربية والتعليم، ونقص الاهتمام بالبشر كأفراد يعون مستقبلهم في ماضيهم وحاضرهم، اقتصادياتنا في أزمة مستمرّة لا بل هي في الاتّجاه الأسوأ، شعوبنا بدلاً من الانفتاح الفكري من أجل التغيير نراها تهتمّ بالانغلاق على نفسها وتستمرّ في رفض الآخر معارفنا مكتنزة ربّما بالمعارف الدينية والمعارف القديمة، ولكنّها فارغة في معارفنا الشاملة، في معارف التغيير ومعارف المستقبليات...

لا أنكر أنّ مجموعة من الباحثين العرب سعوا إلى تكوين وعي لغوي عن طريق مؤلّفاتهم ونشر أبحاثهم في الجرائد والمجلات وإصدار الروايات التاريخية

وبعض المسرحيات، وسعى هؤلاء الباحثون إلى الكشف عن الروابط القومية بين اللغة العربية والتاريخ والتراث الشعبي من جهة، وبين القومية والاستقلال والوحدة العربية من جهة أخرى، وتنادوا إلى ضرورة استثمار تقنيات الاتّصال المعاصرة في إنتاج المعرفة وإدارتها ونشرها والتحكّم فيها، والثورة على الجمود وعلى الموجود وعلى كلّ ثابت يرفض التطوير، كما دعوا إلى العناية بالتراث الشعبي الذي يميّزنا عن غيرنا، وضرورة دراسة اللهجات بغرض استخلاص مواطن انحرافها أو تحوّلها عن الفصحى والعمل على إعادتها إلى مكانها، ودعوا بقوّة إلى استيفاء التمويل اللازم بغية تحقيق عدالة الفرص التعليمية وتطوير كفاءة الهيئة التدريسية، وتنمية البحث العلمي... ولكن كلّ هذا لم يشفع لنا في التردّي المتواصل، وكان علينا مواجهة الحقائق بمنتهى الواقعية، ثمّ تحديد الأسباب والسعي إلى أولوية الخلق والإبداع، وهما الدعامتان لتثبيت العقل المتفتّح الواعي وكان علينا في كلّ هذا أن نهتمّ بلغتنا العربية التي هي باب حلول كلّ مشاكلنا، بل هي باب الخلق والإحساس بالمواطنة والهوية، وأقصد هنا الهُوية الثقافية والتي هي دينامية "وهي تتطوّر وتتغيّر بتطوّر وتغيّر حياة المجتمع؛ بحيث يحافظ المجتمع على خصوصياته التي تكون دائماً مبعثاً للفخر والاعتزاز بالانتماء"[3].

1 ـ العبرة من النماذج الناجحة: قبل الدخول في دراسة التجارب الناجحة كان علينا الاتّعاظ بأنّ كلّ اللغات التي عرفت قفزة نوعية وراءها علماء ومخطّطون ورجال سياسة يصنعون القرار، وأكثر التجارب وراءها دولة وقانون ومسؤولون يسهرون على تطبيق القانون، إضافة إلى السند المجتمعي وهو المجتمع المدني الذي كان يسهم بأفكاره العاملة على التغيير؛ وهو مجتمع ينتج الأفكار، مجتمع يهمّه الشأن العام ووراء هذا المجتمع أجهزة الدولة التي تعمل على تجسيد ما يبدعه العلماء وما يخطّطه السياسيون. وإنّ بعض التجارب اتّعظت من الهزائم التي لحقتها، وعملت على تجاوز المحن والإصرار على التطوّر وبعض

الأمم جرّبت استعمال اللغات الأجنبية ولم تجنِ من ورائها إلاّ الأشواك؛ فغيّرت الاتّجاه إلى اللغة الوطنية التي هي العمود الصحيح الذي لا يتزحزح. و**العبرة** التي يمكن استخلاصها نحن العرب هي ضرورة الاهتمام بلغتنا العربية، إضافة إلى لزوم التغيير الجذري في طريقة النظر إلى التطوّر اللغوي، والتقعيد لهذا التطوّر وضرورة إعادة تقديم اللغة العربية لمتعلّميها وفقاً لتصوّرات جديدة لتقريب اللغة إلى عقول متعلّميها وإلى قلوبهم. وفي هذا الوقت نحتاج إلى حوار ساخن وعلمي حول القضايا اللغوية خارج اللغة الوطنية، تكون أطرافه من المهتمين بقضايا التراث، وعلوم الدين، ومن النّحاة، ورجال الاختصاص ورجال الصحافة والمجتمع المدني. كما أنّنا الآن في حاجة إلى جهد قومي منظّم في المنهجية والإعداد والتنفيذ؛ حيث ينظر إلى العربية في جانبها التعليمي، فتُتعلّم اللغة لذاتها وفي ذاتها، وننقل العربية من صراع وجود إلى صراع فرض، والتحليق بها للبعيد بفكّ الشفرات ودخول عالم البرمجيات والصناعات بمختلف تخصّصاتها. وعلى العموم فإنّ **العِبَر** من وراء هذا أنّ النجاح اللغوي لدى الأمم الحيّة والراقية كان بفضل:

1/1. المناهج الحديثة، وبالإرادة التي لا تتواني، وبالرجال المؤمنين وبالأفكار النيّرة وبالحكومات الصادقة، وبالمخططين الواعدين، وبالاقتصاد القوّي؛

2/1. تحصين الهُوية اللغوية عن طريق التحسيس والتجنيد، مع تعاضد مختلف أجهزة الدولة في هذه العملية لما للدولة من سلطة وقوانين ردع؛

3/1. الحزم والتغريم؛ حيث صدق العزم والحسم –في دولة عربية- في إلزام السائقين استعمال حزام الأمن في ظرف قياسي، ورأينا كيف احترم السائقون السرعة لوجود أجهزة الرادار، وكيف مُنع الباعة من استعمال الكيس البلاستيكي الأسود في زمن قياسي، وكيف استطاعت الدولة تجنيد 10000 شاب لمناصرة الفريق الوطني خارج بلده؛

4/1. النجاح الذي لَقِيَه التعريب في سنوات المدّ القومي، نال بعض المساحات التي تربّعت عليها اللغة العربية الآن، ولقد حصل في ذلك الوقت تكامل بين القولُ والفعلُ، فحصل النجاحُ؛

5/1. تجارب ناجحة في كلّ من سورية والسودان، وفي بعض الجامعات في ليبيا واليمن، وفي بعض المدارس العليا في الجزائر، كان النصيب المتداول الآن والذي نفتخر به في بعض المحال والمقامات.

وهذه النجاحات تمثّل بعضها في التركيز على الهُوية اللغوية التي لا تخرج عن العِرْق واللغة؛ فالفرنسيون يركّزون على أنّ الهوية تتمثّل في الإرادة والغاية فلغتهم صانها الحماس، وحمتها القوانين وهناك بعض النجاحات اللغوية حصلت في لغات الأمم، فارتقت دون قرار سياسي مثل الإنجليزية والألمانية، ونجاحات أخرى سيّرها القرار السياسي، ونجاحات حدث فيها القرار السياسي لكنّها مُنيت بالفشل.

2 ـ تجارب الأمم الناجحة في ترقية استعمال لغاتها في التنمية: إنّ الغرض من الوقوف عند هذه التجارب هو الوقوف عند النقاط التالية:

ـ لا تنمية اقتصادية دون تنمية بشرية؛

ـ لا تنمية بشرية دون الاهتمام بالحريات الفردية؛

ـ لا اهتمام بالحريات الفردية دون الاهتمام بالبحث العلمي؛

ـ لا اهتمام بالبحث العلمي دون الإغداق المادي؛

ـ لا تقدّم دون استعمال اللغة الوطنية.

ـ النتيجة: لا تقدّم نوعا دون ترقية اللغة الوطنية. لا تقدّم للعرب دون استعمال اللغة العربية.

كان عليّ أن أتحدث عن بعض التجارب اللغوية الناجحة؛ لاستكناه مواطن القوّة فيها، بغية فهم واقع الأمور في المسألة اللغوية وكيف حصلت النجاحات عند هذه الأمم، وما هو السرّ الذي جعلها تنجح في تعميم استعمال

لغاتها، وكيف ارتقت بلغاتها، ولم ترتق بلغة غيرها. فإليكم بعضاً من تلك التجارب الناجحة:

3 ـ نماذج ناجحة لدول قويّة: أحببت أن أقف في البداية عند تجربة ثلاث دول متقدّمة قوّية وهي نماذج جيّدة في الاهتمام باللغة الوطنية:

➤ **نموذج اللغة الفرنسية:** إنّ النموذج الفرنسي/ التجربة الفرنسية هي تجربة المجتمع الفرنسي والحكومات الفرنسية المتتالية، بدءاً من ملوك القرن الخامس عشر الذين كانوا يميلون إلى فرض لغة الملوك التي يرون فيها أنّها لغة موحِّدة للشعب الفرنسي، والتي أصبحت فيما بعد لغة النّخبة التي ارتقت إلى لغة جزيرة فرنسا وفرضت بالقوة على فرنسا كاملة بشكل تدريجي "... ولكن ما يحّد فرنسا اليوم هو اللغة، ولذلك يقولون إنّ الفرنسية هي إسمنت أو وطن الفرنسي؛ لأنّ هناك أجناساً مختلفة، وهذه الأجناس لم تكن إلى عهد قريب تتكلّم الفرنسية، ولم تكن هناك وحدة في فرنسا. والذي بادر إلى الانتباه إلى هذه الظاهرة هم ملوك فرنسا أنفسهم ابتداءً من القرن الخامس عشر. وبشكل تدريجي، فرضوا اللغة الفرنسية إذ بدأت أولاً كلغة للمَلِك، وانتقلت إلى النخبة ثمّ بعد ذلك إلى المحيطين بها. فنشر وتعميم اللغة في فرنسا جاء على حقب طويلة وبمبادرات قوية من السلطة وبقرارات ومأسسة لغوية؛ حيث أنشأت الأكاديمية الفرنسية في 1635م، وقبلها كانت هناك أكاديمية أخرى لها اسم مشابه أنشأها أحد الملوك الفرنسيين من أجل أن يتعلّموا اللغة التي لم تكن لغة الشعب أو اللغة المتداولة، وإنّما هي لغة وضعها المثقفون في الأكاديمية، ثمّ نقلت عبر المدارس بتعميم المدرسة التي لم يبدأ إلا مع جيل فيري Jules Ferry في أواخر القرن التاسع عشر"[4]. ومن هذه اللغة حدث أن تشبّع الفكر الفرنسي باللغة الفرنسية المفروضة والتي ينظر إليها على أنّها عظمته وقوّته، فعمل ذلك الفكر على أن تكون الفرنسية فوق كلّ اعتبار، ولها كلّ التقدير والعظمة، فأخرجت الثورة الفرنسية الرجال اليعاقبة Jacobites الذين ثاروا وأرادوا التغيير، ووصلوا

إلى سدّة الحكم، وبالفعل عملوا على التغيير، كما كرّسوا في مجال اللغة الفرنسية الجامعة مبدأ: **لغتي هي حياتي**. وأريد الوقوف عند اليعاقبة الفرنسيين الذين حملوا فكر التنوير للغة الفرنسية، وكان منطلقهم الثوري في الميدان الثقافي إنشاء نظام عام للتعليم بالفرنسية لا غير، ومبدؤهم المعروف حمل اللاءات الثلاث: **لا للهجات ـ لا للغات المحلية ـ لا للهجين اللغوي**. ولقد وقف اليعاقبة في تجسيد شعارهم: **الحرية والإخاء والعدالة**، على السعي لتخليص اللغة الفرنسية من اللهجات التي لم يستطع الإقطاع فرض لغة آحاد يلتقي عليها كلّ الفرنسيين. وهذا العمل هو الذي أدّى بالفرنسيين إلى الاعتزاز بالصفاء المنشود في لغتهم، ولا يرضون بأيّ خدش في لغتهم ولا في الحديث عمّا يشين لغتهم، بَلْهَ الحديث عن دور المؤسّسات التربوية التي تعمل جاهدة على الصفاء اللغوي الذي يطبع اللغة الفرنسية بدءاً من المدرسة إلى الجامعة مروراً بالشارع، وبما يحيط الفرنسي من هويات، **فكلّ خطأ يعتبر عندهم تعدية على الهُوية الفرنسية**. وهذا العمل يعتبر عندهم بمثابة التّحدي الفرنسي المجمع عليه بالسعي إلى تكون الفرنسية هي الوطن مثلما قال ألبير كامي: الفرنسية هي وطني، وقال بعده آخرون: اللغة الفرنسية هي روح الأمّة، ومتى افتقدت الأمّة روحَها فقدت وجودها "تقوم السياسة اللغوية والثقافية للدولة الفرنسية على فلسفة قوامها أنّ أحسن وسيلة لتوطيد أركان الأمّة الفرنسية هي التوحيد اللغوي والثقافي للجماعات الإثنية المختلفة الخاضعة لنفوذها، لذلك أقرّت كمبدأ رسمي ضرورة فرض اللغة الوحيدة (اللغة الفرنسية) والثقافة الوحيدة (ثقافة الأنوار) على جميع سكان فرنسا. وتعود هذه السياسة إلى الثورة الفرنسية والمعاهد اليعقوبية، وقد تمّ استئنافها بعد ذلك من قبل الجمهورية الثالثة لتتّخذ شكلها الأكثر تطرّفاً مع (جيل فيري) في أواخر القرن التاسع عشر[5]". وهكذا تفعل الأمم المحبّة للغتها فكم من جمعية ومن عديد المؤسّسات أقامها الفرنسيون من أجل حماية اللغة الفرنسية في داخل فرنسا وفي ما وراء البحار، وبنفقات كبيرة جداً مع إغراءات

تشجيعية مهمة، وكم من قانون سنّ من أجل استعمالها دون غيرها، وكلّ متعدٍ يغرم بغرامات مالية، والمهمّ أن يبقى للفرنسية المجد والانتشار والاستعمال الجميل. ولا حظوا معي هذه القوانين:

En France, la loi Toubon 94-665 du 04 août 1994 stipule dans son article premier :

Langue de la République en vertu de la Constitution , la langue française est un élément fondamental de la personnalité et du patrimoine de la France.

Elle est la langue de l'enseignement, du travail, des échanges et des services publics. Elle est le lien privilégié des États constituant la communauté de la francophonie.

L'article 3 stipule *:* Toute inscription ou annonce apposée ou faite sur la voie publique, dans un lieu ouvert au public ou dans un moyen de transport en commun et destinée *à* l'information du public doit être formulée en langue française. Cette loi est la traduction concrète du principe constitutionnel selon lequel la langue de la République est le français.

l'article 22 mentionne : Chaque année, le Gouvernement communique aux Assemblées, avant le 15 septembre, un rapport sur l'application de la présente loi et des dispositions des conventions ou traités internationaux relatives au statut de la langue française dans les institutions internationales.

والملاحظ أنّ جاك توبون Jaques Toubon[6] استوحى قانونه من قانون تعميم استعمال اللغة العربية الجزائري الصادر في 16 يناير 1991م؛ والفرق أنّ قانون تعميم استعمال اللغة العربية يستهدف حماية العربية من هيمنة الفرنسية في حين أنّ القانون الفرنسي يرمي إلى حماية الفرنسية من هيمنة الإنجليزية. والملاحظ كذلك أنّ هذا القانون كان صريحاً في الغرامات التي يفرضها على منتهك اللغة الفرنسية وأبى التراجع عنها "سمعت كما سمع غيري ذلك القانون الذي صدر في فرنسا والذي يفرض غرامة تعادل (3500) دولار أمريكي على أيّ مواطن فرنسي يستعمل كلمات إنجليزية أو غير فرنسية في محاضرته أو كتاباته ما دام لها مقابل في اللغة الفرنسية... ولم يأبه المشرّع الفرنسي بمن احتجّ

بعالمية بعض الألفاظ والمصطلحات وأنّها ممّا لا يمكن الاستغناء عنها، وبأنّ هذا القرار سوف يعطّل أعمال كثير من المؤتمرات والندوات العلمية... نعم لم تأبه الجمعية الوطنية الفرنسية بكلّ تلك الحجج وأصدرت قانونها الحازم [7]" وربّما يكون هذا لنا عبرة عندما نقول: إنّ المجمعيين يريدون أن يقولبونا في صور قل ولا تقل، ويريدون أن نستعمل ما ينصون عليه فقط... فإذا كانت فرنسا تصون لغتها بأمثال هذه القوانين القوية، ولغتها قوية وعلمية، فماذا نقول نحن العرب أمام ضعف لغتنا، وضعف عزيمتنا، وقابليتنا للاختراق. وفي مقام آخر يقول الفرنسيون علينا أن نعلن الحرب على الإنجليزية؛ لأنّها تهدّد التعدّد الثقافي، علينا أن ندافع عن التعددية اللغوية والثقافية، والتي هي ضرورية لا بالنسبة إلينا، بل بالنسبة للعديد من الفعاليات العالمية، ولكن هذا كلام فقط، ففرنسا تصرّح بالتعدّد اللغوي الذي معناه هيمنة اللغة الفرنسية، وهذا ما يصرّح به جان لوي كالفي "... إلاّ أنّ السياسة اللغوية للفرانكفونية يبدو أنّها تتجاهل اللغات الموسومة بـ (لغات الشركاء) وتضرب بمبدأ التعددية اللغوية المصرّح به في أماكن أخرى عرض الحائط، وعدم الاحتفال بمنزلة اللغات في التنمية عندما يتعلّق الأمر بالفرنسية في إفريقيا، وأنّ المبادئ المصرّح بها في السياسة الفرنسية (التعددية اللغوية بأوربا والحوار بين الفرنسية ولغات الشركاء في الفضاء الفرانكفوني وفي دفاعها عن التعددية في اليونسكو ليست في أغلب الأحيان لأنّ إستراتيجيتها تقوم على الدفاع عن الفرنسية، وإن كانت لا تجهر بذلك) [8]". وهكذا تبرز لنا التجربة الفرنسية مدى تعلّقها باللغة الفرنسية التي هي الحياة بالنسبة للفرنسيين. ويمكن الحديث كذلك عن دور الجمعيات المدنية في فرنسا وهي التي فرضت يوماً سنوياً لإجراء (**امتحان في الإملاء**) يشارك فيه كلّ الفرنسيين، وتسند جائزة ذات قيمة عالية لمن لم يرتكب/ يُحدث خطأً في الإملاء، بل إنّ الحكومات الفرنسية منذ نابوليون كانت تعمل وتناضل من أجل قطب (**الفرانكفونية**) للحفاظ على لغتها ونشرها خارج فرنسا. وإنّ المجتمع

المدني في فرنسا كان حريصاً كلّ الحرص على أن تنال الفرنسية الموقع العلمي والاستعمالي والانتشاري، ويبقى أنّه كان يساعد دولته أيام كانت تضع القوانين وتغرّم المواطنين، بل أحياناً يحصل التهديد بالسجن، فكانت قوانينها صارمة ملزمة للجميع، كما كانت الجماهير تهبّ رجلاً واحداً في وجه من يُحدث الخطأ في الفرنسية، بل يصل الوزير المخطئ إلى تقديم استقالته من الحكومة♥. وكان الإعلام يشكّل قوة ضغط في هذا المجال بل كان يلازم المجتمع المدني في قضايا المواطنة بصفة عامة. فرنسا الضارية والحامية على لغتها في عام 1994م تتبنّى الجمعية الوطنية قراراً ينصّ على عدم السماح بعقد المؤتمرات العلمية المتحدّثة بالإنجليزية على الأرض الفرنسية، كما وضع البرلمان قائمة بالكلمات السود التي يحظر استخدامها في لغة الإعلام والإعلان[9]" فرنسا التي فتحت عصر القوميات في أوربا تعمل على المدّ الفرانكفوني منذ ستينيات القرن الماضي الذي بدأ خارج فرنسا وقام على أفكار سنغور والأمير سيهانوك والحبيب بورقيبة وعبده ضيوف، فرنسا التي لا تتوانى في أن تحرص على لغتها بسنّ القوانين الحامية لها، وبمركزية واحدة، تقوم على التخطيط، وعلى عدم إهدار الجهود الفردية وعدم تكرارها وتقترح الأفكار للسلطة التنفيذية، فرنسا التي تقيم جمعيات حماية اللغة الفرنسية وتعمل تلك الجمعيات على أساس أنّها جهاز من أجهزة الدولة، "وعندما انتهى حماة الفرانكفونية من تجسيد الظاهرة أمامهم بدؤوا يشرّعون في اتّخاذ الوسائل والخطط اللازمة لمعالجتها والاهتمام بها على أعلى المستويات، وكان ذلك على يد الرؤساء بعقد مؤتمرات وطنية وعالمية، وتأسيس مراكز للمدّ الفرانكفوني والمجالس والأكاديميات[10]". وكلّ الذي قامت به فرنسا حقّق نجاحاً للفرنسية على أنّها اللغة العلمية التي يجب أن تسود أوربا الحديثة وتعيش صراعاً قوياً مع الإنجليزية حول أيّهما يتصدّر، وهذا المدّ والنجاح ما كان ليكون لولاً:

- التدقيق الجيّد لتحديد أبعاد المشكلة اللغوية الفرنسية

ـ التخطيط الجيّد بعد استخلاص الإحصائيات لخريطة اللغة الفرنسية كلغة أم، وكلغة أجنبية

ـ تقديم الحلول النوعية على أساس التشخيص العلمي.

والعبرة التي يمكن استخلاصها من التجربة الفرنسية هي إعطاء الأولية للغة الشاملة العامة التي تجمع كلّ الفرنسيين، ونحن قد فصلنا في هذا المجال منذ نزول القرآن بلسان عربي مبين شامل لمدوّنة متداولة في القرآن والحديث والأصول الأولى (الشواهد) وهذه المسألة لا تطرح إذا وقع استبعاد اللهجات، أو دراسة اللهجات بغية إعادتها إلى أصولها الفصيحة. وأما مسألة اللغات المحلية فتكون خدماً للفصحى، ولا تعلو عليها أو تنافسها. وإذا وقع الإقرار فإنّ الحزم هو الناقص، وهو ما أخذ به الفرنسيون أثناء اتّخاذهم الفرنسية (لهجة من لهجات اللاتينية) وأرادوا أن يعيّروها، فكان التشدّد، وحصل أن حورب كلّ الرافضين لهذه اللغة منذ لويس الرابع عشر؛ الذي أسّس للغة جزيرة فرنسا. فلا بدّ من الحزم في المسألة اللغوية، وإلا يأتي العبث الذي لا يؤدّي إلى نتيجة.

➤ **نموذج اللغة الإنجليزية:** لم تعرف اللغة الإنجليزية ذلك الحماس والدفاع الضاري الذي عرفته اللغة الفرنسية؛ فلقد فرضها الواقع العلمي بحكم علميتها، وبحكم التسامح اللغوي في نحوها وفي خصائصها الصوتية، فهيمنت على الكرة الأرضية كلغة علم وصناعة بامتياز. ونشير إلى أنّ هذه اللغة كانت عبارة عن لغات متباينة، وعرفت المعيار عن طريق الباحثين الذين كانوا يتوجّهون إلى المقاهي والساحات العمومية ويجرون التمثيليات الناطقة بلغة العوام وباستعمال سرد الحكايات والخرافات أمام الملأ، وكلّ ذلك باعتماد أساليب التشويق والتمثيل بكل معانيه لجلب انتباه الأطفال كي يحاكوا تلك المناويل اللغوية السهلة البسيطة. ومع ذلك فقد لجأ اللسانيون إلى جمع التراث الشعبي من مختلف مناطق الوطن، وكان مبدؤهم الأساس هو الاعتزاز بالهوية الوطنية من خلال الفولكلور الشعبي. فكلمة فولكلور Folklore تنقسم إلى: Folk ويعني

قوم، و Lore تعني معرفة. فتعني الكلمتان معاً علم القوميات، وكان انشغالهم الكبير بما هو مستعمل لدى عامة الناس، وما هو مشترك، ومن خلال ذلك استطاعوا وضع لغة جامعة؛ تختلف من بلد لآخر فقط في النطق الصوتي. وعلى العموم فإنّ اللغة الإنجليزية لغة عالمية الآن بحكم ما توفّر لها من علمية وسهولة ووظيفة. ويمكن حصر البناء الأولي للغة الإنجليزية في النقاط التالية:

- اتخاذ المسرحيات أساساً لنشر الإنجليزية؛
- التوجه إلى الأطفال عن طريق التمثيليات؛
- الاستعمال الفعلي الدائم للغة بصورة عفوية؛
- اعتماد اللغة الوظيفية البسيطة؛
- سنّ قوانين تحمي اللغة المتّفق عليها؛
- إنجاز معاجم عامة؛
- إنجاز معاجم متخصّصة.

وفي الوقت الحاضر فإنّ الإنجليزية لها السيادة في الألكترونيات و80 % من صفحات المواقع المتوفرة على الشابكة مكتوبة بالإنجليزية، ولها موقع عالمي كبير في مجال اللغة الرسمية خارج بلادها "وفي هذا المجال تحتلّ الإنجليزية المرتبة الأولى، فهي اللغة الوحيدة بين جميع اللغات العالمية التي تستخدم لغة رسمية في قارات العالم كافة؛ حيث يبلغ عدد الدول التي تستخدم اللغة الإنجليزية لغة رسمية 59 تسعاً وخمسين دولة، وهو أكثر من ضعف عدد الدول التي تستخدم اللغة العالمية الثانية وهي الفرنسية، إذ يبلغ عددها 28 ثماني وعشرين دولة [11]". أما آن لنا أن نختار الجيّد واللازم لواقعنا اللغوي ولمستقبل أولادنا في اندماجهم العولمي، وأن نفهم بأنّ المشكلة ليست في اللغة في حدّ ذاتها وإنّما في حسن تدبيرها، ومن اللغة الإنجليزية حسن أخذ العبرة.

والعبرة التي يمكن استخلاصها من هذا أنّ الإنجليز اهتموا بلون أدبي يمتاز بالحركة؛ ويقبل عليه الأطفال، وهو المسرحيات. ونعرف أنّ الأطفال

يميلون إلى تقليد المسرحي في كلامه وتمثيله، بل إنّ لغة المسرحي أكثر نفوذاً من لغة المدرس في قاعة الدرس، ولهذا كانوا يستهدفون من لغتهم تعويد التلاميذ على فنّ الإلقاء والتمثيل والاندماج في مجالات الحياة، كما أنّه استثمار لوقت الفراغ وقد أصبح هذا هدفاً تربوياً تعنى به المدرسة وتخطّط من أجله خططاً مستقبلية. هذا في المقام الأول، ويضاف إلى ذلك أنّ الاهتمام بالمسرحيات والقصص يحصل منها استخلاص الأفكار ومتابعتها بالتحليل والتفسير والوقوف على مدى منطقيتها وتسلسلها، ونقد موضوعها، واستخلاص القيم والمبادئ التي يمكن الاستفادة منها. فماذا نستخلص من ورائه؟ لا شكّ أنّ العربية قد فصل في متنها، ولكنّها تحتاج إلى أمثال هذه المسرحيات لمعايشة الواقع اللغوي الحيّ وتحتاج إلى فنّ القول الذي يتغيّر بتغيّر الحال والمقام والسياق، واللغة باعتبارها متطوّرة تقبل الجديد المتوافق مع الأصل، وهذا ما يمكن أن يجدّد اللغة في دمها، ويطعمها بألفاظ حضارية.

➤ **نموذج اللغة الألمانية الموحّدة:** عرفت اللغة الألمانية ما تعرفه اللغة العربية الآن؛ فهناك العديد من اللهجات التي تعود إلى مختلف القبائل الألمانية القديمة وكلّ لهجة لا تفهم من ناطقي اللهجات الأخرى، لغة ألمانية فصيحة (عالية) ولغة ألمانية (سفلى) ولقد كانت الازدواجية في ألمانية أخطر خلال القرن التاسع عشر. ومع كلّ ذلك فقد عملت المدارس الألمانية على تجسيد الفصيحة التي سبق للأخوين گريم: يعقوب گريم 1785 ـ 1863م، وفيلهلم قريم 1786 ـ 1859م هذان الأخوان مثلان في العمل على إثارة الشعور القومي بهوية الأمّة [12]". لقد سعى الأخوان بكلّ ما وسعهما البحث لتوحيد الولايات الألمانية المختلفة في أمّة واحدة عن طريق لغة جامعة مشتركة، فبحثا في فقه اللغة والتراث الشعبي والتاريخ، وانكبّا على دراسة اللغة المشتركة، وما طرأ عليها من تحوّل وتطوّر وأنجزا قانوناً سمّوه (قانون گريم) وأنتجا فيها وبها المعاجم والقصص ومختلف

أجناس الأدب، وأصبحت لغة التعليم، وتراجعت اللغة السفلى [13]. كان قانون گريم الصوتي وسيلة لـ:

- تفصيح العامية؛
- تعميم الفصحى.

وفحوى هذا القانون:

- اتخاذ الأصوات المشتركة لدراستها؛
- استخلاص مواطن الاتّفاق؛
- سنّ قوانين لغوية لمواطن الاتّفاق؛
- إقامة قوانين لغوية، أو فقه اللغة؛
- إنجاز معاجم لغوية.

ومن خلال ذلك أُنجز معجم غريم للغة الألمانية من خلال تنقلاتهما عبر ألمانية غير الموحّدة حيث جاب الأخوان ألمانية ذات الولايات التسع والثلاثين وجمعا الحكايات الشعبية من مختلف اللهجات الألمانية المتباينة، وأعادا صياغة تلك الحكايات بلغة ألمانية فصيحة مشتركة، وأضفيا عليها صوراً فنية، ونشرا الحكايات الشعبية المتواترة. وبعملهما هذا عملا على نشر الوعي اللغوي بأهمية اللغة الألمانية الموحّدة من خلال لغة ألمانية مشتركة وفصيحة، فالوحدة اللغوية هي التي سهّلت الوحدة الوطنية للألمانيتين "الوحدة الألمانية قامت على أساس وحدة اللغة وكذلك الوحدة الإيطالية [14]". وعند سقوط جدار برلين أخرجت ألمانية الموحّدة عملة ذات 1000 مارك وعليها صورة الأخوين تكريماً لجهودهما في توحيد ألمانية.

وما يعرف عن الشعب الألماني أنّهم رفعوا التحدّي بعد ست سنوات من الدمار الذي لحق بهم وبعد هذه السنوات الست رفعوا شعار النجاح، واشترطوا أن يقوم النجاح على العمل والعمل ثمّ العمل، والمنطلق يكون باعتماد العلوم التطبيقية المنتجة للأشياء باللغة الوطنية لا غير. والعمل يبدأ من العلم، والعلم

يكون بالقراءة، وانطلقوا في العمل الجاد والكامل، ورأوا أنّ التواكل على السماء لا يعطي الأكل. ولقد اهتمت ألمانية ببناء الجامعات ومراكز البحوث وكانت تقيم مهرجانات الصناعة، وكانوا يقيمون المهرجانات لكلّ السواعد والهمم الوثابة والأفكار الخلاّبة، ويكرّمون كلّ مسؤول يعالج القضايا وينتصر للمظلوم، ولكلّ أستاذ يدقّق ويصلح الأفكار والنظريات، ولكلّ مزارع يغرس شجرة ويحرث أرضاً. وكانوا يستغلون وقتهم أيّما استغلال وبكلّ حساب، ورفعوا شعار: نأكل ممّا نزرع، ونلبس ممّا نصنع، وكان عندهم عَرَق العامل أزكى من مسك الفاشل.

وممّا يروى عن الشعب الألماني أن شعب حرّ ونبيل يعبد لغته، يريد التميّز عن باقي شعوب أوربا وكان ينزل اللغة الألمانية منزلة التقديس في يومياته؛ حيث يقرأ بها، ويقولون: بأنّ حياة الأمّة تقوم على لغتها وفي لغتها. وفي التعليم يعطون أعلى المُعامِلات للغة كلغة استعمال وتوظيف وأداء، كما يشترطون الحصول على أعلى نتيجة في اللغة للانتقال من سنة لأخرى، وممّا يرويه الأستاذ مولود قاسم نات بلقاسم في هذه المسألة قائلاً: "إنّ القضاء الألماني أصدر قراراً برسوب طالبة ألمانية كانت قد رفعت دعوى على لجنة الامتحانات بحجّة نجاحها في جميع المواد في الشهادة الثانوية ماعدا اللغة الألمانية، إلاّ أنّ المحكمة أكّدت قرار لجنة الامتحانات برسوب الطالبة وصدر قرار المحكمة ينصّ على أنّه لا شهادة ثانوية مع ضعيف في اللغة الألمانية [15]". وهكذا يرى الألمان أنّ أمّة فاقدة لغتها فاقدة لتاريخها ووعيها، وفي فقد اللغة فقدان للهوية والانتماء. ويا ليتنا نعتبر بهذا يا أمّة العرب ولكن قد يصدق علينا قول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً	ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نار نفختَ بها أضاءت	ولكن أنت تنفخ في رماد

والعبرة العامة التي يمكن استخلاصها من هذه اللغات النماذج، هو أنّها مالت إلى الاهتمام بلغة الطفل؛ حيث يقرّ علماء التربية بأنّ الأطفال يميلون إلى

سماع القصص والحكايات بمجرد فهمهم للغة، فالطفل يشغف بحوادث القصة وما تؤول إليه من نتيجة. ويرى رجال التربية بأنّ القصة وسيلة اكتسابية لكثير من المعارف وخصائص الأشياء، إضافة إلى أنّها تعمل على تنمية الثروة اللفظية والفكرية وتطوير الملكات التعبيرية، بل هي وسيلة من وسائل التهذيب النفسي والخلقي. ولهذا الغرض اتّخذ الغربيون القصص والمسرحيات والنوادر وسيلة من وسائل التنمية اللغوية، بل هي التي ترسّخ الملكة اللسانية في الطفل في صغره ويبقى يحتفظ بتلك الأنماط التي لا تفارقه أبداً وهي صورة عفوية للاكتساب اللغوي، أو هي الحمام اللغوي الطبيعي، أو الممارسة اللغوية الطبيعية. كما أنّها تعمل على إطلاق حرية الكلام والخيال، وهذا النوع ينصح به علماء التربية ويشترطون أن يحصل فيه:

1 ـ أن يتمّ تعليم الكلام في مواقف طبيعية، وخاصة تلك التي تنشأ في حياة التلاميذ المدرسية، أو تلك التي يستعمل التلاميذ اللغة في حياتهم العادية. ويمكن إثارة رغبة التلاميذ في الكلام عن طريق طرح الموضوعات التي تشغل أذهانهم وأذهان الرأي العام من حولهم، وأيضاً تلك التي يدركونها أو يحسونها بأي شكل من أشكال الإحساس.

2 ـ إنّ الألفاظ مهمة، لكنّها خادمة للأفكار ومعبّرة عنها، ولهذا ينبغي الاهتمام والتركيز على المعنى لا على اللفظ، ويكتسب التلميذ هذا الاتّجاه من المدرسة بنفسه؛ فالمدرس الذي يسكت عندما لا يكون لديه شيء يعبّر عنه يجعل التلميذ يدرك أنّ الاهتمام بالمعنى يجب أن يكون في المقام الأول.

3 ـ ينبغي لفت التلميذ إلى المواقف والأماكن التي يجب الامتناع فيها عن الكلام كالحال عند قراءة القرآن وفي المساجد عند الاستماع إلى الخطيب وفي الحفلات الموسيقية، وفي المستشفيات، وفي المكتبات... إلخ.

4 . يجب أن يدرك المدرس أنّ منهج التعبير بصفة خاصة ومنهج اللغة العربية بكلّ فنونها بصفة عامة كلّها مجالات لفنّ الكلام أو التعبير الشفوي من حوار أو مناقشة أو تعليقات أو خطب... إلخ.

5 . ينبغي أن يدرك المدرس أنّ الغرض من التعبير هو أن يعبر التلميذ عن أفكاره هو، لا عن أفكار المدرس أو غيره من الكبار الذين يتكلون أمامه في المنزل أو في المدرسة.

6 . ينبغي عدم مقاطعة التلميذ حتى ينتهي من حديثه؛ فالانطلاق في الحديث مهارة ينبغي تشجيعها، ولها الأولوية في سلم المهارات الشفوية، والمقاطعة المستمرة تحدّ من انطلاق هذه المهارة ونموّها [16]".

وهكذا نلحظ مدى الأهمية التي تعطى للطفل في مراحله الأول، ولماذا كان الغربيون يركّزون على لغة الطفل، أليس هو الركيزة اللغوية الأساس أليس الطفل رجل المستقبل، أليست لغته هي العمود الذي تبنى عليه الحمولة اللغوية لاحقاً. **والعبرة** التي يمكن استخلاصها هي الاستثمار في الطفل، أي الاستثمار في المدرسة، وخلق جيل يؤمن باللغة العربية.

4 . نماذج ناجحة لدول كانت متخلّفة: سأسرد بعض النماذج الناجحة لدول كانت متخلّفة في اقتصادها وفي أعلامها وفي لغتها. ولكن الحماس الفيّاض لإحياء اللغة الوطنية، وضرورة العمل على تحيينها واستعمالها والتدريس بها في مختلف الاختصاصات جعلها تلحق بركب الدول الحيّة المتقدمة، وهذا بفضل إحيائها للغاتها الوطنية، وإليكم هذه التجارب الفذّة التي قد نعتبر من نجاحها:

➤ **تجربة دولة كندا** (مقاطعة الكيبيك الناطقة بالفرنسية) وهي تجربة متميّزة في الدفاع عن اللغة القومية؛ بمقاضاة المعتدين على اللغة، وفرض الفرنسية في وسائط الإعلام، والعمل بالترجمة الفورية في الأشرطة والأفلام ومنح الجوائز القيّمة للمتفوّقين في الفرنسية كلّ سنة، وعقد المهرجانات الممجّدة

للفرنسية في كلّ المناسبات العامة، وتخصيص أسبوع كامل للاحتفاء باللغة الفرنسية، ونصب لوحات في الشوارع تقول: **إنّني أحبّ اللغات جميعاً، ولكنّي أفضلّ لغتي**. بل يصل بمقاطعة الكيبيك أن تتشدّد أكثر في المسألة لما لهيمنة الإنجليزية واكتساحها كلّ المجالات وبذلك يصل بها الأمر بساكني مقاطعة كيبيك إلى المطالبة بالاستقلال عن كندا الأمّ للحفاظ على اللغة الفرنسية وتفشل في الاستفتاء الذي جرى منذ سنوات ومع ذلك فإن تلك المجموعات الناطقة بالفرنسية لا تزال تتشبثّ بهذا المطلب حباً فيها وفي من يستعملها.

➤ وفي **سلطنة بروناي** يتدخّل المجتمع المدني بقوّة لدى السلطان لمنع مستخدم اللغة الأجنبية من الاحتكاك بالجمهور، وفي كلّ سنة يخصّصون أسبوعاً وطنياً لا يحصل الحديث فيه إلاّ باللغة الوطنية وفي كلّ الأماكن ودون رقيب، وهذا تطبيقاً لإيمانهم وشعارهم المعروف: **اللغة الوطنية إذا لم أمارسها أنا لا يمارسها غيري**. وأما اللافتات والإشهار وكلّ ما يلصق في الشارع أمام الملأ فممنوع باللغات الأجنبية مطلقاً وبصرامة. وهذا ما يقوم به المجتمع المدني من فرض قوة تطبيق القانون. وللمجتمع المدني دور متميّز في هذه السلطنة؛ حيث أعطت الحكومة السلطات الواسعة للمجتمع في اقتراح برنامج الدراسة واقتراح أوقات الدراسة والعطل السنوية التي تتغيّر بتغيّر المستجدات. ونجد المجتمع البسيط في هذه المملكة يغار غيرة كبيرة على لغته التي لم تكن لغة علمية ويسعى بكلّ ما أوتي من قوة ومال أن تترجم كلّ الأعمال العلمية إلى لغته ويوفد الطلاب إلى بلدان أوربا، ويطالبهم بالعودة كلّ عطلة متطوّعاً في تقديم ما أتى به من الخارج، وينقل المعلومات الجديدة إلى لغته.

➤ ويمكن الإشارة إلى نموذج آخر ناجح هي **دولة السويد**، فنجد في هذا البلد المنظّمات/ الجمعيات المدنية تبني علاقة شراكة مع الدولة؛ حيث تتبادل معها الرقابة على اللغة؛ بإبداء النصيحة، وتعمل المنظّمات/ الجمعيات على حماية الأفراد من اللغات الأجنبية، ومن اللغة الضاغطة (اللغات العلمية) وتعمل على

إزالة الفساد اللغوي في الميدان، بل تغرم الجمعيات أصحاب المحلات على ما يبدو من خطأ في واجهات محلاّتهم، كما تعمل بقوّة مع وزارة البيئة؛ فاللغة الملوّثة عندهم مثل البيئة الملوّثة، وهم المغرمون باخضرار الطبيعية، وكذلك يريدون أن تكون لغتهم دائماً خضراء ربيعية منتجة، كما تساعد تلك المنظّمات الدولةَ على تقديم الخدمات العامة والرعاية اللغوية في جانبها المدني عبر التعليم في البيوت، ومحو أمية الأجانب، ومكافحة كلّ أشكال التلوّث الذي يلحق بلغتهم، وتقديم إغراءات مالية من أجل تعليم السويدية والعمل على إدخال الأجانب في مراكز تحسين المستوى، بل في التوسّط لدى السلطات للحصول على منح دراسية، والمهمّ كسب زبون للغة السويدية. وفي السنوات الأخيرة أدخلوا تعلّم السويدية في ضرورة الحصول على الجنسية.

➤ ويمكن سرد تجربة ناجحة قامت بها **كوريا الجنوبية**، التي انطلقت سنة 1962م وكانت كورية أفقر دولة في آسيا، ولم يتجاوز الدخل القومي في ذلك العام 87 دولاراً، وكانت تعاني من التخلّف وترتفع فيها نسبة الأمية وتفتقر إلى المصادر الطبيعية والمواد الإنتاجية اللازمة لعملية التنمية الاقتصادية. ومع ذلك فقد انتهجت السياسة التي أوصلتها الآن إلى الريادة، وكانت مرتكزاتها ما يلي:

1. الاستثمار الكبير في التعليم، بإنشاء المؤسّسات التعليمية والمهنية وتحسين مواد التعليم التي تواكب عملية التنمية الاقتصادية، وكلّ ذلك باللغة الكورية لا غير؛

2. بثّ روح الطموح والمنافسة في التعليم؛

3. رعاية الحكومة للنّخب والإطارات بالتشجيع والإغداق المادي والمعنوي.

ولقد حصل كلّ ذلك بفضل العوامل التالية:

- عامل المؤسّسات التربوية؛
- احتكار المؤسّسات التربوية من قبل الدولة؛

- عامل القيادة الرشيدة، وسياسة الخطوة خطوة؛
- صياغة سياسات لغوية تنموية رائدة، متعاضدة مع الخطط الاقتصادية؛
اتّخاذ القرارات المناسبة في الأوقات المناسبة؛
- تفعيل أدوات السياسة في مجال التربية والتعليم؛
- الإخلاص والتفاني في خدمة القضايا الوطنية، ومنها اللغة الوطنية؛
- مساندة الشعب والفعاليات الشعبية للسياسات الحكومية.

ويجدر بنا أن نشير إلى أنّ اللغة الكورية واحدة موحّدة، لا تحوي ثنائية أو ازدواجية، فهناك لغة واحدة مفهومة من الجميع، هي ذاتها في المدرسة والجامعة والشارع والسوق، وهذا ما كان يعبّر عن وحدتهم وانتصارهم ومصيرهم المشترك.

"فكورية الجنوبية التي كانت في مطلع الستينيات أفقر دولة في آسيا هي اليوم تاسع دولة في العالم وتحتلّ المرتبة 28 في تقرير التنمية البشرية بالقرب من دول عريقة كإيطاليا وألمانيا، وكوريا لا تملك ثروات طبيعية كالبترول والفوسفات، وإنّما تستورد ما يقدّر بحوالي 256 مليار/ بليون دولار سنوياً من المعادن والطاقة، فيحوّله الكوريون بما يمتلكون من علم ومهارات تقنية إلى معدات إلكترونية وثلاجات وتلفزيونات وسيارات، يتمّ بيعها إلى الدول الأخرى بحولي 288 مليار/ بليون دولار. وهكذا يكون معدّل الدخل الفردي أكثر من 20 ألف دولار سنوياً ما يضمن للمواطن الكوري حياة تليق بالكرامة الإنسانية [17]".

➤ ويمكن ذكر **التجربة اليابانية**، وإنّ السرّ في هذه التجربة يكمن في النهوض الياباني من الصفر فبعدما دمّرتها الحرب الثانية، أعادت النظر في بناء الإنسان الياباني وفق خصوصياته المرتبطة بتراث أجداده، وعملت على النهوض بصفة عامة باعتماد إدارة يابانية رشيدة وفق الخطوات التالية:

- إدارة الجودة العالية؛

- إدارة التعليم بجودة عالية؛

- العمل في فرق؛

- الاهتمام بالفرد الياباني؛

- اعتماد خطط مربوطة بزمان محدّد؛

- الاستثمار بقوّة في التعليم، ومن بينها التنشئة والتربية الاجتماعية والتحديث في مناهج التعليم وأنظمة الإدارة. ولقد غدا المُعلّم الياباني يحظى باحترام كلّ الفئات الاجتماعية لما له من مكانة تعلو على الجميع. وأريد التوقف في هذه النقطة، حيث تولي البرامج الحكومية الاهتمام كله بتكوين المعلم تكويناً متميزاً، على اعتبار أنّه من الفئة الأرقى في المجتمع من حيث المكانة الاجتماعية، ومن حيث الراتب الذي يحصل عليه؛ حيث يتعدى راتبه راتب الوزير في الحكومة.

ومن أهمّ ملامح وخصائص التعليم الياباني ما يلي:

1. يستمد النظام التربوي الياباني أهم مقوّماته من طبيعة مجتمعه وروح أمته واحتياجات وطنه، ولا يأتي انعكاساً لنماذج تربوية خارجية.

2. يستمد النظام الياباني نهضته الحديثة من جذوره ومؤسّساته وتقاليده المتأصّلة والقائمة بالفعل ولم يدمّرها أو يهملها بدعوى قدمها وتقليديتها.

3. يعد التعليم في اليابان خدمة وطنية عامة وواجباً قومياً يتجاوز أيّ جهد فردي أو فئوي خاص، وأنّه في مناهجه ومقرّراته وتوجيهاته يمثل عامل التوحيد الأهمّ لعقل الأمة وضميرها منذ مراحل التعليم الإلزامية الأولى، إذ لا يسمح فيه بتعددية المناهج والفلسفات التربوية.

4. لم تأخذ اليابان بالنزعات الليبرالية والسيكولوجية الغربية، بل ظلّت متمسكة بقيم الانضباط الموحد في الفكر والسلوك رغم الضغط المعاكس من الاحتلال الأمريكي ورغم النقد الغربي لها.

5. نقطة القوّة الأساسية في النظام التربوي الياباني ليست جامعاته، إنّما معاهده التقنية المتوسّطة التي تمثل عموده الفقري، والممارسة العملية التدريبية هي أهمّ وأبرز واجبات الياباني منذ طفولته عندما يقوم بتنظيف صفه ومدرسته إلى ما بعد تخرّجه عندما يبدأ من جديد التدريب الوظيفي في برامج إجبارية قبل أيّ منصب ثابت، أما الفتاة اليابانية فإنّ أهمّ وظيفة لها هي نجاحها في أسرتها؛ فيقدّم لها برامج تربوية عملية ضمن النظام التربوي الرسمي كيف تصبح زوجة ناجحة.

6. استطاعت اليابان أن تجمع بين شعبية التعليم وأرستقراطيته العلمية الفكرية، بمعنى أنّ التعليم أُتيح للجميع في قاعدة الهرم التربوي لتزويد الأمّة بالأيدي العاملة المتعلّمة، لكنّه اقتصر في مستوى القمّة على القلّة الممتازة عقليًا والمتفوقة في مواهبها لتخريج النّخبة القيادية والقادرة على مواجهة التحدّيات.

7. لم تأخذ اليابان ولم تنبهر باللغات الأجنبية المتقدّمة، وحسمت معركة اللغة تعليمياً وحياتياً منذ البداية. فمن المعروف أنّه لا يمكن لأمّة أن تبدع علمياً إلاّ بلغتها الأمّ، ولا يستمع العالم لأمّة تتحدث بلغة غيرها.

8. وفق النظام التربوي الياباني بين مركزية التوجيه ولا مركزية التنفيذ في معادلة متوازنة.

9. تعدّ مهنة التدريس من المهن المربحة اقتصادياً، فمن بين خمسة يابانيين يتقدّمون لمهنة التدريس يفوز واحد منهم فقط بشرف المهنة وامتيازاتها المعيشية. وقد أدّى ذلك إلى الحفاظ على مستوى نوعي متفوّق للتعليم الياباني، أدى بدوره إلى تنمية نوعية العملية التربوية بأسرها.

10. لم تَنْسَق اليابان وراء نزعة تحويل الثقافة العامة للأمّة إلى منشط من مناشط الإعلام كما حدث في كثير من بلدان العالم الثالث، بل بقيت مهمة دعم الثقافة العامة في اليابان من مسؤوليات (وزارة التربية والعلوم والثقافة) [18].

وتعليقي البسيط على هذه التجربة تتمثّل في أنّ اليابانيين يقرنون كلّ تقدم علمي

لا يخرج عن المزج بين الأصالة والحداثة، والحداثة لا تعني الانبطاح للغير، بل هو استيعاب لأفكاره مع محلولة تكييفها وفق خصوصيات البلد.

➤ ونقرأ عن تجربة رائدة وناجحة كذلك، وهي **التجربة الفيتنامية:** فاللغة الفيتنامية مقدّسة عند أهلها ولا تحتاج إلى نقاش في توظيفها، بل يفتح ملف مناقشة في كيفية تحسينها، والبحث عن أحسن الطرائق لتبليغها. ولقد استطاعت دولة الفيتنام خلال عشر سنوات أن تقضي على الأمية بفضل الخطّة التي اعتمدتها الحكومة والميزانية المخصّصة للتعليم والتدريب الابتدائي. كما أنّ الصندوق المخصّص للتعليم الابتدائي الذي تبرّع به المجتمع بعامة والأفراد بخاصة يعادل الميزانية التي خصّصتها الدولة للتعليم الابتدائي. ولا نغادر التعليم في الفيتنام لنعلم بأنّها **انتصرت بالاهتمام بالتربية**، وتتلّخص فلسفة التربية والتعليم عند الفيتناميين في:

1. إعلاء قيمة الاستقلال؛
2. عدم الخضوع ورفض الاستسلام؛
3. عدم تصديق أكذوبة ميزان الغلبة عند الغرب.

لقد كان التعليم في الفيتنام ركيزة أساساً للمقاومة، فالتعليم ليس نظريات فقط، بل منهج حياة، وأسلوب مقاومة وطريقة كفاح. ولذلك عملت على استحداث مناهج التعليم وفق الخطّة التالية:

1. إدخال مقرّرات التربية الوطنية والعسكرية؛
2. تشجيع البحوث التي تتناول موضوعات الحروب والنضال من أجل الحرية؛
3. إدراج موضوعات المواطنة وحقوق الإنسان؛
4. التحديث المستمر لطرائق التدريس؛
5. توظيف مختلف الأجهزة المعاصرة والوسائل التقنية في التربية؛

6. الإقبال على تعلّم اللغات الأجنبية، وبخاصة الإنجليزية، ولكن ليس على حساب اللغة الوطنية.

هوشي مينه القائل: لا انتصار لنا على العدو إلاّ بالعودة إلى ثقافتنا القومية ولغتنا الأمّ الفيتنامية

حافظوا على صفاء لغتكم كما تحافظون على صفاء عيونكم، وتجنّبوا استعمال كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم استعمال كلمة فيتنامية

➤ **التجربة الماليزية**، وهي المسماة بالتجربة اللغز، أو الوصفة الماليزية السحرية. وما يعرف عن تجربة ماليزيا أنّها اهتمّت بالتربية والتعليم الذي أدّى بها إلى إيجاد فرد بسيط بساطة المجتمع الماليزي في أسلوب حياته؛ حتى ارتفع دخل الفرد لأكثر من ستة عشر ضعفاً خلال العشرين سنة الأخيرة. فماليزيا الأمّة التي انطلقت في سنوات الثمانينيات، وكانت تسعى لقيام أمّة موحّدة يحكمها الشعور بالمصير المشترك، بغية بناء مجتمع ديمقراطي؛ تسوده الأخلاق والقيم والاحترام المتبادل، وإلى بناء مجتمع علمي تقدّمي منتج ومبدع ومبتكر مجتمع يهتمّ بالآخرين وبالشأن العام؛ يعمل على المحافظة على البيئة، ويسعى دائماً لتحقيق تنمية شاملة متوازنة بأبعادها التربوية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهذا كلّه باعتماد **النقاط العشرة المقدّسة**، وتعدّ سرّ نجاح ماليزيا:

1. الاهتمام الكبير بالتعليم العام والجامعي والتقني والمهني لضمان مخرجات تلبّي متطلّبات التغيير؛

2. التركيز على التنمية البشرية وزيادة معارف وقدرات ومهارات وأخلاقيات العمل؛

3. التركيز على تهيئة أفراد المجتمع لمرحلة التغيير وعلى تحرير أفراد المجتمع من التخلف والفقر والأمية؛

4. إيجاد ثقافة الحوار والتعايش؛

5. فتح المجال للشراكات والمستثمرين الأجانب؛

6. التركيز على الاعتماد على الذات، وعدم التبعية للبنوك الأجنبية؛

7. السعي الدائم لاكتشاف المواهب وتطويرها، وإيجاد البيئة المناسبة للعمل والإبداع؛

8. العمل بالتحفيز والتشجيع والحزم؛

9. زرع الولاء والإخلاص في العمل؛

10. تحديث الأنظمة والسياسات الإدارية المرنة وتطويرها.

➤ **تجربة المجتمع الإسرائيلي** الذي أحيا لغته من العدم، بعدما كانت حبيسة طقوس دينية يمارسها اليهود رغم ما عرفوه من حالات الشتات التي بدأت إبان الحكم الروماني، ويعتزّ الإسرائيلي باستعمال لغته في العلوم، بل لا يرى إلاّ لغته التي هي اللغة الأمّ لكلّ البشر، ويجب أن تعطى لها ترسانة من القوانين كي تصبح لغة العالم لشعب اللّه المختار "... وأقرب مثال هو "إسرائيل" التي يجري التدريس فيها باللغة العبرية في مختلف كلياتها الجامعية، وفرضوا العبرية الميّتة لغة رسمية في جميع مراحل التعليم ومراكز البحث العلمي من أول يوم فهي لغة التدريس في الجامعة العبرية سنة 1918م، وتأسّست بعد ذلك جامعات حيفا وتل أبيب والنقب وإيلات، وعدد كبير من مراكز الأبحاث العلمية وكلّها تدرس باللغة العبرية منذ للطلاب اليهود والطلاب العرب الذين يدرسون فيها، وجعلت العبرية لغة الأبحاث الذرية في معهد وايزمان... ولما كانت العبرية لغة ضعيفة بالمقارنة مع العربية، وليس لها تراث حضاري تستفيد من ذخائره، ولا لها سعة تعبيرية، فقد استفادت من الصلة الاشتقاقية بينها وبين العربية فاستعملت الجذور العربية بإضافات عبرية للتعبير عن المصطلحات العلمية الجديدة[19]" كما نجد في "إسرائيل جمعية حماية اللغة العبرية التي تلقى كلّ التشجيع والحماية القانونية، ولها الدعم المادي الغزير من المهاجرين على وجه الخصوص تشجيعاً للغتهم، كما أنّ فعل المدرسة والجامعة والحكومات المتتالية لا تتسامح في المجال اللغوي بتاتاً، ويربطون وجودهم بوجود لسانهم الذي يعدّ

عندهم أفضل الألسنة على الإطلاق، وعلى اليهود في مختلف البلدان العمل به وعدم احتقاره، والدفاع عنه مادياً وعلمياً وأدبياً، إنّ تجربة "إسرائيل" خارقة تستحقّ الإعجاب، بل هي معجزة فكيف تحيا لغة ميتة مرّ عليها أكثر من 20 قرناً، فقد ظلّت لغة شبه دينية؛ تستخدم في نطاق محدود، ولكن حماسة شبابهم جعلت العالم الكبير أليعازر بن يهودا يطلق شعاره "لا حياة لأمّة بدون لغة" ودعا إلى إحياء العبرية لدى الأجيال الجديدة. ونالت تلك الدعوة حماساً في نفوس الشباب؛ الذين جعلوها لغة معاملاتهم في كلّ المجالات، فعن طريق ذلك أصبحت اللغة الرسمية، ولغة التعليم والمعاملات. إنّ إحياء اللغة العبرية يعود الفضل فيه إلى العالم أليعازر بن يهودا منذ سنة 1818م عندما أنشأ أول بيت يهودي تفرض فيه العبرية لغة للتخاطب والحديث في كلّ الشؤون لكلّ أفراد الأسرة، ورغم السخرية التي كان يتلقّاها من بعض أصحابه وحتى من بعض الحاخامات، فقد ظلّ متمسكاً برأيه حتى كوّن أتباعه، وصار أبا اللغة العبرية. ولقد عكف على نسج قصص الأطفال بالعبرية، وأنجز مشروع قاموس اللغة العبرية القديمة والجديدة. وأثمرت دعوته على إيقاظ اليهود بإنشاء مدارس حديثة تدرّس كلّ موادها بالعبرية، وتكاتفت الجهود في إطلاق التسميات اليهودية القديمة على أماكن فلسطينية، وعلى ألقاب عائلاتهم، وهذا كلّه من أجل تماسك الهوية العبرية من خلال اللغة. والعبرة في كلّ هذا أنّ اللغة العبرية أضحت وسيلة التفاهم بين أناس متنوّعي الثقافات واللغات المستخدمة، وأنّ الإصرار والعزيمة كانا الأساس في إحياء اللغة العبرية من العدم، على اعتبار أنّ اللغة هي الوجود.

ويمكن تلخيص تجربة "إسرائيل" في مجال إحياء لغتها، فنرى أنّ التجربة الحقيقية بدأت في القرن السادس عشر الميلادي، حيث ظهرت مجموعة من المعلمين الذين أسّسوا المبادئ الأولى لقواعد اللغة العبرية الحديثة أو العبرية الإسرائيلية، وكان هؤلاء الرواد رسموا مجموعة من الأهداف ذات الطابع

الفكري والثقافي والديني والتاريخي، وهي أهداف متداخلة جامعة لهدف تشجيع تدريس العبرية، وضرورة تعلّمها من قبل أبناء المجموعات اليهودية والعمل على الارتقاء بها إلى أسمى مستوياتها التعبيرية، وأكثرها صفاء وجمالاً. ولقد عملوا على الربط بين اللغة والقومية اليهودية، وبكثير من التعصّب والمغالاة [20]. وبعد قيام "دولة إسرائيل" عام 1948م نشطت حركات في:

- إصدار قوانين تحمي العبرية؛
- قوانين تمنع استعمال اللغات الأخرى في المرافق الخاصة والعمومية؛
- قوانين ربط إمكانية تعلّم العبرية بالتخلي عن جميع اللغات الأصلية؛
- قوانين ربط مناصب الشغل بإتقان العبرية،
- قوانين إجبار المهاجرين على التحوّل نحو العبرية والذي سيمكّنهم من الاندماج؛
- قوانين لا لغة غير العبرية؛
- قوانين تجيز استعمال لغة واحدة أجنبية وهي الإنجليزية.

والمهمّ في هذا أنّ الجمعيات في كلّ اختصاصاتها متّفقة على استعمال العبرية والاهتمام بها، وكذا الحكومات المتتالية لا تفرّط في اللغة مهما كانت توجّهاتها السياسية، والقوانين لا تزال تتالى لحماية العبرية والدفع بها لتكون لغة العالم.

5. نماذج عربية ناجحة: سأسرد مجموعة نماذج وتجارب ناجحة عرفتها البلاد العربية؛ حيث عرفت العربية موقعاً في أعلى هرم الاستعمال، وبدأ التعريب التدريجي بكلّ علمية، ولكن التجارب لم تستمر فانكسرت النصول وتراجعت الأقوال، وخابت النوايا، فوصلنا إلى التردّي اللغوي، بل إلى التنادي بهجران العربية على أنّها لغة التآبين والتسابيح، وليس لها المقام العلمي الذي يجعلنا نؤمّن بها تدريس العلوم.

➤ **تجربة مصر:** ازدهرت تجربة مصر، وظهرت مجلة اليعسوب سنة 1892؛ وهي مجلة طبّية كما صدرت مجلة علمية أخرى موسومة بعنوان (المهندس) بالعربية، وهي مجلة متخصّصة وبدأت التجربة المصرية تلفت الأنظار وأصبحت رائدة في الدول الفقيرة؛ حيث درس اليابانيون هذه التجربة وأفادوا منها في نهضتهم، كما يمكن أن نقول: إنّ سورية أخذت هذه التجربة وعمّقتها ونجحت أيّما نجاح، وبكلّ أسف هناك شعوب سبقتها مصر في خوض التجربة بزمن كبير، استطاعت النهوض، ومصر وكلّ الدول العربية لا تزال تعيش النكوص. وما يؤدي بي التعليق على مسألة الهوية اللغوية في مصر أنّ دعاة التعريب منذ القرن التاسع عشر لم يكونوا عرباً، ولكن كان إيمانهم بقوة هذه اللغة فعملوا على تجسيد التعريب العلمي بتعريب الطبّ في أبي زعبل "واللافت للنظر والذي يستحقّ الإعجاب أنّه إذا كان محمد علي وهو ألباني لا ينتمي لأب ولا لأمّ عربيين ولم تكن العربية لغة طفولته ولا حديثه اليومي، وإن كانت لغته الدينية، كان صاحب القرار السياسي بتوطين العلوم من خلال اللغة الأمّ، وهي العربية في مصر التي يحكمها، كما أنّ صاحب التنظير التربوي كان بعيداً جداً عن العربية؛ وهو الطبيب الفرنسي (أنطوني برتملي) الذي اشتهر باسم كلوت بك 1793 ـ 1868، والذي جاء إلى مصر طبيباً خاصاً لمحمد علي سنة 1825م وأسند إليه تأسيس مدرسة الطبّ في أبي زعبل سنة 1827، فكان رأيه أنّ التعليم بلغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة، ولا ينتج عنه توطين العلم ولا تعميم فائدته، وأنّ الحلّ العلمي لديه هو التعليم بالعربية [1] [2]". ماذا نستنتج من هذا الحزم؟ نستنتج أنّنا نفتقد في وقتنا الحاضر سياسة لغوية رشيدة، سياسة لغوية تعطي كلّ اللغات مقامها، كما أنّ ملف اللغة العربية بقي في أيدي السلطة وبين بعض النّخبة المعيّنة، ولم ينزل إلى الطبقات الشعبية، إضافة إلى غياب الجرأة في طرح هذا الموضوع بالشفافية وقبول الرأي المضاد والعمل بالمصلحة العامة. ومن هنا يجب الوعي اللغوي بمسألة

اللغة، فإنّ في كلّ التجارب الناجحة أسراراً مهمة، ويمكن استخلاص هذه الأسرار في ما يلي:

1. وجود إرادة سياسية تحترم الثوابت والمبادئ الوطنية، وتعمل على تحقيقها؛

2. الاستثمار في التنمية البشرية، وربط ذلك باللغة الوطنية، وبالتنمية الاقتصادية؛

3. الاتّكال على الإطارات والنّخب الوطنية؛

4. توفّر الإدارة والإرادة النموذجية؛

5. معرفة المهارات التربوية، والتأهيل السريع في ميدان الاختصاص؛

6. امتلاك إستراتيجية ونظرة مستقبلية؛

7. توفّر الخطّة على الآماد الثلاثة؛

8. التدرّج في التطبيق؛

9. قبول النقد والتراجع عن الخطأ؛

10. استمرار التقويم للتحسين.

➤ **تجربة جهود جمعية العلماء المسلمين في الجزائر** أيام الاستدمار الفرنسي؛ حيث عملت الجمعية كلّ ما وسعها الجهد في عدم الذوبان في المجتمع الفرنسي؛ بالاهتمام بالعربية وتدريسها وتعميم التعليم بها ونشطت في البداية على مستوى الزوايا، وتركت لنا تلك الزوايا ذلك الإرث الذي نعتزّ به الآن وهو عماد التمسّك باللغة العربية. ولدينا عيّنات من دور هذه الجمعية التي زرعت العربية في كلّ ربوع الوطن، بتعاضد الكشافة الإسلامية، فنقلت الهمّ إلى كلّ الفئات المجتمعية، فأصبح للعربية حماة دافعوا عنها في الثورة على المستعمر الفرنسي وعلى لغته ويكفي أن نشير إلى أنّ أكثر من 150 من القادة الكبار في الثورة الجزائرية درسوا في كنف هذه الجمعية التي زرعت فيهم الوطنية باللغة العربية. ولقد استطاعت تلك الجمعية أن تعبّئ الشباب الجزائري بالوطنية، وأسّست

معهد ابن باديس الذي حوى تلك الفئات من الشباب المسلم، ولما أقفل المعهد بأمر من فرنسا الذي رأت فيه الخطورة، انتقل المريدون إلى كلّ من الزيتونة والأزهر لمواصلة التدريس بالعربية لا غير. وبالفعل كانت تلك الفئة المؤمنة باللغة العربية هي التي أصبحت من الجنود التي أخرجت فرنسا بقوة الحديد والنار، ومن بقي على قيد الحياة أصبح من المدافعين عن العربية بعد الاستقلال.

➤ ولا نغادر الجزائر قبل أن نشير إلى تجربة فذّة بدأت توضع موضع التنفيذ إلاّ أنّها أُجهضت قبل الأوان، وهي تجربة **تعميم استعمال اللغة العربية** سنة 1991م، بصدور قانون وطني عن طريق البرلمان يعمل على تعميم استعمال اللغة العربية في مختلف المجالات، وما يعجبك في هذا القانون أنّه ينصّ على التعميم التام لاستعمال العربية، ويرتبط التعميم بآجال محدّدة ودقيقة، ويعمل على الاتّصال بالمواطنين عن طريق التشاور في وضع الكتابات المناسبة، إضافة إلى الحدود القانونية المخوّلة في المقاضاة والغرامات "... وكان أول قانون لتعميم استعمال اللغة العربية قد صدر في مطلع عام 1991م بعد مناقشات برلمانية وسياسية على مستوى الأحزاب والمجتمع المدني الواقع تحت سيطرة اللوبي الفرانكفوني، وتبعاً لهذا القانون أنشئ المجلس الأعلى للغة العربية التابع لرئاسة الجمهورية ليسهر على تنفيذ هذا القانون، ولكن المتربصين بالتعريب عملوا على تجميد القانون، وبعد حوالي أربع سنوات أقدم رئيس الدولة الجديد على رفع التجميد عن قانون استعمال اللغة العربية رغم معارضة المعارضين، ولكن الرئيس الذي تولّى في نهاية التسعينيات آثر السكوت على القانون المذكور وهو أمر فُهِمَ منه المغرضون أنّه رخصة لاستعمال الفرنسية دون حرج. وهكذا أصبحت الفرنسية هي لغة النقاش أمام الشعب في التلفاز، وأصبحت متداخلة مع العربية في القنوات الإذاعية الوطنية والمحلية، وفي الإنتاج السمعي البصري"[2 2].

وللأسف لم تمرّ سنوات معدودات إلاّ وتدخل الجزائر في دوامة عنف داخلية ويذهب القانون مذاهب قدداً. ومع ذلك فقد تأسّس المجلس الأعلى للغة العربية

الذي أضحى منارة علمية للعربية بالنشاطات التي يقوم بها، وما يبدعه في عالم النشر لصالح لغة القرآن.

➤ **تجربة الدنّان:** وهي تجربة عبد الله مصطفى الدنان المسماة **بتجربة باسل**، ووسمها بـ (تعليم العربية بالفطرة والممارسة) وفي هذه التجربة تجربتان وهاتان التجربتان جديرتان بالدراسة واستلهام مواطن القوة فيهما؛ فالأولى تخصّ تحفيظ القرآن الكريم في سنّ مبكرة؛ بجعل التلميذ يكسب زاداً لغوياً يجعله داخل الحمام اللغوي الذي يأخذ منه الألفاظ الأساسية للغة، ثمّ يردّدها ويستعملها في مواقف تخصّه، والثانية تجعل المتعلّم وسط محيط عفوي طبيعي يتكلّم بسلامة دون وعي قواعد اللغة. وأقول: إنّ هاتين التجربتين جديرتان بالدراسة والرعاية، وإذا اعتمدتا فلا شكّ أنّهما سوف تؤدّيان إلى نتائج ترفع من المستوى اللغوي للمتعلّم العربي.

➤ كما لا ننسى أنّ تجربتين عربيتين أخريين (مشاريع) كانت لهما أبعاد علمية لو وضعتا موضع التطبيق؛ وهما: **الرصيد اللغوي الوظيفي والرصيد اللغوي العربي**، وللأسف بقي المشروعان ضمن جمع المادة اللغوية، ولم نجد مادتهما في المعاجم اللغوية ولا في الكتاب المدرسي في الوطن العربي. وهناك تجارب أخرى ناجحة في كلّ من هولندا والمجر والصين والهند... والعوامل المشتركة بين هذه البلاد هي:

1. الإيمان باللغة الوطنية؛ فهي اللغة المشتركة الحاملة للتراث، وهي لغة المستقبل؛
2. اللغة الوطنية هي الحضارة والتنمية والازدهار والتقدّم؛
3. اللغة الوطنية هي الوحدة الوطنية.

وإذا ذكرنا هذه التجارب/ العيّنات الناجحة، فالفضل في نجاحها يعود إلى تجنّد تلك الحكومات الوطنية وإلى التأطير الذي حصل في المجتمع المدني وراء قضية الهُوية الوطنية، وما ينطبق على الهوية ينطبق على حماية البيئة وحماية التراث، وكذلك فإنّ التجارب العالمية في الرقي والازدهار الذي لم يأت باللغات

الأجنبية؛ لأنّ القضية اللغوية أولوية لتحقيق رهان التنمية المستديمة والوحدة الوطنية... ويجب العلم هنا بأنّ تأكيدي في هذه المسألة هو من باب أنّنا يجب أن نحبّ لغتنا، ولا يعني هذا أنّنا ضد اللغات الأخرى، بل إنّ التعدّد اللغوي نعمة وآية ما لم يُدخل ذلك الضيمَ على لغتي؛ فلغتي تحمل مشاعري وتعبّر عن خوالجي وهي باب رقيي وتقدّمي.

➤ **التجربة السورية:** لا تحتاج هذه التجربة إلى تعليق؛ حيث أبانت عن نتائج باهرة من خلال الطلاب الوافدين للخارج، فهم يتميّزون أمام كلّ الذين درسوا العلوم باللغات الأجنبية، فتجربتها ليست موضع التجريب، بل هي موضع التنفيذ منذ سنة 1919م، وسورية الشامخة تدرّس كلّ العلوم باللغة العربية وتعرف نجاحات متطوّرة في العلوم الدقيقة والعلوم التطبيقية، وهي من الدول التي لها الاكتفاء الذاتي زراعياً وبترولياً، ولم تكن من دول البترول، ويكفي أنّها كانت مصدّرة للعلماء والمعلمين إلى مختلف أقطار الوطن العربي، وسبق لها أن عملت على تعريب العلوم في مصر أيام الوحدة، ولكن منيت الوحدة بالخيبة وتتالت الخيبات على كلّ دولة لم تحترم لغتها. كما يعرف عن سورية أنّها تلاحق الجديد في مجال العلوم عن طريق الترجمة، وسبق لها أن سنّت إستراتيجية الترجمة في الوطن العربي، باعتماد سياسات ناجحة في هذا المجال، من مثل الاتّحاد السوفياتي واليابان وحتى "دولة" العدو "مشروع الترجمة الذي اعتمده الاتحاد السوفيتي سنة 1917م، ومشروع الترجمة الذي سطّرته اليابان بعد البدء في الإعمار، ومشروع الترجمة لدى الإسرائيليين، والذي أسهم في تقدّم "إسرائيل" علمياً، وتنمية العبرية التي كانت ميّتة[23]". وترى الخطط التحسينية للتعريب بأنّ السبيل المهم هو اعتماد الترجمة من مختلف اللغات، وهذا بتبني إستراتيجية نقل عشرات الآلاف من الكتب العلمية والتقنية إلى العربية. وهكذا نعرف أنّ النهضات اللغوية في البلدان المعاصرة اعتمدت الترجمة وسيلة من بين الوسائل المساعدة لملاحقة الجديد، وهكذا كان عند العرب في العصر العباسي.

إنّ تجربة سورية تجربة فذّة تحتاج إلى اعتمادها في الوطن العربي، فهي بلا منازع أعطت النموذج الحيّ لشعب يهتمّ بلغته، ويعمل من أجلها، وبالفعل فمن خلال لغته استطاع الرقي قدماً في كثير من المجالات، وإنّ هذه التجربة زكّاها رجال قبلنا قالوا عنها إنّها محلّ اعتبار "فها هو ذا السيد (بونور) مدير المعارف العام في المفوضية العليا إبان الانتداب الفرنسي يخاطب أساتذة الجامعة السورية في احتفال أقيم فيها قائلاً: لستم مخطئين في اختياركم اللغة العربية في التدريس، بل كونوا واثقين أنّكم أحسنتم صنعاً بانتقائها، فإنّ من يزعمون أنّ اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن مصطلحات الضاد كسائر اللغات هم على خطأ مبين، فالتاريخ أثبت أنّ لغة الضاد كسائر اللغات الأخرى؛ غنيّة باشتقاقها وكافية بكثرة تراكيبها للتعبير عن الأفكار الجديدة والارتباطات الحديثة التي تربط تلك الأفكار، إنّ فلاسفة العرب تمكّنوا من نقل العلوم إلى لغتهم كما في عهد ابن سينا والغزالي وابن رشد، فما ينكر أحد والحال هذه أنّ اللغة العربية صالحة لماشاة اللغات الأخرى وللتعبير عن الأفكار العلمية الحديثة واعلموا أنّ اندفاعكم إلى إيجاد مؤسّسة علمية كبيرة عربية اللسان، هو على ما أرى أكبر دليل على حذاقتكم، فظلوا محافظين على هذه الأداة البديعة التي نحن مدينون لها بكثرة من الأعمال الباهرة، وبعدد من الأشكال الجميلة التي تجلّى بها الفكر البشري [4 2]". وشهد شاهد ربّما من أعدائها، وخاصة عندما نعلم أنّ أكثر الشعوب في العالم تعلّم كلّ العلوم بلغاتها، إلاّ العرب فهم نكرات بين هذه الشعوب، فإلامَ يعود هذا؟ هل العجز فينا كعرب، وإذا كنّا عاجزين في لغتنا لا شكّ أنّ العجز ذاته يظهر عندما نتبنّى لغة أخرى، وإذا كان العجز في اللغة العربية، فلست أدري هل هذا صحيح، ونترك الكلمة للمختصين ليقول بأنّ العجز في أنّنا مصرون على وقف التجربة، وهناك من لا يريد لهذه الشعوب التقدّم لأنّهم يعرفون أنّ التقدم يكون إلاّ بلغة القوم، والعربية ليست عاجزة في ذاتها، بل هي من اللغات الراقية بما أثبته علم اللسانيات "تبرز مأساة اللغة العربية

بوضوح إذا ما رأينا أنّ العلوم التي تقوم عليها الحضارة الحديثة كالهندسة والطبّ والصيدلة والطبيعة والرياضيات كلّها تدرّس باللغة الإنجليزية في جامعاتنا لا لأنّ العربية عاجزة عن تمثّل حقائقها ومصطلحاتها تمثّلاً ما، بل إنّ هيئات التدريس في هذه المجالات هي العاجزة عن استعمال اللغة العربية أداة لنقل المعارف الحديثة ومتابعة ما ينشر في الخارج بفكر ولسان عربيين"[25]. إذن القضية في أنّ التجربة السورية ناجحة، ونرى الهيئة التدريسية في الوطن العربي تتقاعس عن التدريس بهذه اللغة، وتكرّس مبدأ العجز في اللغة العربية، فهذه هي المأساة الحقيقية في العرب.

➤ **التجربة السودانية:** تجربة حديثة، ولكنّها مضمونة النجاح، فهي تعادل تجربة سورية في بعض أركانها، وما يعرف عن هذه التجربة أنّها في العشرية الأولى من التطبيق؛ حيث شهد تعريب التعليم العالي القه في خمس جامعات بنسبة 100% في العلوم الطبية، دون الحديث عن العلوم الأخرى التي لا تدرّس إلاّ بالعربية. كما أنّ مبادئ التعريب فيها قام على تدرج علمي؛ حيث يطبّقون التعريب على السنة الأولى وتخضع التجربة للتقويم والتقييم لاستخلاص مواطن القوة لتقويتها، ومواطن النقص لتفاديها. وبهذا المنهج العلمي تعرف السودان قفزة علمية في مجال استعمال العربية في مختلف التخصصات، وينتج بها الكتاب المعرّب علماً أنّ من شروط المدرسين في الجامعات السودانية ما يلي:

1. إتقان دقيق للغة من اللغات الأجنبية؛

2 . التدريس في الجامعة لا يكون إلاّ باستعمال الوسائل الحديثة مثل Data-show؛

3 . إلزام المدرس بمصاحبة الكبتار واستعماله في قاعات التدريس.

6. أمم تعدّ ناجحة باللغات الأجنبية: يمكن التركيز هنا على الهند، ولا تغرّنكم الهند باعتبارها من القوى العظمى ومن الدول الصناعية، وتملك الرؤوس النووية، وهي بلد الفقر والشتات وأوضاعها غير مستقرة، وتمزقها

المجاعة، وفيها فوارق وقبائل متناحرة، والسبب يعود إلى غياب اللغة الوطنية الجامعة وسيادة اللغة الأجنبية التي خلقت الطبقية وما يتبع ذلك من انحرافات وأمراض وقِتال. وإذا ذكرنا الهند في آسيا نشير إلى دولة نيجيريا في أفريقيا التي عجزت عن إيجاد نسيج اجتماعي منسجم. وهذا لعدم تبنيها اللغة القومية ونراها تعاني صراعات قبلية، كما تنتشر فيها الأمراض وبلايا التهريب ومختلف الآفات رغم أنّها من الدول البترولية المصدّرة بقوة، ولكن المستفيدين والمتنفذين والمحتكرين للثروات هم نخبة وطنية غير مؤمنة باللغة الوطنية، وقد ارتبطت بالخارج بحكم هيمنة اللغات الأجنبية على نفوسهم. وهنا يجب أن نعتبر ونقول: لا يمكن لأية أمّة أن تنهض إلاّ بلغتها القومية، وإنّ اللغة الأجنبية فاشلة في تحقيق التقدّم والرفاهية. وما ينطبق على الهند ينطبق على الدول التي تعيش الثنائية أو التعدّد اللغوي، فهي لم تحقّق التنمية ولا التقدّم.

ـ النتائج بالجملة:

1. لا توجد لغة متقدمة ولغة متخلفة، وإنّما يوجد قوم متقدّمون اهتموا بلغهم فطوّروها، وقوم متخلّفون غرقوا في التخلّف، وبقيت لغتهم متخلّفة، وهذا ما يراه المختصّون "إنّ الكثير من الباحثين اللغويين يرى أنّه لا توجد لغة جامدة أو قاصرة أو (بدائية) وإنّما يوجد قوم (بدائيون) أو جامدون، فاللغة؛ أيّة لغة –فضلاً عن أن تكون العربية- قادرة دائماً على التطور والنمو واستنباط المفردات والتراكيب التي تلائم الحاجات الجديدة لدى أهلها [26]".

2. كلّ اللغات تحتاج إلى عناية وتطوير، وتحتاج إلى مزيد من المؤسّسات التي تعمل على تطويرها.

3. كلّ اللغات تحتاج إلى سند دولة تعمل على الفرض والتغريم حالة ما إذا مسّت في جانب من جوانب الاستهانة بها.

ـ الخاتمة: يجب القول بأنّ مسألة اللغة –أيّة لغة- تتصّل بالاختيارات الثقافية واللغوية التي يجب الفصل فيها بصرامة. وهذا ما تعمل به الأمم الراقية

فتفصل في البداية في المسألة اللغوية التي لا تصبح مسألة وقد يكون الخلاف بعد ذلك في المنهجية لا في الاختيارات الشعبية، والعربية ليست مسألة في الحقيقة، فقد فصل فيها في ماضينا وفي حاضرنا وفي دساتيرنا، كما فصل فيها من قبل الأجهزة العربية؛ وبخاصة المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي يجب أن ترفع العصا في وجه من عصا، إذا أرادت النهوض باللغة العربية للتوجّه نحو مجتمع المعرفة، ومن هنا يتحتّم علينا التعاون البيني للارتقاء بالتعليم أولاً والذي يعمل على ترقية اللغة العربية. ولكن مع كلّ هذه الأرمادة تشهد العربية انتحاراً لغوياً من قبل أهلها، بل وتُحارَب من قبلنا في المقام الأول ونعطي الفرصة للطاعنين والمتشبثين باستعمال اللغات الأجنبية، ونحن غافلون عن الانقراض الذي قد يلحقنا في الزمن القادم. وإنّ مهمّة النهوض بالعربية تقع علينا، ويتطلّب منّا هذا إعداد أجيال مؤمنة بلغتها، وإعداد معلمين أَكْفاء وتحضير الكتاب، والمترجمين، والباحثين، ومراكز البحوث والأدوات المنهجية، وتجنيد رجال الإعلام... وأروم من مسؤولينا الوعي بخطورة ما وَصَلْنا إليه من تهاون في المسألة اللغويةّ، وأدعوهم إلى تسجيل الموقف التاريخي الواعي باعتماد إستراتيجية واعية للفصل في المسألة اللغوية، بأن لا رجعة في ضرورة التعريب الشامل لتحصل التنمية المجتمعية كاملة.

ـ التوصيات:

ـ تعزيز الوعي اللغوي والانتماء إلى الأمّة ولغة الأمّة الفصيحة؛

ـ إصدار النصوص الملزمة لحماية اللغة العربية؛

ـ القيام بتخطيط لغوي متدرّج، ووضع سياسة لغوية وطنية وقومية بما يولي اللغة العربية الصدارة؛

ـ ضرورة اعتماد الترجمة من اللغات المتقدمة، وملاحقة آخر ما يصدر بتلك اللغات.

1ـــ عبد الله الساعدي "هوية الهوية" مجلة فضاءات. ليبيا: 2010، العدد الثامن والأربعون، ص 29.

2 ـــ عبد الرحمن العوضي "التجربة العربية في تعليم العلوم" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1997، مكتب تنسيق التعريب العدد 43، ص 68ـــ74.

3 ـــ عابدين الشريف، الإعلام والعولمة والهُوية المؤثِّر والمتأثِّر، ط1. ليبيا: 2006، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ص 34.

4 ـــ عبد القادر الفاسي الفهري، حوار اللغة، إعداد: حافيظ الإسماعيلي العلوي. المغرب: 2007 منشورات الزاوية، ص 196ـــ197.

5 ـــ حماني أقفلي "اللغة والسلطان السياسي" مجلة المدرسة المغربية. المغرب: 2011، المجلس الأعلى للتعليم، العدد 3 (اللغات في المدرسة المغربية) ص 100.

6 ـــ جاك توبون وزير الثقافة والفرانكفونية، والمروّج لمصطلح (**العربفونية** Arab-francophonie) على أنّها قطب عربي فرنسي يضمّ (المغرب+ الجزائر+ تونس+ مصر+ لبنان+ سورية+ موريتانيا+ جزر القمر+ جيبوتي) والغاية من العربفونية هو التعايش اللغوي العربي الفرنسي. ولكن في إطار ضعف العربية ماذا يحدث، وفي إطار ضعف الإعلام العربي وقلة المؤسّسات هي نوع من المحاكاة السلبية ليس إلاّ.

7 ـــ ممدوح خسارة، قضايا لغوية معاصرة. دمشق: 2003، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ص 104.

8 ـــ جان لوي كالڤي، السياسة اللغوية، تر: محمد يحياتن، ط1. لبنان: 2009، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص 121ـــ122.

♥ـــ حدث ذلك في القناة الفرنسية TF1 عندما قالت وزيرة الصحة Ces choses là sont banaux ورصدت الصحافة الفرنسية في صبيحة اليوم خطأـــ الوزيرة في جمعها كلمة (banal) على (banaux) بدل (banals) وشنّت حملات إعلامية على وزيرة فرنسية لا تتقن لغتها الفرنسية حتى اعتذرت أمام الجمهور الفرنسي، وصحّحت الخطأ، وقدّمت استقالتها لرئيس الجمهورية.

9 ـــ الجمهورية السورية، لجنة تمكين اللغة العربية، ط1. سورية: 2008، ص .

10ـــ أحمد درويش، إنقاذ العربية إنقاذ الهوية ... تطوير اللغة العربية، ط1. القاهرة: 2006 شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 32ـــ33.

11ـــ محمود السيد، اللغة العربية "واقعاً وارتقاءً". دمشق: 2010، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ص 19ـــ20.

12ـــ علي القاسمي، العراق في القلب، ط1. لبنان: 2010، الدار العربية للموسوعات، ص 247.

13ـ ينظر موقع wilid German-language / .www.wikipedia.org بتاريخ 20 أكتوبر 2010م.

14ـ محمود السيد "اللغة والهوية" محاضرة ألقيت في ندوة الجزائر الموسومة: تعريب التعليم والتنمية البشرية. الجزائر: 2010، المجلس الأعلى للغة العربية، 11ـ13 أكتوبر 2010.

15ـ إنيّة وأصالة. الجزائر: 1975، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

16ـ علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية. القاهرة: 2006، دار الفكر العربي، ص 122.

17ـ علي القاسمي "إصلاح الجامعات العربية والتنمية البشرية" محاضرة أُلقيت في ندوة الجزائر حول: تعريب التعليم العالي والتنمية البشرية. الجزائر: 2010، المجلس الأعلى للغة العربية 11ـ 13 أكتوبر 2010م.

18ـ عن موقع Google بتاريخ: 5 جويلية عام 2010.

19ـ عيسى عودة برهومة "التعليم بالأجنبية صورة من غربتنا الحضارية" مجلة ملتقى (التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي). القاهرة: 2006. مؤتمر انتظم في جامعة القاهرة كلية دار العلوم في: 14ـ15 فبراير 2006، منشورات الجامعة ص 199.

20 ـ ينظر: بلقاسم مگريني، كيف أغنى اليهود لغتهم، ط1. المغرب: 2008، البوكليلي للطباعة والنشر والتوزيع.

21ـ أحمد درويش، إنقاذ اللغة إنقاذ العربية ... تطوير اللغة العربية، ط1. القاهرة: 2006 شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 106 .

22 ـ محمود السيد، اللغة العربية واقعاً وارتقاءً. دمشق: 2010، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ص 40.

23 ـ علي القاسمي، جريدة القدس العربي. لندن: بتاريخ: 12 تشرين الثاني (نوفمبر) العدد 6665.

24 ـ محمود السيد، دراسات تربوية. دمشق: 2010، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ص 86

25 ـ عبد الصبور شاهين "مجلة ديوجين، مصباح الفكر. القاهرة: 1976، العدد الرابع والثلاثون، ص 10.

26 ـ علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية. القاهرة: 2006، دار الفكر العربي، ص 29.

التّلازم بين اللّغة والتّقدم العلمي

الطالبة: نضيرة قاسمي
جامعة تيزي وزو

مقدمة: يوسم عصرنا الحالي؛ بعصر العولمة (globalisation) وثورة تكنولوجيا الإعلام والاتّصال، ويوصف بعصر اقتصاد المعرفة وحرب اللّغات والسياسات اللّغوية♣. وغدت لغة العِلم هي لغة تخاطب العصر في ظل التّقدم العلمي والتّقني من مباحث الساعة. وينظر إلى اللّغة العِلمية على أنّها اللّغة الرّائدة في أقطار المعمورة كلها على اختلاف أجناسها ولغاتها وثقافاتها. من مبدأ أنّه باللّغة تُصنع المفاتيح لمغاليق المعرفة، وبها تُجسّد طرق التّقدم الحضاري الذي وفّر وسيوفر أسرع وأوضح الاتصالات لانتقال وتبادل العلوم والمعارف في كل المجالات وأدق التخصصات. ونجد في المقابل أنّ هذا العصر الذي غَيَّر فيه العِلم الكثير من أساليب حياة الإنسان وطرق تفكيره؛ أصبحت معه العديد من اللّغات يوما بعد يوم مهددة بموجة التّحولات، باسم العولمة بكل تجلياتها. فأضحى العالَم وكأنّه قرية صغيرة يتقدم بتخطي أشواط مذهلة، ويعتمد لغةً تكاد تكون واحدة وعالمية في قالب التّمدن العالمي، مختزلا مسافات البُعد بين الأمم ومتنكرا للتّعدد اللّغوي العالمي وتنوع الثّقافات، حتى غدت آلاف من اللّغات الطّبيعية تنمحي يوميا في جُذاذة اللّغات البشرية.

الإشكالية: نتساءل من وجهة نظر لغوية عن سبب التّقدم العلمي الحاصل في الدّول المتقدمة هل هو راجع إلى سياساتها اللّغوية، وتوظيف لغاتها في التّنمية المعرفية الشّاملة؟ وفي المقابل نتساءل عن سبب إخفاق بعض الأمم في تحقيق التّقدم العلمي؛ هل هو نتيجة ضعف استخدام لغاتها، أم لعدم الحفاظ عليها وسوء الخطاطة المنتهجة في أمصارها؟ وهل هناك علاقة حتمية بين أيّ لغة

طبيعية والزّخم المعرفي والتّقني الذي تشهده البشرية؟ وهل يوجد إمكانية لأيّ لغة في عصرنا الذي يُكنى بعصر العولمة اللّغوية؛ لتساهم في سير قاطرة الرّكب الحضاري ودفع عجلة التقّدم العلمي، أم أنّ العالَم ينزع إلى لغة واحدة هي لغة الحضارة والعِلم، ولا مجال لتعدد اللّغات أو تعايشها؟ فما مصير اللّغات البشرية إذن، وما واقعها في العالَم بما تشهده من حراك مستمر وتقلبات سريعة بفعل التّغيرات التي تحيط بها؟ وهل كلما استخدمنا لغة الأمم المتقدمة، كلما وصلنا بذلك إلى بلوغ درجة تقدمها، أم السّر لا يكمن في ذات اللّغة؟ ومن ثمة هل يجوز القول؛ إنّه يمكن أن تلحق الرّكب الحضاري؛ إذا ما اعتمدنا لغتنا القومية في التّحصيل العلمي، دون إحداث أيّة عقدة نقص تُجاه ما يقدم اليوم من معجزات التّكنولوجيا؟ فنستوعب حينها الحضارة بكل جوانبها ونصير في عِداد الدول المتقدمة عِلميا، ونسهم في دفع عجلة التّقدم العلمي، مع عدم التّخلي في الوقت ذاته عن هويتنا وثقافتنا التي تتجلى أكثر في لغتنا، ولا نبقى نكرات في عالم المعرفة.

وفي مقالتي هذه أسعى للتّعرف على بعض خبايا الموضوع، التي تصب في مجال أيّ لغة طبيعية، وارتأيت وصف واقع اللّغات البشرية ككل وعلاقتها بالتّقدم العلمي، استنادا إلى تجارب بعض الأمم الحية في الحفاظ على لغاتها وتوظيفها في الحياة والعِلم والمعرفة. والعِبرة في ذلك كله؛ الاستفادة من تجارب بعض الأمم المتقدمة التي تُعنى بلغاتها كما تُعنى بتقدمها. والتّطلع إلى إيجاد بعض المبررات لاعتبار اللّغة العربية؛ لغةً علمية أو لغة غير صالحة للعِلم.

1) تحديد المفاهيم الأساسية للبحث: يقول المفكر الفرنسي **فولتير Voltaire (1778م)** إذا أردت أن تتحدث معي فحدِّد مصطلحاتك. ومنه نحدد المصطلحات الأساس لعِنوان البحث، والمتكونة أساسا من ثلاث وحدات لغوية هي: التّلازم، واللّغة، والتّقدم العلمي.

أ. مفهوم التّلازم: نقصد به العلاقة الجدلية بين اللّغة والعلم*، وهي العلاقة اللّزومية التي تُقرّ على أنّ وجود طرف يستلزم الطرف المقابل. وتؤكد على الصلة المتينة بين ثنائية اللّغة والتّقدم العلمي.

ب. مفهوم اللّغة: تعددت التّعريفات التي تحدد ماهية اللّغة سواء أعند علماء العربية قديما أم حديثا، وتنوعت مفاهيمها لدى علماء الاختصاصات الأخرى كعلماء النفس وعلماء الاجتماع، وحتى لدى علماء الفقه والكلام. وإذا أردنا التّوسع في تحديدها يمكن لنا كذلك التّبحر في أمّات المعاجم العربية وتصفح بطون الكتب الغربية. لكن نكتفي بعرض أشهر التّعريفات اطرادًا في هذا المجال.*أمّا التعريف اللّغوي فيوضّحه **ابن منظور(ت711هـ)** في معجم لسان العرب؛ أنّ "كلمة اللّغة مشتقة من الفعل لغا يلغو: إذا تكلم؛ فمعناها الكلام". [1]
وأمّا المفهوم الاصطلاحي للّغة؛ فنجد **ابن جنّي (ت392هـ)** يقول معرفاً اللّغة في كتابه الخصائص إنّ "حد اللّغة؛ أصوات يعبِّر بها كل قومٍ عن أغراضهم". [2]
ونجد رائد اللّسانيات **فرديناند دي سوسير F. Saussure (ت 1913م)** في كتابه (**cours de linguistiques général**: محاضرات في اللّسانيات العامة) يعرّف اللّغة بأنّها نظام من الأدلة والعلامات، كما يعتبرها ظاهرة اجتماعية مُتأثرا بالنّظرية الاجتماعية عند **إميل دوركايم E. Durkheim (ت1917 م)**.

ج. مفهوم التّقدم العلمي: قلّما عرفت كلمة من الشّيوع والانتشار، ومن التّأثير في العقول مثلما عرفته كلمة التّقدم العلمي في عصرنا المعاصر، حتى خُيّل للبعض أنها المفتاح السّحري للنّهوض الاقتصادي والاجتماعي، والمدخل الأمين إلى عالم القوة والتميز. لهذا نقصد بالتّقدم العلمي؛ السيرورة الحضارية في مجال المعارف الإنسانية، ومجالات صناعة التّكنولوجيا من علوم الأرض نحو رصد الفضاء. وما تتيحه الأبحاث العِلمية المعاصرة من اختراعات وابتكارات في جميع نواحي الحياة المعاصرة. ونعني به كذلك التطوّر الذي تشهده وسائل الحياة لتحقيق الرفاهية والرّغد لتسهيل الحياة البشرية؛ بدفع عجلة العِلم نحو الازدهار

والنّماء. وما يُلفِت الانتباه؛ أنّ التّقدم العلمي في مُعظمه تحتضنه الدّول الغربية والتي تُكنى بالدّول المتقدمة في قالب العولمة والنّهضة العِلمية المتفجرة. وتجدر الإشارة كذلك إلى أنّ للتّقدم العلمي وسائله المتعددة، وتعتبر اللّغة جوهر هذه الوسائل، فهو يرتقي باللّغة -العِلمية- ويُفهم بها في كل مراحله.

2) جدلية اللّغة بين التّقدم والتّخلف العلمي: إنّ الحديث عن اللّغة والتّقدم العلمي والتّقني يحمل في طيّاته السؤال التالي: هل تصلح أيّ لغة لأن تكون وعاءا متسعا لحضارة معاصرة زاهية؟ وبعبارة أخرى هل تصلح جميع اللّغات البشرية لأن تعبّر عن مفاهيم ومستحدثات العصر؟ أم أنّها عاجزة عن ذلك وعليها بالتالي أن تنحسر وتتراجع لتفسح المجال للغة أخرى لأن تكون لغة العِلم بدلا عنها في أرضها. عِلما أنّه لا مجال للتّساؤل هل هناك فكر من غير لغة؛ إذ "ليس الفكر -باطنيا- ولا وجود له خارج العالم وبعيدا عن الكلمات. وما يخدعنا هنا ويجعلنا نؤمن بفكر يمكن أن يوجد في ذاته قبل التعبير عنه، هو تلك الأفكار التي تكون قد شكلت وعبر عنها فيما سبق، والتي بإمكاننا أن نتذكرها في صمت، فنتوهم حياة باطنية، غير أنّ هذا الصمت في حقيقة الأمر يضج بالكلام، وهذه الحياة الباطنية لغة -باطنية- وليس الفكر الخالص إلاّ وعيا فارغا ".[3] ويقول **هيجل Hegel (ت1831م)** في كتابه (فلسفة الروح) إنّنا لا نفكر إلاّ داخل الكلمات. أما إذا ما عدنا إلى تراثنا القديم فنجد كذلك **فخر الدين الرّازي(ت606هـ)** يؤكد على مسألة تلازم الفكر واللّغة، في المسألة الحادية عشرة في تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) [4].

وللإجابة عن فحوى هذا الإشكال؛ ننطلق من فكرة أنّ اللّغة من أهم مؤسسات كل أمة، فأيّ لغة طبيعية -باستثناء اللّغات البدائية- تحمل في طيّاتها من القدرات والإمكانات ما يجعلها لغةً للفكر والثقافة، ووعاءًا للمعرفة وأداتها الأساس. لذلك تُعد اللّغة مرآة نرى فيها نواحي الثقافة لآداب وعلوم الأمة. وما أنتجته وتنتجه عقول أبنائها في فروع علوم الدنيا. ولا مفر من منطق الواقع؛ أنّه لا

يمكن لأيّ أمة أن تتقدم دون أن تعمل على بيئة العِلم؛ من خلال أخذ العلوم والمعارف بلغتها، ثم عن طريق الترجمة، حتى تمسك بزمام آفاق البحث العِلمي والتّقدم الحضاري. وتتضمن الحتمية اللّغوية أنّ " اللّغة الأكثر تحضرا هي التي تفرض نفسها على اللّغات الأخرى والمراد باللّغة الأكثر تحضرا هو أن يكون الناطقون بها أكثر إبداعا فنيا وتقنيا وأقدر على التفكير السليم وعلى الانفتاح الذهني. وهذه اللّغة التي يمتلك أبناؤها هذه الخصائص تسود على اللّغات الأخرى" [5] لأنّ اللّغة مرآة عاكسة للأمم التي تنطق بها، وعلى سبيل المثال لا الحصر والتضييق؛ فالباحث الذي ينتج ويخترع فإنّ براءة الاختراع تكون باسمه ويشرح وظيفة ذلك الاختراع بلغته التي وظّفها في تحصيله العِلمي. وبعدها يوظّف تلك اللّغة في مسيرة عمله واكتشافاته، وبالتالي يُسهِم في تطوير هذه اللّغة. لكن ما نلاحظه اليوم من هجرة الأدمغة إلى الغرب حيث التّقدم العِلمي الباهر؛ هي أدمغة عربية تنتج باللّغة الأجنبية، لتسهم في تلك البلدان وتطوير لغاتها في المجال العِلمي - جنبًا إلى جنب مع أبناء تلك الأمم - بلغتهم على حساب لُغته التي فُطِّر عليها ذلك العالِم في وطنه. ليمضي بذلك وثيقة العهد الأبدي على تخلف لغته وموتها لأنّ عِماد التّنمية اللّغوية هو الإنسان؛ فهو أداتها وغايتها في الآن ذاته. لا يستطيع هذا الأخير أن يُسهِم بقدرة وكفاءة في عملية التّنمية، أو أن يتفاعل مع بيئته؛ إلاّ إذا كان فكره ولسانه منسجمين مع ذاته. والطامة الكبرى أن تعتمد البلدان المتخلفة – ومنها الدّول العربية- اللّغات الأجنبية لتدريس العلوم في عُقر دارها، ظنًّا منها أنّها تُساير الرّكب والعصر؛ في حين هي تزيد في تعقيد درجة التّخلف وتأكيد التّبعية للآخر المتفوق باستيراد لغته وسلعته العِلمية.

3) لماذا الحديث عن العولمة اللّغوية في ظل التّقدم العلمي؟ تُعرف العولمة لغويا أنّها كلمة " مشتقة من عالَم، وتُجمع على عوالِم. والمصطلح العربي ترجمة للكلمة الانجليزية **Globalization** المشتقة من **Globe** التي تُعرف بأنّها الكرة الأرضية. والعولمة هي مصطلح غربي يعني جعل العالَم واحدا، لا اعتراف

بالحدود أو الديانات أو الوطنيات" [6]. وتواجه اللّغات تحديات كبيرة إزاء الثورة العِلمية والتّقنية العاصفة في عصرنا، الذي يتّسم بسمات متعددة وخصائص متفردة فهو عصر العولمة التي تضاربت تعريفات العلماء والباحثين حول مفهومها وذلك ناتج عن حداثة المصطلح وجِدّته وتوسّع مجالاته، وتسارع تطبيقاته. ومن تلك التّعريفات تعريف **نبيل علي** أنّ "العولمة مصطلح حِقبة التسعينات بلا منازع وقد تواتر استخدام مصطلحها... قد أصبحت شاغلا أساسا للتّنظير الثّقافي من الإعلام إلى الإبداع، ويقود عولمة أيامنا أباطرة المال، وروّاد تكنولوجيا المعلومات. وهناك من لا يرى في العولمة أيّ جديد؛ بل هي قديمة قِدم الإمبراطوريات، على النّقيض من ذلك هناك من يراها ظاهرة إنسانية لم تعهد البشرية مثلها من قبل. ولنا أن نختار في وصفها ما نشاء: رأسمالية تكنولوجيا؛ رأسمالية معلوماتية رأسمالية ما بعد الصّناعة..." [7]وهو عهد العِلم والتّقانة، وزمن التغيرات الطارئة والاجتياح التّكنولوجي، الذي ميدانه الدّول المصنّعة، وساحاته الجامعات والمختبرات، التي يعمل فيها كوكبة من الباحثين ويُنفَق عليها بسخاء باعتبار أنّ البحث العِلمي من أفضل أنواع الاستثمار.

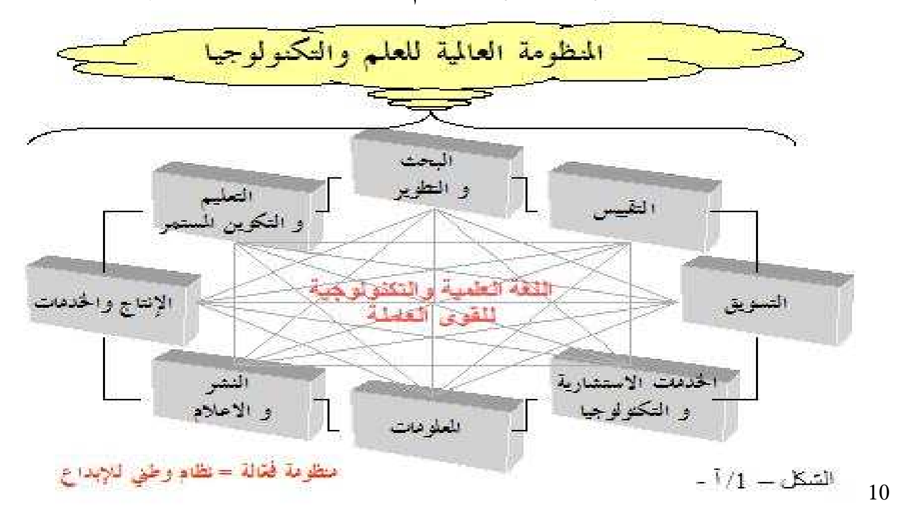
وتحولت العولمة بذلك إلى ثورة "لا تدور في فراغ بل تشكّل جانبا مهمًا من خطاطة التّنمية المستديمة في تلك البلدان، وليس في صالحنا أن نقف مكتوفي الأيدي لأننا بذلك نحكم على أنفسنا بالتخلف الدائم والعجز المستمر". [8] فَعاصفة العولمة لم تتوقف تأثيراتها ومفاعيلها على الأبعاد المادية لحياة الإنسان وسلوكه فحسب، بله اكتسحت أيضا ساحة الوعي، حتى بدت سرعة إحلال المعلومات واستبدالها مخيفة؛ إمّا على مستوى وسائل الحياة اليومية، أو على مستوى الظواهر الاجتماعية، فَنَجَم عن هذه العملية السّريعة والمركبة تصاعد وتيرة الاغتراب النّفسي والاجتماعي. وأكثر ما انعكست عليه في اللّغة.وكثيرا ما يتردد على مسامعنا من عبارات تصرّح بواقع اللّغات في العالَم على نَحْوٍ، أنّه لا مجال للتّواصل أو لاستعمال لأيّ لغة غير اللّغة العِلمية، أو ما يسمى بلغة العصر

وفوق كل هذه العبارة التي تحمل في طيّاتها مكائد العولمة، أنها تنادي لِلغةٍ واحدة. وكأنّي بها تريد العودة إلى العصبية التي تتجلى عند طفولة الأمم في لغتها الوحيدة – البدائية- أو تَمثُّل لغة (**الإسبرانتو**)♦ الأسطورية وإن حصل ذلك فالمقصود بها، هي اللّغة الإنجليزية تحت نِقاب العولمة وأمركة العالَم.

وعليه نتساءل؛ ماذا يمكننا القول الآن بعد أن باتت حتى المقولة المركزة بتحول العالَم إلى قرية صغيرة غير كافٍ لتوصيف الواقع؟ إنّه في الحقيقة أصبح أضيق من ذلك، وِفق ما يشهده العالَم من تحوّل متسارع للتّقنيات الحديثة وتدفّق رهيب للمعلومات، حيث انتشرت الاتّصالات السلكية واللاّسلكية. ورافق ذلك ظهور كَمٌ كبير من المصطلحات، التي تتوالد في كل ثانية من عمر الحضارة، وتسهم في تنمية بعض اللّغات النّاشطة، والمُوظّفَة في الحقول العِلمية والمعرفية. وقد دخلت معظم هذه المصطلحات إلى لغات العالَم شاءت ذلك أم أَبَتْ. وفي نفس الوقت يُشار إلى هذه المصطلحات العِلمية في عصر العولمة؛ أنّه لا يمكن لأي لغة أن تستوعبها وتتداركها إلاّ اللّغة العِلمية الواضحة، والسّهلة المنال. ومنه يتّضح أنّ العولمة تسعى إلى هيمنة نموذجٍ لغويٍّ واحدٍ كما تسعى إلى هيمنة نموذجٍ اقتصاديٍّ واحدٍ، إنّها هيمنة اللُّغة الإنجليزيّة.

4) إشكالية لغة العلم أم اللّغة العالمية: يُقصد باللّغة العِلمية؛ اللّغة التي يستطيع بها الفرد أن يستوعب ما هو متاح من علم وفكر، وهي اللّغة التي تُمكّن أفراد الأمة بدقتها من تأصيل علومهم وترقيتها. أمّا المصطلح العِلمي "فهو بلا ريب ضرورة ماسة للتعبير العلمي؛ ولكن ينبغي أن نلاحظ النص العِلمي أنّه ليس جملة من المصطلحات؛ بل هو شرح وتفسير. وتُعد اللّغة العِلمية في مبدئها لغة محدثة، ولكي يجد المرء آذانا صاغية داخل المدينة العلمية، ينبغي أن يتكلم علميا لُغة عِلمية." [9] وإنّ علاقة التِّقانة الحديثة باللّغات الطبيعية هي علاقة وثيقة إذ أصبح تشغيل الحاسوب بكلمة نكتبها أو نقولها. فإن كانت هناك آثار متبادلة بين الثورة المعرفية والتطور اللّغوي، فهذا يتطلب جهدا لغويًا في تطوير

الأبحاث، لتعمل كل الرّكائز التّقنية في تكامل لِتَقدُّم البشرية، ولقد أصبح من الممكن أن تنتقل المعلومات حول العالَم في زمن متناه في الصغر.



الشكل – 1/آ - [10]

يبيّن الشّكل أعلاه تمثيلاً للمنظومة العالَمية للعِلم والتّكنولوجيا ونلاحظ أنّ اللّغة العِلمية هي محور هذه المنظومة. ونُرجِع هذا المركز إلى مِحورية اللّغة في منظومة الثقافة والمعرفة الإنسانية نتيجة لتعاظم الدور الذي تلعبه اللّغة في جميع العناصر الفرعية لمنظومة الثقافة في مجتمع المعرفة والتي تشمل الفكر والإبداع، والأقطاب المكونة لها.

أمّا الشّق الثّاني من هذا الإشكال، والذي يُركّز على اللّغة العالَمية فقد تساءل بعضهم عن معايير العالمية لأيّ لغة، وما مدى انطباق تلك المعايير على اللّغة العربية؟ وتتعدد الإجابات حول هذا السّؤال، لكن على العموم يجمع الرأي على أنّ معيار العالَمية لأيّ لغة " يتحقق بمدى قدرة أصحابها على تطويرها، لاستيعاب كل ما يستجد من أدوات الحياة المتغيرة ومعانيها وقيمها وألفاظ حضارتها وبمدى أصالة كُتابها وعلمائها ومفكّريها، في التّعبير وتناول المفاهيم الإنسانية الشّاملة. وتصير اللّغة عالمية بمضمون ما يُكتَب بها، وما يطرحه مفكروها من معان وأفكار وقيم ومفاهيم وألفاظ في مختلف فروع المعرفة الإنسانية". [11]

لكن إذا ما أنعمنا النّظر في المعيار الحقيقي في هذا الوقت يمكن لنا القول؛ إنّ عالمية اللّغة تكمن في مدى إنتاجها العِلمي، واختراعها التقني وابتكاراتها التكنولوجية، وهذا ما ينطبق على اللّغة الانجليزية التي تأتي في مقدمة مصاف اللّغات الحية.

5) الإنتاج والابتكار باللّغة القومية أصل الحضارات: تُعتبر اللّغة التي ينطق بها أفراد قوم ما؛ من أهم مقوّمات الشخصية القومية لهم، والتي انتقلت إليهم منذ زمنٍ موغلٍ في القِدم تُواترها الأجيال المتعاقبة على ألسنتها عقيدةً وفكرًا وأدبًا. لذلك يتأكد الحرص على التمسك باللّغة القومية، وجعلها أداةً للتّعبير اليومي والمعرفي، في كل مجالات الحياة الآدمية. ولا يجوز اتهامها بالقصور، ولا مجال لزعزعة مكانتها في نفوس أصحابها؛ فهي تغلغلت في وجدانهم قبل عقولهم. هذا على مستوى الأفراد. أمّا فحوى المسألة إذا ما نظرنا إليها من زاوية تكوين الحضارات الإنسانية؛ فقد أُنجِزت هذه الأخيرة وامتلكت ناصية التّقدم على مَرِّ الأزمان، باللّغة المعروفة في كل حقبة.

إذ نجد الحضارة الفرعونية، وقبلها الحضارة الصينية كانتا في قمة التطوّر، والبراعة في شتى العلوم المعروفة في وقتها. وقد أُنتِجت هذه الحضارات بلُغاتها القومية، وإذا عبرنا إلى الحضارة اليونانية، فهي في ذروة الازدهار الثقافي والفلسفي، وفيها بدأت تتبلور العلوم المعروفة حاليا، وقد وصلت إلى بلوغ تلك الدّرجة بلُغتها، وليس باستعارة لُغات الحضارات الأخرى؛ كون " التّعليم باللّغة القومية أمر طبيعي، تحرص عليه جميع الأمم، لا يخرج عن هذا الإجماع إلاّ أصحاب اللّغات البدائية الفقيرة في المفردات والمجردات، من أمثال الإفريقيين والغجر والاسكيمو. أو أصحاب اللّغات المحلية التي بلغت من التشتت والتعدد ما جعلها متدابرة لا يربط بينها رابط، مما اضطر أهلها إلى لغة أجنبية عنهم كالهنود. فمثل هذا الصنيع يعزل اللّغة القومية عن مصادر الحياة والنّماء وقد يقتلها" [12] والشّأن ذاته للّغة العربية التي عرفت هي الأخرى حضارة عظيمة

خاصة العصر العباسي، وفي فردوس الأندلس؛ إذ نجد علماءها برعوا في شتى المجالات؛ في الطب، والهندسة، والكيمياء وغيرها من علوم جليلة عرفها العرب ولم يجدوا عائقا في ذلك؛ بله نجد أنّ العلماء الغربيين في ذلك الوقت ينهلون من هذه العلوم بالعربية.

ولرُبّما يقول قائل؛ إنّ العصر الحالي غير العصور الماضية، حيث الحضارة الإنسانية تسير ببطءٍ شديد، ويُمكن لأيّ لغة أن تستوعب العِلم بتأنٍ. أماّ في الزّمن الحاضر حيث الانفجار المعرفي والتدفق العِلمي المذهل، فلا يمكن أن تسايره أيّ لغة إلاّ اللّغة العلمية؛ التي تمتاز بمواصفات محددة كاللّين والسّلاسة والوضوح والدّقة. لكن نرد على هذا الزعم بأنّ البحث العِلمي الذي يُعد معبرًا لِغرس العلوم الحديثة، وتوطينها في لغة أمةٍ ما؛ ليس بعملية بمستحيلة، أو بمعجزة غربية بقدر ما هي ظاهرة إنسانية مرتبطة بالذّكاء الطّبيعي للبشر قبل ظهور الذكاء الاصطناعي. ولن يتأتى ذلك لأيّ حضارة إنسانية بمعزل عن مبادرتها وطاقاتها المادية والمعنوية، ومنها الطاقات اللّغوية خاصة. بمشاركة أبناء الأمة مشاركة فعّالة، في إنتاج المعرفة العلمية كون " البحث العِلمي ليس شيئا يمكن استيراده، بل هو إنتاج جماعي يأتي ضمن شروط معينة؛ فهو نشاط فكري وعملي تدفع إليه إرادة المجتمع في التعبير والتقدم، وتتحدد مساراته وخططه وبرامجه ومشروعاته وفقا للأهداف التي يتوخى المجتمع تحقيقها والتي تشكل الموجه لنشاطاته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية "[13] لأنّ البحث العِلمي وإن تعددت مقوماته فإنّ الباحث العِلمي أو المتخصص التّقني يظل باعثه وصانعه. ولا يقوم تكوينه على المعرفة العِلمية والتّقنية فحسب؛ بل كذلك على اللّغة التي يؤدي بها البحث العِلمي.

6) ضرورة الوقوف على علوم الغير وحدود الاستعانة باللّغات الأجنبية: إنّ الكم المعرفي في أيّ لغة لا ينحصر في نتاج العلماء الناطقين بتلك اللّغة وحسب إنّما يتوسع إلى المعرفة العِلمية المنقولة إلى تلك اللّغة من اللّغات الأخرى، وإنّ أنجع

الوسائل للإحاطة بالمعارف العلمية المستجدة واستيعابها والإفادة الكاملة منها هو المشاركة الفعّالة والمبدعة، حيث لا يكفي مجرد النّقل الحرفي عن الآخرين. ولأنّه حسب نظرية **ابن خلدون (ت808)** الارتقائية فإنّ: الأمة المقلّدة تظل تابعة ومتخلفة. فلا بد من تتبع ما يُستجد من علوم وبحوث في اللّغات الحية؛ عن طريق الترجمة والتعريب والاشتقاق. وليس الهدف من ذلك مجرد الترجمة والنقل الحرفي، أو رياضة الفكر في موضوعات ليست معروفة. ولكن الهدف منها هو إثراء اللّغة القومية لتخدم العِلم وتسهم في الحضارة المعاصرة بمصطلحات متداولة، ومخرَجات التّكنولوجيا المتطورة التي صارت إرثا للإنسانية جمعاء.

وإنّ لغة البحث العِلمي تزدهر بنهضة البحث العِلمي، ونقل التكنولوجيا إليها، وتدخل معها ألفاظ جديدة، ويتحتم على المترجم عند النّقل إلى اللّغة القومية أن يحترز ويفرّق بين التّعبير الأدبي، والتعبير العِلمي؛ لأنّ هذا الأخير يُعبِّر عن الأفكار بقدر متسق من العبارات، لإبراز الحقائق العِلمية المحسوسة والمجردة منها دون المبالغة في العاطفة أو إسراف في جنوح الخيال. أمّا إذا اكتفينا دائما في أخذ العلوم بلغات أجنبية وحسب؛ فهذا له تبعات وانعكاسات فإذا " فرضنا على الطالب أن يتلقى علومه بتلك اللّغات، فرضنا عليه أن يواجه مشقتين: مشقة تحصيل المادة العلمية ووعيها، ومشقة فهم اللّغة التي تلقى بها هذه المادة. أمّا إذا فرضنا عليه الدراسة باللّغة العربية؛ فإنّنا نعصمه من إحدى المشقتين ونوفّر له جهدا يمكن أن يستخدمه في التحصيل العلمي وحدة ".[14]
وإن كان معلوم أنّ الحركة العلمية لدى العرب والمسلمين بدأت بأعمال الترجمة؛ لكن عندما طويت المسافة المعرفية بينهم وبين ما كان من علوم لدى اليونان والفرس، جاءت تآليفهم باللّغة العربية في هذه المعارف جميعها. وهو الأحرى بالبلاد العربية اليوم أن يكون هذا النّهج من ثوابت سيّاساتها. لأنّ عبقرية اللّغة تكمن في عبقرية أهلها والتي تتمثل في قدرتها على احتواء العلوم

لإرساء كيان التّقدم، وللإسهام في خطاطة التنمية الشاملة دون إحداث القطيعة مع علوم الغير أو لغاتهم.

ونجد البلدان النّاهضة تسعى إلى استيعاب الكمّ المتزايد من المعلومات لتحويل المعلومة إلى معرفة لتمكين الذات في بناء توطين العلوم كرصيد معرفي وطني. وتمثل اللّغة الإنجليزية حوالي 85٪ من جملة الرصيد المعرفي العالمي؛🗀 إذ قدرت مجلة **نيوزويك** تكلفة الترجمة لعام 1998 بحوالي عشرين مليار دولار لإصدار مائة ألف عنوان مترجم سنوياً، وجاوزت جملة الإصدارات في التأليف والترجمة 830.000 عنوان سنوياً، وارتفعت كلفة الترجمة حالياً إلى 60 مليار دولار سنوياً. وتقوم اليابان بترجمة 1700 عنوان وبمعدل مليون صفحة سنويا. ومع أنَّ الإصدارات معظمها باللّغة الإنجليزية 85٪ من الإصدار العالمي، إلاّ أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بترجمة كثير من البحوث العِلمية المحكمة للّغة الإنجليزية، بالإضافة إلى ترجمة الرّصيد الثّقافي والمعرفي لحضارات العالَم. ويبقى عالمنا العربي يشهد حالة من الانحطاط في التطبيق العملي لترجمة الإصدارات العِلمية، وما يصاحب ذلك من تعريب للمصطلحات العِلمية، ♣ إذ بلغ عدد الكتب المترجمة ما يوازي ما تترجمه إسبانيا في عام واحد.⊕

7) بين الهيمنة اللّغوية والتّبعية المعرفية: من أثار مظاهر العولمة ونتائجها هو ما تعكسه من أخطار تحدّق بهُويّات ثقافة الشُّعوب ولُغاتها، ذلك لأنّ " مكوّنات الحضارة والمعرفة تكاد تنقل جميعها إلى جميع أصقاع المعمورة باللُّغة الإنجليزية؛ جميع مجالات الحياة الفكريّة الثقافيّة والتّعليميّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة. وتقود هذه الهيمنة إلى تلويث ثقافات الشُّعوب تدريجيًّا، يختفي وراءها وجه الثّقافة الأصليّ، ولا يلبث أن تضمحل صورته وتطمس معالمه وآثاره " [15] لذلك تؤمن بعض الأمم؛ بأنّ الأمة التي تهتم بلغتها هي أمةً متقدمة راقية تسعى نحو التّقدم العلمي والإنساني، مآخذةً في ذلك بسياسة التمجيد اللّغوي في العالَم، وتستبسل في الدّفاع الضاري عنها. وهذا ما ولّد هيمنة حضارة أو ثقافة

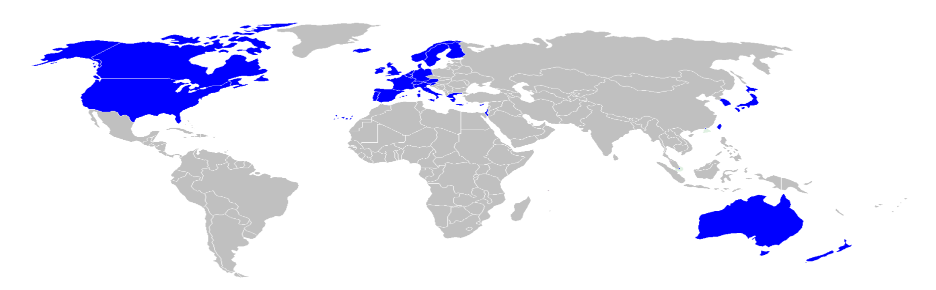
قوية على الأمم المستضعفة في الأرض، برزت خلفياتها أكثر في هيمنة لغة على حساب لغة أخرى في العالَم، وزادت معها التّبعية العِلمية والمعرفية.

ويشير تقرير الأمم المتحدة حول التّنمية البشرية في العالَم إلى أنّ سرعة تقدّم العلوم والمعرفة عامّةً، والاتّصالات والمعلوماتيّة منها خاصّة، جعل وقع ضربات العولمة أشد وقعًا على المجتمع الدولي، واقتصاد السوق، والمعرفة العلمية، واللّغة القومية. فهناك أمثلة نموذجيّة لأمم حية تواجه واقع التّغيُّرات السّريعة في العالَم في مجال الاتّصالات والمعلوماتيّة والتّقدم التكنولوجي المذهل لِتجعل من التّقدم الّذي يسير عالميًّا في اتّجاهٍ واحدٍ هو اتّجاه الأقوى الّذي فرض نفسه باسم وسائل العولمة وطغى على الاتّجاهات الأخرى في العالم. ومما تُقِرُّ به منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم (**اليونسكو**) حماية جميع اللّغات وتشجيعها والمحافظة عليها. وترى المنظّمة أنّ المدخل اللّغوي هو من أهم مداخل الحوار الحضاري، وأنّ الدّفاع عن تعدد اللّغات هو دفاع عن تعدد الحضارات، وعن نظرات مختلفة لتفسير العالَم. وللدّفاع عن هوية اللّغات في العالَم. وأصدرت منظّمة اليونسكو قرارًا يؤكّد على ضرورة الحفاظ على التّنوّع الثّقافيّ في العالَم؛ وإن كانت الأمم المتحدة اعتمدت كمنظمة عالمية ست لغات لتكون هي اللّغات الرسمية المتداولة في أروقتها وهذه اللّغات هي: الإنجليزية، والفرنسية والروسية والصينية، والإسبانية، والعربية. فتحتل اللّغة الإنجليزية المرتبة الأولى التي يُتحدث بها رسميا في قمم الأرض؛ ومنه إدراج اللّغة العربية ضمن لغات الأمم المتحدة، أصبح واضحا أنه لا بد أن ترقى اللّغة العربية إلى مصاف اللّغات العالمية.

8) تصنيف الدول المتقدمة عِلميّا: إنّ العالم المتقدم هو مجموع الدّول التي حققت تقدما في المجال الاقتصادي والصناعي أساسًا، وتتميز هذه الدّول بارتفاع مستوى المعيشة بها، وارتفاع الناتج القومي الإجمالي. ولقد كثُرت منها تلك الدّول التي خاضت تجارب ناجحة في النّمو ومواكبة التطور للنّهوض بتقدمها ولُغاتها. وتمكّنت خلال مدة وجيزة أن تتحول من دُولٍ مستوردة

للمنتجات المعرفية والتّقنية، إلى دُولٍ مُصدِّرة لها، بعد أن كانت من أهم مستورديها. وقد اعتُبرت تجارب تلك الدّول أنموذجاً قيّماً يُحتذى لدى الدّول الأخرى. نجد مثلا أنّ التّجربة الماليزية؛ تُعد من أكثر التّجارب جدارة بالدّراسة والتّأمل، لِما تتميز به من أفكار ومبادئ وإجراءات مكثفة. فكانت في بادئ أمرها تعتمد الانجليزية كلغة علمية في جامعاتها، وفي إنتاج المعرفة. فوجدت نفسها لم تُدرك التّقدم الذي برمجت له، فتداركت أمرها لتعود إلى لغتها الرّسمية، وتتخذها في التّعليم في كل أطواره، وفي فروع التّخصصات العِلمية وتستعين بعدها باللّغة الانجليزية كلغة ثانية للاستفادة من ما توصلت إليه وحققت بذلك تقدما عِلميا وحضاريا أهلّها لأن تكون ضمن الدّول المتطورة وتخرج من زمرة الأمم المتخلفة.

تؤكد هذه التّجربة أنّ اللّغة لا يمكن أن تكون بديلا عن ترصد المعرفة بأيّ لغة غير اللّغة القومية، لأنّها أداة للوصول إلى المعرفة والفهم والإفهام وهي التي ترسم للفرد صفات العالَم الذي يعيش فيه، بما يسمح له بالمشاركة الفعّالة. وهناك دُول حققت معجزة في مجال التقدم العِلمي استنادا إلى لغاتها القومية ولم يعجزها في ذلك عِبء الترجمة، أو صعوبة لغاتها، مثل التجربة اليابانية التي انطلقت من العدم بإحياء لغتها بعد الدمار الشامل الذي حلّ بها في الأربعينات من القرن الماضي. ومعجزة أخرى لا تقل شأنا هي التجربة العِبرية التي جمعت شتاتها من أصقاع العالَم لِتُعيد إحياء لغتها بعد مماتها، وذلك كله باستخدامها لغتها في ميدان البحث العِلمي، وإن كانت في حميمية مع اللّغة الانجليزية، وتعد الجامعات "الإسرائيلية" من أفضل الجامعات في العالَم، وما تنفقه "إسرائيل" على مجال البحث العلمي يفوق ميزانية المجالات الأخرى؛ ويفوق ما تنفقه دول العالم بأكمله على هذا الميدان.



- خريطة توضّح توزيع الدّول المتقدمة في العالَم-

9) اللّغات الحية وهاجس الفجوة الرقمية: تُعد اللّغات في عصرنا بالآلاف موزعة بين اللّغات الرّسمية واللّهجات العامية، لكن في حقيقة واقع الانتشار اللّغوي يتبين أنّ " عدد اللّغات في العالَم اليوم لا يقل بأيّ صورة من الصّور عن أربعة آلاف لغة، وإذا وسَّعنا دائرة الإحصاء حصلنا على ستة آلاف لغة في العالَم. وبناء على ذلك يفضّل الدّارسون المهتمون باستشراف المستقبل أن يعتمدوا الرّقم الوسط: خمسة آلاف لغة، بالمعنى التّام للّغة التي تخرج من دائرة العاميات وكل التنويعات اللّهجية، ولنعلم أنّ عددا هائلا من اللّغات يموت بمعدل 25 لغة في كل عام" [16] وإن كان هذا ما يدلي به الواقع والإحصاء، إلاّ أنّه لا يمكن تجاوزه في صيرورة اللّغات إلى الانقراض. والركون إلى سيادة لغة حية عالَمية، والتّسليم لها بما تحمله في طياتها من غزو ثقافي ومسخ للهوية القومية.

ويعتبر اصطلاح اللّغة الحيّة مصطلحا غربيا يرسِّخ بقاء لغة الغربيين على أنّها الأفضل؛ والحقيقة أنّ كل لغة يتمّ التواصل بها في المنظور اللّساني هي لغة حية. مع العِلم أنّ مصطلح اللّغة الحية جاءنا من أوربا عندما أطلقوا على لغاتهم العصرية اللّغات الحيّة، لغات موظفة؛ أي أنّها ليست من اللّغات الميّتة، وهي اللاتينية أو الإغريقية. أمّا بالنسبة للّغة العربية فهي" حيّة منذ العصر الجاهلي ودليل حيويتها استمرارها ورقيها، وليست ثابتة، وكلما ثبتت اللّغة ماتت" [17] وهو جوهر تمايُز اللّغات.

الترتيب	اللغة	العائلة	لغات العالم (2005)	إنكارتا 2006
1	الصيني (ماندراي)	الصينية التبيتية	885 مليون (1999)	—
2	العربية	أفريقية آسيوية	400 مليون(2006)	422 مليون
3	الأسبانية	هندية أوروبية	332 مليون (1999)	322.2 مليون
4	الإنجليزية	هندية أوروبية	322 مليون (1999)	341 مليون
5	البنغالية	هندية أوروبية	189 مليون(1999)	207 مليون
6	الهندية	هندية أوروبية	182 مليون (1991)	366 مليون
7	البرتغالية	هندية أوروبية	177.5 مليون(1998)	176 مليون
8	الروسية	هندية أوروبية	170 مليون (1999)	167 مليون
9	اليابانية	ألطية	125 مليون(1999)	125 مليون

- جدول يوضّح اللّغات التي يتحدث بها أكثر من 100 مليون شخص كاللّغة الأم-

وأظهرت إحصاءات عالمية حديثة أن عدد مستخدمي الشابكة حول العالَم ممن يستخدمونها باللّغة العربية بلغ مؤخراً قرابة 41 مليون مستخدم للشابكة التي ما تزال اللّغة الإنجليزية تتصدّر فيها قائمة اللّغات المستخدمة، في الولوج إلى عالَمها الافتراضي. وبحسب الإحصاءات جاءت اللّغة العربية في المرتبة السّابعة في ترتيب أكثر 10 لغات استخداماً على الشبكة العالمية.
18

قائمة المراتب العشر الأولى لأكثر اللغات إستخداما على الإنترنت						
المرتبة	اللغة	معدل إنتشار اللغة في الإنترنت (%)	نمو المحتوى باللغة على الإنترنت (%) بين 2010-2000	عدد مستخدمي هذه اللغة من إجمالي مستخدمي الإنترنت في العالم (%)	عدد مستخدمي اللغة على الإنترنت	تعداد الناطقين باللغة في العالم (تقديرات 2010)
1	الإنجليزية	42.0	281.2	**27.3**	536,564,837	1,277,528,133
2	الصينية	32.6	1,277.4	**22.6**	444,948,013	1,365,524,982
3	الإسبانية	36.5	743.2	**7.8**	153,309,074	420,469,703
4	اليابانية	78.2	110.6	**5.0**	99,143,700	126,804,433
5	البرتغالية	33.0	989.6	**4.2**	82,548,200	250,372,925
6	الألمانية	78.6	173.1	**3.8**	75,158,584	95,637,049
7	العربية	18.8	2,501.2	**3.3**	65,365,400	347,002,991
8	الفرنسية	17.2	398.2	**3.0**	59,779,525	347,932,305
9	الروسية	42.8	1,825.8	**3.0**	59,700,000	139,390,205
10	الكورية	55.2	107.1	**2.0**	39,440,000	71,393,343

بحسب أخر بيانات متوفرة من مكتب الإحصاء الأمريكي وقاعدة بيانات the Internet World Stats

وتشير الإحصاءات المتخصصة في موضوع اللّغات المستخدمة على الشّابكة؛ علاوة على تفوق اللّغة الإنجليزية في استخدام الشابكة من إجمالي عدد المستخدمين. أنّه ما انفكّت دائرة مستخدمي الشابكة على الأرض وبكافة اللّغات تحافظ على توسّعها، مع تزايد الحاجة للتواصل وتبادل المعلومات

والبحث، ومع تجاوزها الحدود الجغرافية للدّول والقارات، الأمر الذي ساعد على توسيع الفجوة الرّقمية اللّغوية والعِلمية بين العالّم المتقدم والعالّم المتأخر.

إستخدام الإنترنت في القارات الخمس						
المرتبة	القارة	عدد مستخدمي الإنترنت (2000/12/31)	عدد مستخدمي الإنترنت (آخر البيانات)	معدل الإنتشار (%)	معدل النمو- 2000- 2010 (%)	النسبة مقارنة بمستخدمي الإنترنت في العالم (%)
1	آسيا	114,304,000	825,094,396	21.5	621.8	42.0
2	أوربا	105,096,093	475,069,448	58.4	352.0	24.2
3	أمريكا الشمالية	108,096,800	266,224,500	77.4	146.3	13.5
4	أمريكا اللاتينية- جزر الكاريبي	18,068,919	204,689,836	34.5	1,032.8	10.4
5	إفريقيا	4,514,400	110,931,700	10.9	2,357.3	5.6
6	الشرق الأوسط	3,284,800	63,240,946	29.8	1,825.3	3.2
7	أقيانوسية/أستراليا	7,620,480	21,263,990	61.3	179.0	1.1
الإجمالي		360,985,492	1,966,514,816	28.7	444.8	100.0

*: بحسب أخر بيانات متوفرة من مكتب الإحصاء الأمريكي وقاعدة بيانات the Internet World Stats

قائمة العشرون دولة الأولى من حيث عدد مستخدمي الإنترنت في العالم				
المرتبة	الدولة	معدل إنتشار الإنترنت في الدولة (%)	النمو (%) بين 2000-2010	النسبة مقارنة بمستخدمي الإنترنت في العالم
1	الصين	31.6	1,766.7	21.4
2	الولايات المتحدة الأمريكية	77.3	151.6	12.2
3	اليابان	78,2	110.6	5.0
4	الهند	6.9	1,520.0	4.1
5	البرازيل	37.8	1,418.9	3.9
6	ألمانيا	79.1	171.3	3.3
7	روسيا	42.8	1,825.8	3.0
8	بريطانيا	82.5	234.0	2.6
9	فرنسا	68.9	425.0	2.3
10	نيجيريا	28.9	21,891.1	2.2
11	كوريا الجنوبية	81.1	107.1	2.0
12	تركيا	45.0	1,650.0	1.8
13	إيران	43.2	13,180.0	1.7
14	المكسيك	27.2	1,028.2	1.6
15	إيطاليا	51.7	127.5	1.5
16	إندونيسيا	12.3	1,400.0	1.5
17	الفلبين	29.7	1,385.0	1.5
18	إسبانيا	62.6	440.0	1.5
19	الأرجنتين	64.4	964.6	1.4
20	كندا	77.7	106.5	1.3

بحسب أخر بيانات متوفرة من مكتب الإحصاء الأمريكي وقاعدة بيانات the Internet World Stats

10) واقع اللّغة العربية من هذه المعادلة: لعل ثمة من يتساءل عن قدرة اللّغة العربية على الوفاء بحاجات التّعليم والبحث العلمي في هذا العصر؟ إذ شكّك بعض المغرضون في قدرة العربية، وتابعهم من بعدهم بعض من العرب؛ لأنّ التقدم العلمي في الغرب أبهرهم، وخُيِّل إليهم أنّ إدراكه لا يتم إلاّ بلغة أجنبية. ومؤشرات كثيرة في وقتنا الراهن باتت تشير إلى تراجع نفوذ اللّغة العربية أمام التّفوق الكبير الذي فرضته اللّغات الأجنبية في احتكارها للمحتوى مصادر العلم. وضمن هذه المؤشرات

تأتي هيمنة هذه اللّغات، واكتساحها السريع لصناعة المعلومات وتدفقها في محيط الكرة الأرضية عاملا في إعاقة تقدم اللّغة العربية، والإحالة دون أداء دورها الراسخ كلغة علمية. وإلى جانب ذلك " يرمي المتتعون عن استخدام العربية هذه اللّغة بالقصور والتخلف نتيجة ما عانته في عصور الجهل العثماني الطويلة، ولم تستطع العربية التخلص من هذا القصور بمحاولة المشاركة في العلوم لأنّ تلك العلوم قطعت شوطا بعيدا في الترقي وهو شوط متزايد الاتّساع، وتجلى ذلك في فقر العربية في المصطلحات العلمية المتولدة في كل لحظة، وفي فقرها في الثروة العلمية الحديثة" [19] لِنخلُص إلى اعتبار اللّغة العربية في هذه المعادلة كعامل مجهول يُعقّد الوصول لحل أطراف المعادلة، اللّهم إلا إذا عوضنا متغير اللّغة العربية بمتغير اللغة الأجنبية – ولتكن الانجليزية في المشرق العربي أو الفرنسية في مغربه- ليسهل فك الإبهام والوصول إلى نتيجة التقدم العلمي.

	BS GNP	S GNP Per capita	مليون عدد السكان	BS GDP	GDP% المصروف على الدفاع	GNP% المصروف على التعليم
	1997	1997	1997	1997	1988	1985
الدول العربية	324.2	1754	252.4	408.2	8.2	5.9
هولندا	403.1	25830	15.6	360.3	2.9	6.4
النمسا	225.4	27920	8.1	206.2	1,1	5.9
إيطاليا	1160.4	20170	57.4	1145.6	2.3	5.0
إسبانيا	569.6	14490	39.6	532.0	2.1	3,3
كوريا	485.2	10550	45.7	442.5	4.0	4.5
المكسيك	348.6	3700	94.3	403.0	0.5	3.9
البرازيل	784.0	4790	163.7	820.4	1.4	3.8
فرنسا	1541.6	26300	58.5	1392.5	3.8	5.8
ماليزيا	98.2	4530	21.0	98.5	2.5	6,6

– **المصدر: تقرير التنمية البشرية UNDP 1999-**

يبيّن الجدول المستخلص من تقرير التّنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي لعام 1999م النّاتج المحلي الإجمالي GDP والنّاتج الوطني الإجمالي GNP للدّول العربية مجتمعة بالمقارنة مع بعض الدّول المتقدمة أو النّامية. كما يقارن الجدول عدد السّكان والمصروف على التّعليم والدّفاع حيث إن النّاتج الوطني الإجمالي للدّول العربية هو 324.2 بليون دولار عام 1997م بما في ذلك البترول وعدد السكان 252.4 مليون نسمة. أما إذا استثنينا البترول فإنّ هذا النّاتج سيكون حوالي 230 بليون دولار. بمقارنة هذا النّاتج لكلّ الدّول العربية مجتمعة، نراه أقل من ناتج هولندا وحدها وعدد سكانها 15.6 مليون نسمة فقط. وهو أقل من ثلث ناتج إيطاليا، وخمس ناتج فرنسا. كما أنه أقل من ناتج كوريا الجنوبية أو المكسيك. يدل هذا على انخفاض الإنتاجية **Productivité** في الوطن العربي.

معدل إنتشار الإنترنت في الوطن العربي				
الرمز على شبكة الانترنت	الدولة	معدل إنتشار الإنترنت (%) لعام 2009 بحسب إحصائيات الإتحاد الدولي للإتصالات	معدل إنتشار الإنترنت بحسب بيانات مكتب الإحصاء الأمريكي *	
			المعدل (%)	تاريخ البيانات
AE	الإمارات العربية المتحدة	75.00	75.9	يونيو 2010
BH	البحرين	53.00	88.0	يونيو 2010
DZ	الجزائر	13.50	13.6	يونيو 2010
DJ	جيبوتي	3.00	3.5	يونيو 2010
EG	مصر	24.30	21.2	فبراير 2010
EH	الصحراء الغربية	غير معروف	غير معروف	يونيو 2010
IQ	العراق	1.06	1.1	يونيو 2010
IL	الأراضي المحتلة – فلسطين	63.12	71.6	مايو 2008
JO	الأردن	26.00	27.2	يونيو 2010
KW	الكويت	36.85	39.4	يونيو 2010
KM	جزر القمر	3.60	3.1	يونيو 2010
LB	لبنان	23.68	24.2	يونيو 2010
LY	ليبيا	5.51	5.5	يونيو 2010
MR	موريطانيا	2.28	2.3	يونيو 2010
MA	المغرب	41.30	33.0	ديسمبر 2009
OM	سلطنة عمان	51.50	41.7	يونيو 2010
PS	أراضي الحكم الذاتي – فلسطين	32.23	14.2	مايو 2008
QA	قطر	40.00	60.9	ديسمبر 2010
SA	السعودية	38.00	38.1	يونيو 2010
SO	الصومال	1.16	1.0	يونيو 2010
SD	السودان	–	10.0	سبتمبر 2009
SY	سوريا	20.40	17.7	يونيو 2010
TN	تونس	34.07	34.0	مارس 2010
YE	اليمن	9.96	10.0	ديسمبر 2010

*: بحسب أخر بيانات متوفرة من مكتب الإحصاء الأمريكي وقاعدة بيانات the Internet World Stats

11) مدى صلاحية اللّغة العربية كلغة للعِلم: إنّ أيّ لغة يمكن أن تكون مناسبة للعبارة العِلمية كلما كانت أغنى في مفرداتها، وأكثر قابلية لصياغة المصطلحات وتوليدها؛ للتّعبير عن المفاهيم الجديدة. وما هو متفق عليه أنّ الذي يجعل من لغةً ما، لغةً قوية وفاعلة؛ هو مدى ما تقدمه من الإنتاج المعرفي والابتكارات العلمية. وأنّ ضعف أيّ لغة هو نتيجة عكس هذه القضية. لكن هناك من يوجِّه أصابع الاتّهام إلى بعض اللّغات، واصِفًا إيّاها بالعجز وعدم صلاحيتها للعِلم و التّقنية. ومن تِلكم الافتراءات، تلك التي نجدها متجهة صوب اللّغة العربية على أنّها لغة الشّعر والأدب والشّعائر الدينية وأنّها لغة معقدة في نحوها وإعرابها، "لا تنفرد العربية بما تتهم به من عسر، بل تشاركها فيه كثير من اللّغات الأوروبية، بل ربما زادت عنها مثل الألمانية والرّوسية، ولم يمنع ذلك من استخدام هذه اللّغات في العلوم".[20] وعند هذا الحد كفى باللّغة العربية وظيفة حسب ما يعتقد به أعداء العروبة وحتى عند بعض أبنائها ترسخت فيهم هذه الأفكار، وجعلت منهم ينفرون منها، ويتّجهون صوب اللّغات الأجنبية ابتغاء التحضُّر. وفي الأخير يجدون أنفسهم لا هم تمكّنوا من امتلاك زمام اللّغات الأجنبية؛ لأنّها ليست لغتهم الأم فهم بذلك يعيشون أبد الدّهر تبعا لما ينتجه أصحاب هذه اللّغات، ولا هم تمسّكوا بلغتهم القومية وساروا بها أشواطا نحو الأمام علما وأدبا. باعتبار أنّه لكي تتوطن اللّغة وتنمو فيها العلوم الكونية؛ يجب أن تكون ذات إمكانات تعبيرية دقيقة، وأن تكون طيّعة، وأن يكون بناؤها اللّغوي يُمكِّن من توليد الألفاظ المستحدثة والمصطلحات المستجدة، حتى يجد الباحث في لغته قدرا واسعا من الكمّ المعرفي في المجال الذي ينقب فيه .

ولنا أن نقف عند حد المسألة في اللغة العربية، لنقول؛ هل حقا العربية غير مؤهلة، أو غير قادرة على رفد واحتواء العِلم والمعرفة، ومسايرة متطلبات الألفية الثّالثة والعولمة التي نجدها تشوّه في كل حين صورة العربية، وتقضي على أصالتها وغِناها؟ فإن كان الأمر كذلك؛ فأين تتحدد عوائق اللّغة العربية ونقاط

ضعفها؟ وهنا نجيب: إنّ ضعف اللّغة العربية هذه الأيام يعود إلى عدة عوامل من أهمها ضعف الإنتاج العِلمي؛ ونقص الصِّناعات الإعلامية والثّقافية؛ والتّقليد الأعمى للآخر؛ وثقافة الاستهلاك والاتّكال والاعتماد على كل ما هو معلب وجاهز. ويُرجع الباحث الدكتور صالح بلعيد عوائق اللّغة العربية إلى أربع نقاط رئيسة كالتالي [1] [2]:

- إشكالية تلقي العربية والتي تتمثل في منهج التلقين؛
- المصطلح العلمي؛
- المعجم العربي، وبالتحديد المعجم التّاريخي للّغة العربية؛
- الخطاطة العربية، أو ما يصطلح علية بالتّخطيط اللّغوي.

أمّا إذا رجعنا قليلا إلى الماضي، لنسأله عن عطاء اللّغة العربية وإنجازاتها وجدناها في أوج حضارة العرب وازدهار المسلمين، لم تكن عاجزة عن نقل العِلم والمعرفة والاكتشافات والإبداعات فبالعربية نُقلت العلوم الطِّبية عن **ابن سينا (ت427هـ)**، ونُقلت رياضيات **الخوارزمي (ت595هـ)** وغيرهما من العلماء الكبار الذين نطقوا ودوّنوا بالعربية بكل فخر. ومن العلماء من ترجمت أعمالهم العِلمية إلى لغات الأعاجم. أمّا إذا نظرنا إلى اللّغة العربية المستعملة في الحضارة الحالية؛ فنجد فيها من التلوث اللغوي إلا مثيل له. وهذا الوضع نتج عن نشر ثقافة الاعتداء على اللّغة العربية الفصحى، بحُجّة التّبسيط والتّطوير والتّأقلم مع معطيات العصر وموضة العولمة.

12) اللّغة العربية واستشراف المستقبل العِلمي: مما يميّز العربية " ثروتها العظيمة من الألفاظ. وهي مبثوثة في المعاجم وكتب التّراث، وهذه الألفاظ التي لا تكاد تستعمل الآن بمعانيها الأصلية ذات فائدة كبيرة في وضع المصطلحات العِلمية. ومن الخصائص المهمة للّغة العربية كونها اشتقاقية وإلصاقية. إن كون العربية اشتقاقية وإلصاقية هو من آثار قِدمها، وقد نتج عن ذلك بضع مئاتٍ من الأوزان، وللكثير منها معانٍ معيَّنة مذكورة في كتب الصّرف مما يمكن

القياس عليه. وكل ذلك مما جعلها أوفر إمكاناتٍ لتوليد الألفاظ للتّعبير عن المعاني الجديدة، وصياغة المصطلحات العِلمية والحضارية".[22] كما يُعدّ التدوين الذي لم ينقطع منذ العصر الإسلامي حتى عصرنا هذا، من بين أهم ما تمتاز به العربية عن سواها من اللّغات الأوربية، فالكتابة كما يؤكد **دي سوسير** واضع علم اللّغة الحديث؛ أنّها هي التي تعطي اللّغة ضمانة خاصة للحفاظ على نفسها. ففي مكتبات العالَم يوجد بها اليوم بضعة ملايين من المخطوطات والرّسائل والمقالات المكتوبة باللّغة العربية في مختلف العلوم والمعارف، والكثير منها ما يزال في انتظار من ينفض عنه الغبار ويحقق مكنونه.

وقد عملت الحركة العِلمية النّاشطة، التي بدأت واستمرت في هذه البلاد على التّقدم المستمر للعلوم والمعارف، بما نقلته إلى اللّغة العربية من علوم اليونان والهند، ونقدته وحققّته. وكان الكثير من ذلك في زمن كانت فيه أوربا تعيش في ظلمة داجية من التّخلف والجهل لسيطرة رجال الكنيسة. فكان هذا النّشاط العِلمي الحثيث مما طوّر اللّغة العربية وأنماها وأغناها ورفدها بالمفردات والمدلولات العِلمية، لِتتماشى وروح العصر على مرِّ الأزمان. ونحن اليوم في عصر تتقدم فيه العلوم والمعارف بسرعة هائلة. وهذا يتطلب بذل أقصى الجهود في وضع المصطلحات العربية للمئات؛ بله الألوف من المفاهيم المتجددة والمتنامية باستمرار. ولنا في التّجربة السورية الرّائدة في هذا المجال خير عِبرة ودليل لمن يقول بعدم نجاعة اللّغة العربية كلغة للعلم؛ ففي سورية تُؤخذ العلوم المختلفة باللّغة العربية وخريجو جامعاتها من كليات الطّب والهندسة من الكفاءات العالَمية دون منازع. ومن الوجهة الموضوعية لا يجب أن نركن لأمر الواقع بأنّ العربية ضعيفة في مجال العلوم لكنها باقية لأنّ الله يحفظها؛ إنّما يجب أن نفرّق بين قدسية اللّغة والعمل على تطويرها، ولا نجعلها لغة محنطة حفاظا على خصوصياتها الثّقافية والفكرية والحضارية، في خِضم التّحديات المعاصرة في الحاضر والمستقبل. وما

تلاها من غزو ثقافي، ورِهانات فرضتها متطلبات العولمة في ظل الانفجار التكنولوجي.

13) اللّغة رهينة الأداء التربوي : ثبت في مأثور التاريخ أنّ حكيما صينيا استشاره الإمبراطور في شأن السبل التي يسلكها لإصلاح الإمبراطورية، فأجابه أن يبدأ بإصلاح اللّغة. ويبدو أنّ المقصود هو العناية باللّغة لأنّها عِماد كل البُنى الفوقية والتحتية؛ المادية منها والثقافية. واللّغة العربية أولى بهذه العناية؛ ذلك أنّها حافظت على كيانها في المنظومة الثّقافية العربية باعتبارها سِجلاً أميناً للحضارة العربية على مدى قرون عديدة. لكنها الآن أصبحت عُرضة لِعِدة اتهامات، تخص الأدوار التي يجب أن تقوم بها في مواجهة التّحديات المعاصرة. وقد تمس هذه الاتّهامات ما تُوصف به من قصور في مناهجها التعليمية؛ أو عدم مواكبتها للنّهضة الحديثة؛ وفي تغطية مفاهيمها المستجدة بإيجاد المصطلحات العِلمية الضرورية. بل تُوصف أيضا بالعجز في نظامها اللّساني؛ وبناها النّحوية والصّرفية والمعجمية الداخلية. وهنا يتبين أنّ المطلوب في هذه الظروف ليس التركيز على الجوانب التّعليمية والمصطلحية وحسب، كونها تمس أطراف المشكل لا أساسه وعمقه؛ فالمطلوب أن يُنظَر إلى اللّغة العربية في وضعها الصّحيح؛ وهي كونها محور المنظومة التّربوية والثّقافية، لأن محور التربية والثقافة في المجتمع المعاصر يقوم على الاتّصال والمعلومات. ومع ذلك يجب أن نعترف بأنّ اللّغة العربية تتعرض لضغوط، كما هي الحال في اللّغات الحية الأخرى، نتيجة العولمة والزخم العِلمي والتّأليف والإنترنت... لذا بات من الصّعب على الإنسان العربي أن يُساير التّقدم العلمي والنّمو المعرفي، إلاّ من خلال تعلّم لغة الأجنبي بمواصفات علمية، وفهم مصطلحاتها الجديدة، التي تضاف إلى القاموس يوميا، وإلاّ فقد السيطرة وتراجع عن مسايرة ركب روح العصر.

ومن المفارقات الغريبة أن يتأصل التّعليم في البلاد العربية في كل الأطوار التّعليمية باللّغة العربية. وبمجرد أن تطأ قدما الطالب الجامعة، وإذا ما وُجَّه إلى

التخصص العِلمي الدّقيق خاصة وفي غالب الأحيان حتى في فروع العلوم الإنسانية عدا قسم اللّغة العربية؛ إلاّ ويجد نفسه في بيئة عِلمية ولُغوية مغايرة للّتي ألِفها منذ سن تعليمه وتعلّمه. لِتَلْقى في المقابل اللّغات الحية في أمصار البلاد المتطورة اهتماما عِلميا وفكريا متزايدا ومعتبرا، إذ تخصص الدّول المتحضّرة الميزانيات المالية الباهظة للإنفاق على التّطوير والتّنمية اللّغوية، كما تنفق على الفروع العِلمية الحديثة، وتسعى لنشر لغتها بين أبنائها، وتروم إبلاغها الشّعوب الأخرى في شتى البقاع. ونرى الأمة العربية قد تراجعت عن مُسايرة التّقدم العِلمي والرّكب الحضاري على مدى القرون الثلاثة الماضية، التي حققت فيها الأمم المُتحضرة، طفرات هائلة في المجالات العِلمية والصِّناعية. فكانت محصلة هذا التّخلف على الدّول المتخلفة نُقصا معرفيا عميقا بالعلوم الطبيعية والتطبيقية، أو ما يسمى بِعُلوم التّمكين، أو العلوم الكونية الأساس. وهي العلوم التي قادت البلاد الغربية إلى الثّورة الصّناعية، وتطوّر بها العمران الإنساني في جميع اتجاهاته.

والتّربية بصفتها متغيرا تابعا للتّحول المجتمع، هي بحكم دورها وطبيعتها أَكثر جوانب المجتمع عرضة للتّغيير، بناء على ذلك فالمتغيرات الحادة التي ينطوي عليها عصر المعلومات ستحدث بالضرورة هزات عنيفة في المنظومة التّربوية: فلسفتها وسياستها، ودورها ومؤسساتها ومناهجها وأساليبها. وكل هذه التّحديات لها أبعاد لغوية مهمة "فاللّغة الأم على وجه القطع تساعد على زيادة معدل الاستيعاب ورسوخ المفاهيم في ذهن المتعلمين، وتزداد أهميتها مع تضخّم المادة التّعليمية. وتنمية القدرة الإبداعية للأطفال لابد أن تنطلق من استيعابهم للمعارف والمفاهيم وترسيخها في أذهانهم بلغتهم الأم".[23] ويعتبر استعمال لغة الأمة "في الكتابة العِلمية والثّقافة للمتخصصين وللمتعلمين من غير المتخصصين، يثقف الجماهير بتحويل العِلم والتّقائة إلى ثقافة عامة، ويجعل تفكير المواطنين أكثر تنظيماً ومنطقية واستقامة واستقلالية".[24] أمّا

التّحديات العِلمية واللّغوية فتوضع على عاتق الأمة ومؤسساتها اللّغوية ومجامعها العِلمية؛ مسؤولية عصر المعلوماتية والتّقنيات اللّغوية.

وكما يظهر جلياً بأن ضعف التأليف والاختراع، والترجمة وضعف توفر المصطلحات الجديدة لمسايرة هذا التسارع العلمي الكبير، كما أن الجامعات والمعاهد العِلمية في وضع صعب جِدّا. إذ عليها استخدام اللّغة العربية كلغة وطنية، ولكن في بيئة عالمية يجري فيها البحث والتّطوير واستنباط المعرفة والتّكنولوجيا بمصطلحاتها الجديدة بلغة العولمة. كما أنّ " عليها الوصول إلى جودة التّعليم، وتحقيق تنمية مهارات الطالب بأحدث ما وصلت إليه المعرفة العِلمية المعاصرة، لئلا تتخلف عن القاطرة العِلمية المعرفية. ولقد أصبحت المعرفة قوة دافعة ومحركاً أولياً للاقتصاد الحديث"[25] فهي أهم وسائل زيادة الإنتاجية، والمقوّم الرئيس للبرمجيات اللّغوية. ومن جانبها أشارت الأمم المتحدة في العديد من تقاريرها إلى أنّ الدّول التي تقف في الصّدارة؛ كلها تدرّس بلغاتها الأم. وفي دراسات حديثة؛ تبيّن أنّ هناك 19 دولة تتصدر العالَم تقنيًا يسير فيها التّعليم والبحث بلغاتها الأم، وأنّ أفضل 500 جامعة عالمية موجودة في 35 دولة تبين أنّها جميعاً تُدرّس بلغاتها الأم.

14) الأمم المتقدمة تقوى بلغاتها وبالدّفاع عنها: إنّ الأمم القوية تقوى بلغاتها وتحيا بها، وتحقق أمنها بأمنها اللّغوي،♥ودفاعها عن لغاتها دفاعٌ عن هويتها، والأمم المأزومة دون شك تكون لغتها في أزمة "وطالما ظلّت أمة ما في حالة التّخلف العقلاني، والخمول الوجداني، طالما اندثرت لغتها رويدا رويدا حتى تموت هذه اللّغة".[26] وليس من نافل القول أن؛ مشيئة الله في الكون قضت تعاقب الحضارات، مصداقا لقوله تعالى: (...وتلك الأيام نداولها بين النّاس...) - آل عمران140- فباللّغة تكون بداية الحضارة في نشأتها، وبها تسير وتنتج المعرفة. ولا يكفي للحفاظ على أيّ لغة بشرية في إطار الاستعمال اليومي فقط بل يجب توظيفها في مجالات العصر المتقدمة كالتعليم والتأهيل التربوي

والإنتاج العلمي خاصة؛ وإلاّ ستصبح مجرد كلمات شعبية تلوكُها الألسن تنمحي مع تعاقب الأزمان، لذلك تحاول بعض الأمم المتفطنة الحفاظ على لغاتها رسميا وشعبيا ودينيا وثقافيا وفنيا وجغرافيا واقتصاديا وعسكريا، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

ونرى أنّ الأمم الحية – الدول الغربية المتقدمة- تسعى حريصة للدّفاع عن لغاتها، ولها تجارب عديدة جديرة بالنّظر للاستفادة من مناهجها، وسياستها التنموية العلمية واللّغوية في الآن ذاته. إنّ هذه الأمم تأخذ بمقولة **ابن خلدون** "غلبة اللغة بغلبة أهلها" [27] وتطبّق المفهوم الذي يصطلح عليها **رولان بارث R. Barthes (ت1980م)** بـ "سلطة اللّغة". [28] ولأنّ قوة اللّغة في قوة أهلها؛ يقول **ابن حزم الأندلسي (ت456هـ)** في ذلك ومفندًا مسألة تفاضُل اللّغات " فإنّما يفيد لغة الأمة، وعلومها وأخبارها وقوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم...وقد توهم قوم في لغتهم أنّها أفضل اللّغات وهذا لا معنى له لأنّ وجوه الفضل معروفة، وإنّما هي بعمل أو اختصاص ولا عمل للّغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة". [29] إنّها نتيجة العصبية اللّغوية التي جُبلت عليها البشرية. وإنّ الكثير من الدّول الّتي نجحت في أن تحقّق لنفسها مكانة مهمة، بقيت متمسكة بلغتها الأم، وهي اللّغة الأولى في التعليم مثل الصين واليابان وسنغافورة وماليزيا والهند. فالأمر ليس مرتبطاً باللّغة بقدر ما هو مرتبط بمُتحدِّثيها في بذل الجهد المطلوب لجعلها لغة منافسة، قادرة على استيعاب مضامين العلوم ومواكبة متطلبات العصر. فأصبح بذلك المعيار اللّغوي كنواة للعِلم وللثّقافة والوسيلة الأولى الخطيرة لقهر الآخرين. ثم تأتي الأنظمة العسكرية والاقتصادية والسّياسية، وأثير الفضائيات والشّابكة، التي تنسج خيوط العولمة لتشّد الخِناق على الدّول التي يضيق بها الأفق العِلمي حتى أضحت حربا لغوية وعِلمية بين الأمم. تتعرض فيها اللّغات لحالات المدّ والجزر اللّغوي خلال عِدة حِقب زمنية متتالية، ومن أهم عوامل

تراجع اللّغة؛ نجد الانغلاق الفكري؛ وعدم اهتمام الصفوة المتعلمة والنّخبة المثقفة من المجتمع بلغتهم.

15) ضعف اللّغة في ضعف أهلها: يمكن الجزم أنّه ليس العجز في اللّغة؛ بل في مُستعمليها الذين تهون عليهم التّبعية، ومعها الانسلاخ في ثقافة غريبة، والبعد عن الهوية الوطنية أو القومية. نحو ما يحدث في البلاد المتخلفة منها البلدان العربية خاصة، وعليه فإنّ هذه القضية "ليست من القضايا العابرة أو الهامشية، التي يمكن إغفالها وتركها للزمن الآتي لتجد العلاج الشافي. فهي من القضايا المهمة والخطيرة، التي ينبغي أخذها مأخذ الجِّد، وإيجاد الحلول الناجعة لها؛ كونها تمثّل ماهية الوجود الإنساني ومصيره الحضاري. وتتصل بسبب وثيق بتراثه الثّقافي" [30]. إذ لا يتم ذلك التّقدم بالتمني أو بمجرد الاندفاع لكن بالإعداد الحاسم والتّخطيط الصارم لكل أسباب النّجاح، فعلينا أن ننهض بلغتنا، ولا نؤمن بالرّأي القائل؛ إنّ لغتنا لا قدرة لها على النّطق بالمعارف العِلمية، وعلينا أن ننهض بالتّعليم في جميع معاهدنا وجامعاتنا باللّغة القومية. فلا تقدم ولا أمن في ظل في غِيّاب البحث العِلمي باللّغة القومية. ولا يخفى على أحد أهمية اللّغة الأم☜ في حياة الشّعوب. وبالرغم من ذلك فإنّ العديد من الشّعوب لا تستخدم اللّغة الأم في تعلمها؛ بسبب خضوعها للاستعمار الأجنبي لفترات طويلة واستخدمت بذلك لغة الدولة المستعمِرة بدلاً من لغتها الأم كالشّعوب الإفريقية وأمريكا اللاتينية. ونجد كذلك الإثنيات العِرْقية المتواجدة في بعض الدول العربية مثل: العراق وسوريا والبحرين ومنطقة المغرب العربي. لكن مع تخلّص الشّعوب من الاستعمار وانتشار الديمقراطية؛ بدأت الشّعوب بالنّهوض بدءاً من لغتها الأصلية♣.

فمن المستحب أن تكون لغات الأم في نظم التعليم ابتداءً من الصغر حتى التّخرج من الجامعة لأنّ التدريس باللّغة الأم واللّغة الرسمية يساعد على "الحصول على نتائج أفضل وإنعاش وتطوير إدراكهم وقابليتهم للتعلم. كما أكدتها

البحوث والدراسات التي أعدتها المنظمة" [31] ولذلك فانّ تطوير اللّغة والحفاظ عليها، إنّما هو تطوير لفكر وثقافة ومعارف أهلها، فلا تستقر أيّ لغة من اللغات على حال، لكنها في تغيّر مستمر تخضع في كل الأحوال لتغير المجتمعات وتطورها. فاللّغة كونها تطرق باب كل نشاط إنساني؛ فإن أيّ تغيير في أيّ منحى من مناحي الحياة فإنّه سيؤدي بالضرورة إلى تغيير ولو نسبي في اللّغة. فنمو اللّغة يعني بالضرورة نمو أهلها، وفي النّمو حياة وتطور. وجمودها يعني جمودهم وفي الجمود موت وانقراض، وعليه يصح الحكم؛ إنّ الأمة تحيا بلغتها.

الخاتمة: وقصارى القول؛ إنّنا نجد أنفسنا في موقف حرجٍ أمام ما تتضمنه التّنمية اللّغوية الواعية في اللّغات الأجنبية، وآن الأوان أن نعيد الاعتبار للعربية لأنّها لغة عريقة وثرية، وهو ما يؤهلها إلى أن تقف نداً للّغات الأجنبية. ولا يجب الاستسلام للمقولات الهدامة التي تشيع أفكارا مسمومة حول اللّغة العربية؛ معتبرة إياها لغة غير صالحة لاحتضان العلوم أو التعبير عنها. وآن لنا أن نقرّ بأنّ اللّغة العربية كغيرها من اللّغات الطبيعية يمكن لها أن تتطور أو تنقرض، وفقا لحتميات الواقع الذي تعيشه في بيئتها الاجتماعية، ومدى استعمالها من قبل أهلها في مجال الإبداع الأدبي والاختراع العلمي دون التغاضي عن متطلبات العصر. لأنّ حياة اللّغات بالاستعمال كما يؤكد عليه دائما الباحث اللّغوي الجزائري عبد الرّحمان الحاج صالح. وما تؤكد عليه الدراسات العلمية الحديثة؛ أنه لا وجود للغة راقية وأخرى ضعيفة، إنّما هناك لغة يوظفها أهلها في الإنتاج العلمي، فتصير لغة راقية صالحة للعلم وتأتي في مصاف اللّغات الحية. ولغة يتخلى عنها أصحابها فتصير في عِداد الانقراض.

ولا يفوتنا في الأخير أن نردد المقولة الفلسفية؛ إنّ حدود لغتي هي حدود عالمي، لأنّها حدود التجربة في الحياة. وكما تقرّ به الحقيقة؛ أنّ الفرد يستطيع أن يُنتج باللّغة الأم أكثر مما ينتج باللّغة الأجنبية، وذلك راجع إلى طبيعة الفطرة البشرية التي تأبى الانفلات من ذاتها؛ بل تتأصل فيها. بحيث تزداد معرفتها

للكون واستيعابها له عن طريق لغتها الأولى، التي اكتسبتها واستقر عرشها في ذهن الكائن البشري. وعليه فلابد من ردِ الاعتبار للغتنا القومية، فناقوس الخطر ينادي بضرورة استعمال لغتنا العربية في ميدان البحث العلمي، إذا ما رُمنا اللِّحاق بالرّكب الحضاري وبلوغ قسط من التقدم العلمي. فهذا الأخير ليس حكرا على الغرب أو اللّغات الأجنبية. إنّما التقدم العلمي الذي نسعى إليه لن يتحقق إلا بلغتنا القومية في الأساس، لأنّ منتج المعرفة هو الذي سيقود العالم بلغته القومية. وهذا التوجه لا يمنع من تعليم وتعلّم اللّغات الأجنبية، لأنّها تعلمها ضرورة وجودية لملاحقة التّقدم العِلمي والمساهمة فيه، كما أنّها من دواعي التّنمية البشرية الشّاملة. ولابد من وضع إستراتيجية عملية تساعد على عودة اللّغة العربية إلى ساحة العلوم، وتفرض نفسها ضمن إطار اللّغات الحية، وذلك من خلال البحث العِلمي، والتّأليف والتّرجمة. لأنّ اللّغات الحية المتصدرة في العالم اليوم؛ إنّما هي ثمرة جهود مضنية نهض بها قومها؛ فأمست تتبوأ المقام العالي الذي هي فيه اليوم. وتختم الحياة نواميسها بمقولة؛ يظل البقاء للأصلح والأقوى ونضيف عليها قول الشّاعر*:

ضَعْ شَعْبًا فِي السَّلاَسِل

جرِّدْهُمْ مِنْ لَبْسِهِم

سَدْ أَفْوَاهِهِمْ، لَكِنَّهُمْ مَازَالُوا أَحْرَارا

خُذْ مِنْهُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَجَوَازَاتِ سَفَرِهِمْ وَالْمَوَائِدَ التِي يَأْكُلُونَ عَلَيْهَا وَالأَسِرَةَ التِي يَنَامُونَ عَلَيْهَا لَكِنَّهُمْ مَازَالُوا أَغْنِيَاء

إِنَّ الشَّعْبّ يّفْتَقِرُ وَيُسْتَعْبَدُ

عِنْدَمَا يُسْلَبُ اللِّسَانُ الَّذِي تَرَكَهُ لَهُ الأَجْدَادُ؟ يَضِيعُ إِذًا لِلأَبَد...

♠ – ينظر: Louis- Jean, La guerre des langues et les politiques linguistiques، تر: حسن حمزة، ط1. المنظمة العربية للتّرجمة، بيروت:2008.

* – يصطلح عليها محمد قيراط في مقال له في جريدة الشروق اليومي، بعنوان"جدلية اللّغة والعلم" مارس 2011.

♣ – كما أنّ هناك علماء آخرين لا يمكننا حصر تعاريفهم كلها نحو فرويد S. Frued في علم النّفس، وابن خلدون وبلومفيلد L.Bloomfield، وتشومسكي N.Chomsky، وجون بياجيه j.piaget صاحب النظرية المعرفية... وغيرهم.

1 – ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر، لبنان: 1990، مادة (ل، غ، ى).

2 – ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت: دت، ج1، ص87.

3 –M.Merleau,porty phenomenologie de la percepti on, sd, Gallimard, p:213. نقلا عن(اللّغة) نصوص مختارة لمحمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، ط1. المغرب:1998، سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال.

4 – ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، المطبعة البهية المصرية، ج1.

5 – صادق محمد نعيمي، التّاريخ الفكري لأزمة اللّغة العربية، ط1. دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء: 2008، ص9.

6 – صابر عبد ربه، موقف الصفوة من النظام العالمي الجديد، دار الوفاء. الإسكندرية: 2001 ص30.

7 – بتصرف: نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، العدد184: 2000، ص36–37.

8 – بتصرف: شحادة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، ط1. دار الطليعة الجديدة، دمشق:2001، ج2، ص158.

♦– هي لغة اخترعت لتكون لغة عالمية واحدة يفهمها العالم بأكمله.

9 – G.Bachelard, le materialisme rationnel P.V.F.1963,pp :216-217. نقلا عن(اللّغة) نصوص مختارة لمحمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي،ط1. سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال. المغرب:1998.

10 – نقلا عن محمد مرياتي، التطور التكنولوجي لاستدامة الصناعة في ظل منافسة عالمية واقتصاد المعرفة، جمعية العلوم الاقتصادية السورية.

11 – بتصرف: عمرو أحمد عمرو"كيف تلين لغة الضاد للتعبير عن لطائف الفكر ومشاغل العصر" اللّسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 23، مطبعة نجل الجديدة الدار البيضاء: 1984، ص66.

12 – حسين نصّار، دراسات لغوية، ط1. لبنان:1981، دار الرائد العربي، ص:14.

13 – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"اللغة العربية والبحث العلمي"ص:171.

14 – حسين نصّار، دراسات لغوية، ص:17.

🗁 – وفق تقرير التّنمية الإنسانية العربية لعام 2003.

♣ – وإن كانت جهود المؤسسات اللّغوية والعلمية في الوطن العربي لا يمكن الانتقاص منها، إلاّ أنّها غير كافية؛ فهي لم تستوعب الكمّ الهائل من تدفق المصطلحات العلمية.

⊕ – وفق تقرير الأمم المتحدة للتّنمية الإنسانية لعام 2003م.

15– ينظر: عبد الله واثق شهيد "السّياسات العربيّة تجاه اللُّغة العربيّة في عصر العولمة" دمشق: 2008 م.

16 – عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللّغوي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1. بنغازي ليبيا:2011، ص:15.

17 – صالح بلعيد "قرار تعميم اللّغة العربية واستعمالها –رأي في التجربة الجزائرية–" مجلة اللّسان العربي: 1998 ص152.

18 – موقع الجداول الإحصائية في الانترنيت http://alphabeta.argaam.com/?p=302431 اعتمدت هذه الإحصائيات في الشابكة؛ لأنّها تستعمل اليوم في كل مجالات البحث العلمي، وتشكّل الوعاء الأكبر للمعارف.

19 – حسين نصار، دراسات لغوية، ص:11.

20 – المرجع نفسه، ص:9.

21 – صالح بلعيد، المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللّغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر: 1994، ص1.

22 – يوئيل يوسف عزيز، علم اللّغة العام، دار آفاق عربية. بغداد: 1983، ص163.

23– محمد حسن عبد العزيز "اللّغة العربية في القرن الحادي والعشرين في المؤسسات التعليمية في جمهورية مصر العربية" دار العلوم. القاهرة: 2005، ص147–148.

24 – ينظر: سليمان الطراوانة "اللّغة العربية في القرن العشرين" الموسم الثقافي الثالث والعشرون، مجمع اللّغة العربية الأردني. دمشق: 2005.

25 – حسني عايش، الثقافة والتنمية أوراق ملتقى عمان الثقافي التاسع 23-2000/6/26 شكل التعليم في العصر المعلوماتي المعرفي/ ص218-219.

♥ – يصطلح عليه الأستاذ الدكتور صالح بلعيد في كتاب له بعنوان(في الأمن اللغوي) الصادر عن دار هومة: 2010.

26 – صادق محمد نعيمي، التّاريخ الفكري لأزمة اللّغة العربية، ص11.

27 – عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي. بيروت: ص:379.

28 – ينظر: رولان بارث، السلطة واللّغة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي.

29 – ابن حزم الأندلسي، الأحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام. مصر: دت، ج1، ص:31-32.

30 – شحادة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، المرجع السابق، ص171.

☝ – ما قصده باللّغة الأم، هو ذاته المصطلح اللّغة القومية، وهي اللّغة الرّسمية المعترف بها كلغة أولى في أي دولة.

♠ – ساندت منظمة اليونسكو هذا الاتجاه بإعلانها يوم 21 فيفري اليوم الدولي للّغة الأم في العالم، تقديراً لأهمية التنوع اللّغوي العالمي ولترويج استخدام الغات الأم وذلك في الدورة (30) لمؤتمر يونسكو العام الذي انعقد سنة 1999 م.

31 – بتصرف: أحمد ناجي، سامي عبد العزيز سمين، فلسفة التعلّم في مناطق ثنائية اللّغة،كركوك: 2010، ص2.

♣– إجنازيو بوتيتا، الشاعر الصقلي، ولد عام 1899، من قصيدة لغة وحوار.

سياسة فرنسا في نشر لغتها

أ . عبد الغاني تواتي

جامعة تيزي وزو

مقدمة: إنّ الّلغة ليست مجرد كلمات، أو حروف وأصوات تؤدي وظيفة التواصل، وإنّما هي – كذلك - الفكر واللّسان والهوية، لذلك تسعى الأمم والدّول على حفظ لغتها من الموت والاندثار فتستثمر في الرِّجال والأموال لخدمتها بكل ما أُوتيت من قوة وخبرة، فأُلّفت لأجلها المعاجم لتُحفظ من النّسيان وكُتب بها أجمل ما أنتجت قرائح الشّعراء والكُتّاب، لتسير دوماً مع كلّ المستجدات، وتتداول على الألسنة.

وفي عصرنا الحاضر، أضحى التشبُّث باللّغة أكثر من واجب، لأنّها الأنا وإذا ذابت بين اللّغات الأخرى، اضمحلّت وتلاشت وباتت في خبر الأولين؛ فيجب العمل على الاعتناء بها وتطويرها لأنّ لغة الآخر هي الآخر وليست أنا. وحال اللّغة العربية في عصرنا الحاضر، كحال الغريق الّذي يطلب النّجدة للأخذ بيده إلى شاطئ الأمان، لكن المعني بالنداء لا يحرّك ساكناً، قائلاً للّغة العربية ربّ يحميها، لأنّها لغة الكتاب وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي هذه المقالة، سأتطرق إلى سياسة فرنسا في نشر لغتها، والعمل على حمايتها، لعلّنا نعتبر منها، وتتحرّك فينا غيرتنا على العربية، فنأخذ بمزاياها لردّ الاعتبار للغة الضّاد الّتي هي في أمسِّ الحاجة إلينا أكثر من ذي قبل، حتّى نحدّد موقعها في عصر التكتُّلات الاقتصادية، والعولمة الثّقافية واللّغوية.

فما هي السّياسة الّتي اتّبعتها فرنسا للحفاظ على لغتها ونشرها في كلّ القارات؟ وما هي الوسائل الّتي وظفتها لإنجاح هذه السياسة؟

لمحة تاريخية عن اللّغة الفرنسية: تعدُّ اللّغة الفرنسية، لغة رومانية، إذ يعود أصلها إلى مختلف اللّهجات الّتي انبثقت من اللاّتينية، وأخذت منها نحوها والكثير من مصطلحاتها، ولعل أقدم نص كُتب بها يعود إلى سنة (845م) [1] حينما تبادل لويس الجرماني(Louis le Germanique) وشارل الأصلع (Charles le Chauve) أحلاف ستر ازبورگ (**Serments de Strasbourg**)* باللّهجة الجرمانية والرّومانية (الفرنسية) على التّوالي، وليس باللاّتينية كما جرت العادة؛ ويعتبر هذا النّص من أقدم النّصوص المكتوبة باللّغة الفرنسية.

أمّا في العصر الوسيط، فقد تشكّلت مجموعة من اللّهجات في كلّ المناطق الفرنسية، حيث انقسمت فرنسا إلى منطقتين لسانيتين مختلفتين، في الشّمال لهجة (**langues d'oïl**)♥ وفي الجنوب (**langues d'oc**) فتغلّبت الشّمالية على الجنوبية بمرور الوقت، لأسباب سياسية ودينية واقتصادية...

كانت فرنسا في هذا العصر كباقي كلّ الدول الأوروبية، تعاني من كثرة اللّهجات وطغيان الألفاظ السّوقية على كلامها، واللّهجات هي اللّغة المشتركة بين المواطنين، فتعلّم اللاّتينية كان من نصيب الطبقات البرجوازية لأنّها لغة الكنيسة والعلم والعلماء، فهي بعيدة المنال عن عامة الشّعب. وقد تأثّرت أغلب النُّصوص الأدبية المكتوبة باللّغة الفرنسية (اللّهجة) في القرنين الحادي عشر والثّالث عشر الميلاديين (11 و13م) باللاّتينية، إذ أخذت منها الكثير من المصطلحات - كما أشرنا سابقًا- ولعلّ أغنية رولان (Chanson de Roland) [2] المكتوبة سنة 1086م بمثابة أوّل ملحمة مكتوبة باللّغة المتداولة (الفرنسية) بدل اللاتينية، وأصبحت هذه الملحمة تنتقل شفاهياً بين المواطنين عن طريق الغناء وهذا ما جعل الكتابة بالفرنسية تستهوي الكتّاب، ويسهمون في إثراء قاموسها اللّغوي بفضل اقتراضهم [3] للكثير من الكلمات الّتي كانت تفتقر إليها من لغة الڤيكينگ (**Vikings**) - بمناسبة احتلالهم لنورمنديا- (Normandie) في القرن العاشر الميلادي (10م) ومن اللّغة العربية

لتوسّع الدّولة الإسلامية بين القرنين الثّامن والرّابع عشر للميلاد (08- 14م) في أروبا و كلّ أمم الدّنيا؛ ولم تقف اللّغة الفرنسية على اقتراض الكلمات من اللّغات القوية في ذلك العصر فحسب، وإنّما تطوّرت وامتدّ استعمالها في مختلف المجالات، لأنّها أصبحت مفهومة لدى الجميع.

وفي القرن السّادس عشر(16م) أصبحت الفرنسية لغة الطبّ، حيث كتب بها الطّبيب الجرّاح أمبرواز پاري (Ambroise Paré) [4] كتبه كلها، وترجمت إليها مختلف الكتب القديمة. وهكذا بدأت الفرنسية تستقل شيئًا فشيئًا عن اللاّتينية، إلى أن استقامت منظومتها النّحوية في القرن السّابع عشر الميلادي (17م) فأخذت تقتبس منها الكلمات الّتي تناسبها، وتلحقها بمجموعة من السّوابق واللّواحق (préfix et suffixe) الّتي سمحت لها بتوليد الكثير من المصطلحات الخاصة بها لكن التّعليم في هذه الفترة كان يتم باللاّتينية.

وحينما بدأت الفرنسية تنتج مصطلحاتٍ خاصة بها، سهرت ثلّة من الشّعراء والكتّاب الفرنسيين على تنقيتها من الكلمات القديمة والدّخيلة، إلى أن تأسست الأكاديمية الفرنسية في:02/01/ 1635م [5] على يد الكاردينال **روشيليو** (Richelieu)* وصدر لها أول معجم فرنسيّ سنة (1694م) [6] لتحرير الفرنسية من التّبعية اللّغوية والعمل على توحيدها، وذلك بإنتاج معاجم تعمل على حفظ مفرداتها والتّعريف بها.

إنّ اللّغة الفرنسية وليدة الحكومات السّياسية المتعاقبة على الحكم وفُرضت بالقوة في أحيان كثيرة، **فلويس الرابع عشر (Louis XIV)**** فرض لغة جزيرة فرنسا (île de France) بالقوة على الفرنسيين، وجعلها اللّغة الجامعة والشّاملة، الّتي تجمعهم في لغة واحدة، بدل لهجات محلية متعددة وفرَض عليهم التّحدث بها، وأصدر قانوناً ينُصُّ في أغلبه على جعل الفرنسية لغة الأدب والمعاهدات وإجراء اللّقاءات... وكان هذا سببًا لتبني الفرنسية؛ وهكذا أصبحت اللّهجة الباريسية هي المهيمنة على اللّهجات الأخرى، وذلك لتوفّرها على نفوذ

سياسي قوي، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية والاجتماعية الّتي أسهمت في تثبيت هذه اللّغة في المجتمع الفرنسي. يقول **فندريس**: (vendris) "اللّهجة الباريسية أصبحت لغة فرنسا، بتغلّبها على اللّهجات الأخرى، فالفرنسية إنّما خرجت من العاصمة، ومن رحم الطّبقات العامة وهي البورجوازية... وقد استقرّت في القرن التّاسع عشر، وسلّم بها القصر ثم الأقاليم والكُتاب الكبار باستعمالهم إيّاها فزوّدوها بالقدرة على فرض نفسها نهائياً وعلى استمرارها لذلك لا تكاد تحسُّ فيها أثراً للّهجات".[7] فقد حارب لويس**XIV** المعارضين الّذين يرفضون لغة جزيرة فرنسا(العاصمة) وهي اللّغة الّتي أصبحت النموذج الحالي للفرنسية.

بعد نهاية الثّورة الفرنسية[8] في بداية القرن الثامن عشر (18 م) تغذّت اللّغة الفرنسية بأفكارها ومصطلحاتها، وهذا ما سمح للكتّاب الرّومانسيين بإثراء قاموس الفرنسية وتوسيعه، مع الاستعانة بمختلف الكلمات المنحدرة من اللّغات الشرقية، ومختلف المستويات اللّغوية الفرنسية الّتي مهّدت لميلاد لغة فرنسية؛ فمسألة الحفاظ على اللّغة الفرنسية، والعمل على تطويرها مسألة متأصّلة في القدم، إذ حاول السياسيون التّخطيط للغة جامعة للفرنسيين حتّى يذوبوا فيها، ويعملوا على إثرائها ونشرها حتّى تحظى بمكانة مرموقة بين الدّول الأوروبية.

وتعدّ فرنسا من أهم الدّول الحريصة على حفظ لغتها والعمل على صفائها، وأكثرها حرصاً على نشرها بين أفراد المجتمع، إذ جعلتها من الأولويات، فكلّ خطأ في نحوها أو صرفها أو... يعدُّ مساسًا بالهوية الفرنسية وخدشاً لها، وهذا ما جعل الكاتب الفرنسي العالمي **ألبير كامو** Albert (camus) يربط مسألة اللّغة بالهوية والوطن، حين يقول: إنّ الفرنسية هي وطني يعني أنّ الفرد الفرنسي يحيا ويموت من أجل لغته الفرنسية، والتّضحية من أجلها واجب، ومبدأ لغتي هي حياتي يسري في عروق كل الفرنسيين وهو المبدأ الّذي

ناضل من أجله اليعاقبة **(GACOBITES) الّذين دعوا إلى تنقية اللّغة الفرنسية من كل اللّهجات والهجين اللّغوي.

عوامل انتشار اللّغة الفرنسية: ما من شك أنّ انتشار اللّغة الفرنسية في مختلف دول العالم يعود إلى مجموعة من العوامل والأسباب، لعل أهمها:

1- عوامل سياسية: تعتبر الخطوة الّتي قام بها الحكّام الفرنسيون بفرض لهجة جزيرة فرنسا على الفرنسيين بالقوة، من اللّبنات الأولى الّتي توحي بمدى رغبة فرنسا في الحفاظ على لغتها والعمل على توحيدها ونشرها، فسياسة لويس الرابع عشر الدّموية، جعلت الفرنسيين يقبلون اللّغة المفروضة عليهم من قِبل حكامهم في تلك الفترة، وفي 15 أوت 1539م أصبحت اللّغة الفرنسية لغة رسمية من قِبل **فرنسوا الأول** (François 1[er]) [9] استناداً إلى (ordonnance de Villers-Cotterêts) الّذي ينصُّ على جعل الفرنسية لغة كلّ الوثائق الإدارية وقد " شرّعت الثّورة الفرنسية قانون تعميم استعمال اللغة الفرنسية بفرنسا سنة 1794. هذا القانون الذي أسهم بقدر كبير في بلورة الأمة الفرنسية، والذي احتفلت فرنسا حكومة وشعباً بذكراه المائتين سنة 1994 بإصدار قانون حماية اللّغة الفرنسية الّذي عرف بقانون توبون" [10]، كما أنّ فرنسا ربطت مستعمراتها السّابقة بمعاهدات ثقافية تجعلها تابعةً لها كالمغرب والجزائر إذ ربطت الجزائر في معاهدة إيفيان الثانية (07 إلى 18 مارس 1962م) بالتّوقيع على اتفاقية الحدّ من الحرب، وتعاون الجزائر مع فرنسا في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ مع تخصيص الإذاعة والتّلفزيون الجزائريّ لجزء من برامجها بالفرنسية؛ ويحقّ لفرنسا إنشاء مدارس في الجزائر أو العكس، مع مساعدة فرنسا للجزائر في هذا المجال.

2- عوامل تاريخية: تعدّ الثّورة الفرنسية (1789- 1799م) من أهم الأسباب الّتي ساعدت على انتشار اللّغة الفرنسية، لِمَا تحمله من شعارات إنسانية كالأخوة، والحرية والمساواة، بالإضافة إلى الأفكار التّحررية من

النّظام الإقطاعي الّذي جعل الملكية الزّراعية في يد طبقة رجال الإقطاع تقف حجر عثرة في طريق الحريات الفردية، لذا أسهم الكُتّاب الفرنسيون بالتّعريف بهذه الأفكار الّتي نشروها باللّغة الفرنسية، فأثروها بمصطلحات وأفكار جديدة جعلت الدّول الأخرى تنهل من هذه الأفكار حتّى تتبنى مبادئ هذه الثّورة الّتي ردّت الاعتبار للطّبقات الكادحة من العمال.

3- **عوامل أدبية:** يُعدّ الأدب من بين الوسائل الّتي أسهمت في التوحّد اللّغوي بين الفرنسيين حيث بدأ الشُّعراء والكتّاب والقصّاصون، يكتبون أدبَهم بلغة مفهومة عند الجميع، وهذا ما ساعد على وحدة اللّغة الفرنسية في عصر النهضة؛ وتعدُّ إسهامات فرنسوا الأول الدّاعي إلى تشجيع التأليف باللّغة الفرنسية بمثابة الحافز على التّأليف بهذه اللّغة الفتية الّتي كانت تفتقر إلى المصطلحات في مختلف التّخصصات ويعدّ القرن الثّامن عشر(18م) - بحق- العصر الّذي غذّى اللّغة الفرنسية بأفكار تحررية ومصطلحات جديدة جعلت منها محل اهتمام كِبار الكتَّاب في تلك الفترة، فأفكار جون جاك **روسو** (john Jacques rousseau) و**فولتير**(voltaire) الفلسفيّة مهَّدت للثّورة الفرنسية وغذّتها بالأفكار التَّحررية الّتي ألغت امتيازات النُّبلاء ورجال الدِّين، وجعلت الشّعب هو مصدر السُّلطة، وفي هذا العصر بدأت تتَّضح معالم الأدب الفرنسيّ المكتوب بالفرنسية، فهذا موليير (Moliere) يتعرض بلغة فكاهية للمشكلات الاجتماعية في مسرحياته المشهورة خاصة البخيل (L'avare) مسهماً بذلك في إثراء اللّغة الفرنسية وتطويرها واستقطاب قرّاء جدد للأدب الفرنسيّ خارج الحدود الفرنسية، كما أصدر الكاتب والرّوائي بلزاك (Balzac) سنة (1799م) أكبر موسوعة في الأدب الواقعي الفرنسيّ وهي الكوميديا البشرية (La comédie humain) وتشمل 150 قصة؛ كما أنّ الرّوائي ستندال (Stendhal) حاول أن يعالج المشكلات الاجتماعية بالأدب، وتعدّ روايته الأحمر والأسود (rouge et noir) خير دليل على اهتمام الكاتب بالعلاقات المتوتّرة بين

الكنيسة وباقي أفراد المجتمع وهذا ما مهّد لميلاد كوكبة من الكُتّاب الّذين يكتبون بالفرنسية في القرن التّاسع عشر (19م) أمثال فيكتور هيگو (Victor Hugo) الّذي حاول وصف وعرض واقع المجتمع الفرنسيّ من خلال رواياته المتنوعة، إذ تُصنَّف أعماله من ضمن الأعمال الخالدة في الأدب العالميّ وذلك بما أضافته روايته البؤساء (Les misérables) الّتي تصوّر الحالة النّفسية للإنسان وهو في أشدّ لحظات التّفكير في المجد الضائع وتأنيب الضمير بلغة فرنسية راقية، وهذا ما زادها غنى وانتشاراً في كلّ أنحاء المعمورة، فترجمت إلى العديد من اللّغات؛ وحُظيت بدراسات وافية؛ وهذا **گوستاڤ فلوبير**(Gustave Flaubert) صاحب رواية مدام بوڤاري (madame Bovary) يحاول– كذلك- أن يتعرّض للواقع الاجتماعي الّذي تعيشه الأُسر الفرنسية من خلال رواياته المختلفة متطرقًا إلى مواضيع جدُّ حسّاسة لأول مرّة، محاولاً معالجتها بالأدب؛ بالإضافة إلى **إميل زولا** (Emile Zola) الّذي اهتم بالواقعية الفرنسيـــة في روايته (le germinal) واقفاً على كلّ المشاكل الّتي تُصادف المواطن الفرنسيّ في حياته اليومية؛ بالإضافة إلى جول ڤيرن (jules verne) صاحب رواية رحلة حول العالم في ثمانين يوماً (Le tour du monde en 80 jours) الّذي أثرى الأدب الفرنسيّ برواياته الخيالية، والّتي جعلت الفرنسية تتشبّع بأفكار ومصطلحات جديدة لم تعرفها من قبل، وألبير كامو الّذي رفع قامة الفرنسية في المحافل الدّولية بعدما حصّل على جائزة نوبل للأدب بروايته الغريب (L'étranger) وعدد الأدباء والكُتّاب الّذين كتبوا بالفرنسية كُثر، لا يسع المقام لذكرهم كلّهم، فقد أغنوها بأفكارهم الفلسفية التّحررية وبمصطلحات جديدة كانت تفتقر إليها.

4- **عوامل عسكرية:** بعد نجاح الثّورة الصّناعية في أروبا في القرن الثّامن عشر الميلادي (18م) تكالبت الدّول الأوربية على دول العالم بحثاً عن المواد الأوّلية، وهذا ما ساعدها على نشر لغتها وفرضها أحياناً كثيرة على الشّعوب المستعمَرة، فهذا ناپليون بوناپرت (Napoléon Bonaparte) يغزو

النمسا في أواخر القرن الثّامن عشر الميلادي (18 م) بولونيا وبلجيكا، ممّا سمح للّغة الفرنسية بالانتشار في المنطقة، وأصبحت مستعمَلة من قبل سكانها وكان نابليون يحثُّ جنوده على تعليم اللّغة الفرنسية أينما ذهبوا، لأنّ نشر اللّغة الفرنسية في الدّول المستعمَرة هو الخدمة الحقيقية الّتي يمكن لهم أن يقدّموها للوطن فرنسا. "ولا ريب في أن الحروب الصليبية قامت بدور مهم في توسع اللغة الفرنسية نحو البلدان الناطقة باللغات الرومانية، ونحو بلدان الشرق، مثل أرمينيا واليونان في الوقت نفسه. وقد أدى انتصار غيوم الفاتح (Guillaume le conquérant) في هاستينغس (Hastings) عام 1066 واحتلاله إنجلترا إثر ذلك إلى استقرار الفرنسية في ما وراء بحر المانش" [11]؛ فلقد كان للجانب العسكري أثر كبير في نشر اللغة الفرنسية في أوربا وخارجها، والدّول العربية عرفت اللّغة الفرنسية عن طريق الحملة العسكرية الّتي قادها نابليون إلى مصر سنة (1797- 1801م) باسم نشر مبادئ الثّورة الفرنسية، ونقل الحضارة الغربية إليها.

إنّ استعمار فرنسا لمختلف دول العالم ومن بينها الجزائر، لم يقف على حدِّ استنزاف ثرواتها الطبيعية واستعباد سكانها فحسب، وإنّما وصل إلى حدّ جعل هذه الشّعوب الضعيفة فرانكفونية اللّسان بقوانين جائرة أو إرادة ذاتية، فقد حاربت فرنسا لغاتها، حتّى تبعدها عنها، وتفسح المجال للفرنسية بالانتشار على حساب اللّغة الأم، ففي الجزائر مثلاً، في أواخر القرن التّاسع عشر الميلادي (19 م) قامت فرنسا بفتح بعض المدارس لتعليم الفرنسية للأطفال وتنصيرهم حتّى يتخلوا عن أصالتهم وثقافة أبائهم ويندمجوا مع اللّغة والثّقافة الفرنسيتين دون أن يشعروا، وقد عمدت إلى تنصير آلاف الأطفال اليتامى الجزائريين وأبناء زعماء المقاومات الشّعبية بالقوّة، حتّى تجعلهم معادين للدّين الإسلامي واللّغة العربية؛ ففرنسا كانت تدرك أنّ تعليم الجزائريين وتنصيرهم هو السّبيل للسّيطرة عليهم، لذا دعا الجنرال بيجو (Peugeot) إلى تعليم الأطفال

الجزائريين التّاريخ الفرنسيّ والحضارة الغربية وقواعد اللّغة الفرنسية حتّى يتشبّعوا بالقومية الفرنسية، وعندما تموت الأجيال السّابقة تندمج الأجيال اللاّحقة مع الثّقافة الغربية وتتعلّم الفرنسية، فتصبح لا تطالب بثّقافتها الإسلامية ولا بلغتها القومية، بل تنشأ على حبّ اللّغة الفرنسية وتذوب في الثّقافة الغربية وتدافع عنهما بشراسة، لأنّها لغة السّلطة والإدارة والحضارة، والتّطور العلمي والتكنولوجي. وكان الجنرال ديگول (de gaulle) يصرّح في خطاباته أنّ الجزائر قطعة أرض فرنسية ولغتها الرّسمية هي الفرنسية حتّى يستميل الجزائريين إليه ويدمجهم في الثّقافة الغربية ويجعلهم فرنسيين فيتنكّروا لأصولهم وثقافاتهم.

سياسة فرنسا في الحفاظ على اللّغة الفرنسية وتوسيع استعمالها: تعددت السياسات الّتي استعانت بها فرنسا للحفاظ على لغتها، وضمان انتشارها في مختلف أنحاء المعمورة، ولعل أهمها:

1- تأسيس الأكاديمية الفرنسية: تعدّ من أهم المؤسسات الّتي تعمل على حفظ ونقاء اللّغة الفرنسية والسّهر على تقنينها، وجعلها مفهومة وميسّرة فهي تمثّل التُّراث اللّغوي للفرنسيين ولكلّ مستعمليها؛ فمنذ أن تأسّست سنة (1635م) وهي تسعى جاهدة إلى تطوير اللّغة الفرنسية، وجعلها مواكبة لمختلف التطورات العلميّة والحضاريّة الحاصلة في كلّ المجالات، وهذا ما دفعها إلى إصدار العديد من المعاجم إذ أصدرت أوّل معجم للّغة الفرنسية سنة 1694م، واتبعته بالمعجم التّاريخي النّقدي سنة 1697م[1 2] في أربعة أجزاء وأصدرت أوّل موسوعة في (1751/07/01م)[1 3] ثم أصدرت – كذلك- أعداداً أخرى في سنوات لاحقة مثل معجم (Larousse) و(Le Robert) وتنقّح كل سنة، وما هذا الاهتمام بالمعاجم إلاّ رغبةً في تطوير الفرنسية، وجعلها مواكبةً لكلّ التطورات العلميّة والتكنولوجيّة حتّى تسهم في تقديم الدّعم للباحثين بهذه اللّغة، وتوفّر لهم المصطلحات الحديثة كما أنّها تساعد الأدباء

والشّعراء ومختلف الفنّانين بتوفير المصطلحات الّتي تخدمهم، فيسهمون بذلك في تطوير وتنمية الأدب الفرنسيّ.

2- **الاهتمام بالتنقية اللّغوية (la purification linguistique)**: تعدّ فرنسا من أوائل الدّول الّتي مارست سياسة التنقية اللّغوية، إذ سهرت على تخليص لغتها من كل المصطلحات الدّخيلة والعمل على استبدالها بتوليد مصطلحات فرنسية جديدة، وتأليف معاجم حديثة قادرة على مسايرة التطورات العلمية والتكنولوجية والتقنية، فجهود المخطّطين اللّغويين تهدف في هذا المضمار إلى تنقية اللّغة من الغرائب والشوائب والدّخيل، وتعدّ الأمة الفرنسية من أكثر الأمم حرصاً على نقاء لغتها، لأنّها تمثّل لديهم الهوية والوطنية و"لتحقيق ذلك قام المجمع بتأليف المعاجم والمصطلحات لمراعاة السلامة اللّغوية، وحتى تتم الفائدة قام المجمع الفرنسي بتعميم نتائجه على المدارس والجامعات وتمّ إلزامها بتطبيق قراراته. وبعد أن فرغ المجمع من هذه المهمة اتّجه إلى تطوير المفردات والمصطلحات وتحديثها وتوليدها حتى يواكبا ركب التفجر المعرفي". [14] وهكذا استقرت المصطلحات الفرنسية في المعاجم، وأضحت مستعملة.

3- **الاهتمام بالترجمة**: لقد أدركت السّلطات الفرنسية أهمية الترجمة، لذا سارعت إلى ترجمة كلّ المصطلحات الدّخيلة على اللّغة الفرنسية، إمّا عن طريق مختلف وسائل الإعلام، أو السّلع المستوردة " فدعت وزارة الثّقافة القومية في باريس إلى سن تشريع لتجريم المصطلحات الأجنبية الشائعة خاصة الّتي تتعلق بالسّلع المستوردة، فمن بين الكثير من العبارات نأخذ talk show وgumchewin و ware soft و time prime و cheeseburger الّتي تترجم بعبارات فرنسية بديلة هي: causerie و marcher a gomme وlogiciel و heures écoute grand وquelque chose، ولابد من إيجاد مقابل وإلاّ أصبحت غير مقبولة كسلعة" [15]؛ وعلى هذه الطّريقة تخلّصت الفرنسية من المصطلحات الّتي تستوردها مع السّلع - رغم أن هذه المصطلحات غزت كل أسواق العالم بسبب

تصديرها مع السّلع- وأنتجت لنفسها مصطلحات أصيلة خاصة بها، حتى يضعوا حدّاً لمثل هذه الكلمات الأجنبية الّتي تتدفق عليهم يومياً.

ولتنقية اللّغة الفرنسية من هذه الشوائب اللّغوية، والحفاظ على صفائها ونقائها وحمايتها من تسرّب الألفاظ الأجنبية إليها، صدرت فرنسا قرارات وزارية ما بين 1973 و 1980 تتعلّق بالمحافظة على اللغة الفرنسية " فكل القرارات خاصة بالمعجم، وكلها تحاول أن تحلّ ألفاظاً فرنسية محل ألفاظ إنجليزية في مجالات شديدة التنوع كالوسائل السمعية البصرية، والأشغال العامة، والنفط والنقل والحوسبة، والطب والدفاع، وعلم ملاحة الفضاء، وغيرها" [16]؛ فرغم إصدار الدّولة الفرنسية لهذه القرارات الّتي تضمن استعمال اللّغة الفرنسية بين أهلها، إلاّ أن خطر الإنكليزية ما يزال يهدد أمن وسلامة الفرنسية، " ثم صدرت قرارات وزارية أخرى متعلقة بمصطلحات السياحة (1982/3/17) والاتصالات السلكية واللاسلكية (1982/4/27) والدعاية والإشهار (1983/2/18) والرصد عن بعد في ملاحة الفضاء (1984/10/20) بل صدر قرار (بالمفردات التي يستخدمها المسنون) 1985/3/13) [17]؛ فكل هذه القرارات لم تفلح في صدّ سيل المصطلحات الإنكليزية الّتي يحملها التوسّع الاقتصادي، لذا سعت الجمعية الفرنسية إلى ترصّد الألفاظ الأجنبية المتسربة إليها، ودعت إلى إيجاد مفردات ومصطلحات مقابلة لها " وعدد المصطلحات الإنكليزية المرصودة، لأن تطرد من الاستخدام الفرنسي التقني، عام 2000م بناء على توصيات لجنة إصلاح الفرنسية، هو 8000 مصطلح" [18]؛ وهذا يبين الرغبة الحقيقية لتنقية الفرنسية وتطويرها. كما سنّت الأكاديمية الفرنسية قانوناً يعتبر استخدام أي كلمة إنجليزية ولها مقابلها في اللّغة الفرنسية مخالفة قانونية، حتّى ولو كان استخدام الكلمة الإنكليزية أكثر شيوعاً من الكلمة الفرنسية؛ وهذا ما جعل الفرنسيين يسعون جاهدين لاستعمال اللّغة الفرنسية والتّخاطب بها، رغم إتقانهم للغات أخرى مثل الإنكليزية والإسبانية والألمانية... لأنّ عدم توظيفه للغته يعني

إنقاصًا من قيمتها، وبالتّالي تمرُّداً على أصالته وهويته، فاللّغة عنده هي الأصالة والحضارة والوطن.

3- **التَّشريع اللُّغوي:** من أجل ضمان استعمال اللّغة الفرنسية في الإدارة ومختلف المؤسَّسات التَّربوية والتخاطب بها بين مختلف شرائح المجتمع، عمدت الحكومة الفرنسية إلى سنِّ قوانين تفرض على الفرنسيين استعمال لغتهم والعمل على صفائها وانتشارها، ومن بين هذه القوانين، قانو (توبون) Loi Toubon (665- 94) [19] الصَّادر في أوت 1994، والّذي صاغ مجموعة من المواد الّتي تفرض استعمال اللّغة الفرنسية في مختلف الميادين من أجل حمايتها فتؤكّد المادة الأولى منه على أنّ اللُّغة الفرنسية عنصر أساس من الشّخصية والإرث الفرنسيّ فهي لغة الجمهورية بمقتضى الدّستور كما أنّها لغة التّدريس والعمل، والتبادلات المختلفة والخدمات العامة؛ والمادة الثّانية من هذا القرار تؤكِّد على أنّ اللّغة الفرنسية هي لغة الجمهورية الفرنسية؛ أمّا المادة الثّالثة منه فتنصُّ على أنّ كلّ النّصوص الدّعائية والإعلانات الملصقة في الأماكن العامة الموجّهة للإعلام الجماهيري، في وسائل النّقل العمومية المختلفة الموجّهة لتبليغ العامة، يجب أن تُصاغ باللّغة الفرنسية. وهذا القانون هو ترجمة واضحة لقرارات الدّستور الّتي تجعل اللّغة الفرنسية هي لغة الجمهورية، وأي إهمال لها أو المساس بها، هو الإساءة إلى هوية الشّعب الفرنسيّ.

كذلك الشأن بالنسبة للّغة الفرنسية في مقاطعة كيبيك (Québec) الكندية، حينما أحسّت بتراجع نسبة المتكلمين فيها باللّغة الفرنسية، حيث تقلّصت إلى نسبة (5,25 %) لسنة 1981م بعدما كانت نسبتها قبل الخمسينات حوالي (30%) [20]. كلّ هذه الأسباب جعلت حكومة كيبيك تضع مشروع قانون (101)** لسنة 1977 م، الّذي يهدف إلى حماية اللّغة الفرنسية من خطر اللّغة الإنگليزية والّذي ينصُّ على جعل اللّغة الفرنسية، لغة رسمية في العدالة، الإدارة والقانون، كما يجعلها لغة التخاطب المتداولة في العمل التّعليم

التّواصل، التّجارة والخدمات؛ والفصل الثّاني من الميثاق، حدّد خمسة حقوق لغوية [1 2] أساسية للكيبيكيين تتمثل في:

1- لكلّ شخص الحق في التّواصل باللّغة الفرنسية في كوبيك مع كل الطوائف الحكومية كالجمعيات الخدماتية، الشّركات المؤسّسة في كوبيك

2- لكلّ شخص في كيبيك الحق في الحديث باللّغة الفرنسية في مختلف التّجمعات الدّولية

3- حق كلّ العمّال في ممارسة وظائفهم المهنية باللّغة الفرنسية

4- من حق كلّ المستهلكين في كيبيك استعلامهم باللّغة الفرنسية وخدمتهم بها

5- كلّ شخص مقبول للتّدريس في كيبيك، من حقه أن يزاولَ نشاطه باللّغة الفرنسية.

كلّ هذه القوانين تبيِّن مدى حرص كيبيك على حماية اللّغة الفرنسية وضمان استمراريتها وكسر شوكة اللّغة الإنكليزية في المنطقة.

ولضمان توظيف اللّغة الفرنسية في مختلف المؤسَّسات العمومية والإنتاجية، عمدت كيبيك إلى جعل إتقان اللّغة الفرنسية، شرطاً من شروط التّوظيف، "فهذا القانون يجعل اللّغة الفرنسية هي اللّغة الرسمية لكيبيك وكان يتطلب من طالبي الوظائف المهنية أن يتقنوا الحديث باللّغة الفرنسية" [2 2] معناه أنّ التّوظيف في كيبيك مرتبط بإتقان اللّغة الفرنسية، فمن لا يتقن هذه اللّغة لا مكان له في هذه المقاطعة.

4- **فرض غرامات مالية:** إنّ اللّغة الإنكليزية تصدّر للّغات العالم مختلف المصطلحات العلميّة والتّكنولوجية المختلفة، الّتي يحملها التوسّع الاقتصادي وألفاظ الحضارة الّتي لم تسلم منها حتّى اللّغة الفرنسية، فلم تكتف الدّولة الفرنسية بسنّ قوانين تحفظ بها استعمال اللّغة الفرنسية في المنطقة وضمان استعمالها بشكل جيّد ودائم وحسب، وإنّما فرضت غرامات مالية على كلّ

المنتهكين لقوانين استعمالها داخل فرنسا، ففي سنة 1975م أصدرت فرنسا قانون بَا (Bas) " والذي يسمح بتغريم المؤسسات الّتي لا تستخدم الفرنسية في فرنسا، فقد عوقبت مثلاً شركة الطّيران الإنڪليزية British Airways لأنّها أصدرت تذاكر سفر بالإنڪليزية" [23]؛ وهذا ما يدل على رغبة فرنسا في حماية لغتها وضمان استعمالها بكل الوسائل، بما فيها فرض غرامات مالية على كلّ من لا يلتزم باستعمالها داخل فرنسا. واستمرت الدّولة الفرنسية في تطبيق هذه السياسة داخل فرنسا، إلى أن وصلت سياسة التغريم إلى كندا، " ففي فبراير 1984م غرمت شرطة پانتين (pantin) مجموعة من مطاعم فرنس كويك (France-quicks) بـ (3500 فرنك) لأنّ قائمة طعامها ضمَّت مواد مثل: (soft drinks) و(coffee irish) و(chees big) و(hamburger) بدلاً من تقديم هذه الأطباق والمشروبات تحت أسماء فرنسية كما يقتضي قانون اللّغة الفرنسية لعام 1975م" [24]؛ فلا يحق لأيٍ كان أن يخرجَ عن عُرف اللّغة الفرنسية، كأنّ يوظّف مصطلحات أجنبية في حقل من الحقول دون الاستعانة بالمصطلحات الفرنسية، ولا يمكن لأيٍ كان أن يُعلِّق لافتات إشهارية في محلّه مكتوبة بغير الفرنسية، وأي خطأ إملائي يُسيء إليها أثناء تعليق تلك اللّافتات، قد يُعرِّض صاحبها إلى دفع غرامات مالية، لأنّه يعتبر انتهاكاً لقوانين اللّغة الفرنسية "فقد كلّف ذكر (20 filter cigarettes) في إعلان شركة أخرى 7500 فرنك وبعكس ترتيب الحرفين الآخرين" [25]؛ أي أنّ الشّركة وضعت على علبة السجائر (20 filter cigarettes) بدل أن تضعَ 20 filtre cigarette. ولتحقيق سياسة التّحدّث بالفرنسية بين المواطنين في كيبيك وضمان استعمالها في مختلف مجالات الحياة، استعانت المقاطعة حتّى بالرّقابة البوليسية، كي تضمن نقاء الفرنسية " ففي السّنوات الأولى لسياسة فرنسة كيبيك، هُدِّدت شركات كندية أيضاً بالغرامات (مابين 25 و1000 دولار كندي) وقد عُوقبت بالفعل بعد تحذيرات وأوامر متكرّرة بالامتثال. ويذكر تروشو (truchot) أنّ عدد

الانتهاكات لقوانين اللّغة الفرنسية ما بين العامين 1982 1984م كان 704 انتهاكات، منها 216 انتهاكاً عوقبت بغرامات" [26]؛ فمقاطعة كيبيك وفرنسا تنتهجان سياسة التّشريع اللّغوي وفرض غرامات مالية، حتّى أنّه لا يسمح لأي فرنسيّ أن يوقّع أو يملأ استمارة أو صكا بريديا بغير اللّغة الفرنسية، فإن تجرّأ على مخالفة هذا القانون، تُفرض عليه غرامات مالية إلى أن يستقيمَ ويوظّف اللّغة الفرنسية في الإدارة، مراكز البريد...

5- **توظيف وسائل الإعلام:** لقد ساهمت وسائل الإعلام الفرنسية في توعية المواطن الفرنسيّ وتنمية إحساسه ورغبته في الحفاظ على لغته وإصراره على نقائها، فهو يعمل جاهداً على تعليمها لغير متقنيها وتصحيحها للّذين يخطئون في استعمالها، فحتّى المسؤولون الّذين يخطئون في توظيف اللغة الفرنسية لا يسلمون من انتقادات الصّحافيين ولا من سخط المجتمع المدني، لأنّ الفرنسية – حسبهم- هي الأصالة، فيجب العناية بها والمحافظة عليها، ويزداد إصرارهم على إتقانها والعمل بها في مختلف الهيئات كما لا يغفل الفرنسيون بتذكير المترشّحين لمنصب إدارة اليونسكو على وجوب إتقان الفرنسية، لأنّ إتقانها شرط من شروط تولّي هذا المنصب، " ولا يتردّد الفرنسيون في التّذكير بأنهم متمسكون بأن يتقن المترشّحون لخطّة المدير العام اللّغة الفرنسية لإدارة هذه المنظمة الدولية الّتي تتخذ من باريس مقراً لها، وكم يلذّ لهم أن يعيدوا هذا التذكير إبَّانَ كل حملة انتخابية، سواء على لسان مسؤوليهم أو على لسان رجال الإعلام " [27] ؛ فتولّي رئاسة هذا المنصب مرهون بإتقان اللّغة الفرنسية أولاً، والإنڭليزية ثانيًا.

6- **إجراء امتحانات لغوية**: إنّ الفرنسيين من أكثر الشّعوب المحافظة على لغاتها - كما أسلفنا الذكر في أكثر من مقام- إذ تسعى إلى تعليمها وتحبيبها لمتكلّميها بكل الوسائل المتاحة، لضمان سلامة استعمالها فخصّصت المؤسسات المسؤولة عن سلامة ونقاوة اللّغة الفرنسية للفرنسيين يوماً

في كل سنة لإجراء امتحان في الإملاء، ويشارك فيه رئيس الجمهورية وتُخصّص جوائز قيّمة للذّين لم يرتكبوا أخطاءً إملائية، ويتنافس المشاركون أشدّ المنافسة على هذه الجوائز، ويحظى الفائزون بتقدير الجميع، لأنّهم يتقنون لغتهم، ولا يخطئون في كتابتها، كما يشترطون من الّذين يتقدمون لطلب الوظائف الحكومية والإدارية ... إتقان الفرنسية نطقاً وكتابة، وإلاّ ستكون حظوظهم ضئيلة في الظّفر بمنصب عمل يضمن لهم حياة كريمة.

الفرانكفونية: إنّ مصطلح الفرانكفونية (**F**rancophonie) ظهر لأوّل مرة سنة 1880م[28] على يد الجغرافيّ الفرنسيّ أُنسيم ريكلو (Onésime Reclus) الّذي ربطه بانتشار اللّغة الفرنسية خارج فرنسا تحديداً للمناطق الّتي يتكلّم أهلها الفرنسية، ثم ظهر مصطلح الفرانكفونية (francophonie) مرة أخرى في مجلة فكر (Esprit) سنة 1962م بمفهوم جديد، فأصبح يعني ذلك التّجمع الدّولي الّذي يعقد كلّ سنتين، ويضمّ الدّول الناطقة كلياً أو جزئياً باللّغة الفرنسية، الّتي تعدّ القاسم المشترك بينها، وقد تناوب على استعمال المصطلح كل من الحبيب بورگيبة (Habib Bourguiba) الرئيس الأسبق لتونس وليوبولد سينگور(Léopold Seder Senghor) الرّئيس الأسبق للسّنغال.

إنّ الانتشار الواسع الّذي عرفته اللّغة الفرنسية في القرن التّاسع عشر يعود إلى الغزو العسكريّ الفرنسيّ لمختلف الدّول الضّعيفة في العالم، ومحاولة تنصيرها، فمُنعت هذه الشّعوب من العمل بلغاتها وعُوّضت بالفرنسية، لأنّها لغة المستعمِر، ولغة العلم والتّعليم، والإدارة، والشّؤون العامة... فهي من بين اللّغات الأكثر انتشاراً في العالم، ولضمان انتشارها أنشأت فرنسا مجموعة من المؤسسات الّتي تعمل على نشرها[29] وتتمثل في:

1- الفيدرالية العالمية للثقافة وانتشار اللغة الفرنسية 1906م
2- الجمعية العالمية للكتاب باللغة الفرنسية 1937م

3- الإتحاد العالمي للصّحافيين والصحافة باللغة الفرنسية (UIGPLF) 1952م

4- المجلس العالمي للفرنسية كلغة أروبية 1959م

5- جمعية الجامعات المتكلمة جزئياً أو كلياً بالفرنسية (AUPELF) 1961م

6- الإتحاد الإفريقي الملغاشي (UAM) 1961م

7- فيدرالية الجمعيات لانتشار الفرنسية 1964م

8- المنظمة الإفريقية الملغاشية المشتركة (OCAM) 1965م

9- اللجنة العليا للغة الفرنسية 1966م، وكان اسمها بدءاً: اللّجنة العليا للدّفاع عن اللّغة الفرنسية ونشرها

10- المجلس العالمي للغة الفرنسية 1967م

11- وكالة التّعاون الثقافيّ والتقنيّ (ACCT) 1970

12- الجمعية الفرانكفونية للاستقبال والاتصال 1974م

13- المجلس الأعلى للفرانكفونية 1984م

14- المجلس الأعلى للغة الفرنسية 1989م

15- المنظمة العالمية الفرانكفونية.

بالإضافة إلى مؤسسات أخرى أُوجدت لغرض المحافظة على الفرنسية والعمل على نشرها في كلّ أقطار العالم خاصة مستعمراتها السابقة، وهي: [30]

➢ الجمعية الوطنية لنشر اللّغة الفرنسية في المستعمرات والخارج: أُسّست في القرن الثّامن عشر(18م) تعمل على نشر اللّغة الفرنسية في مستعمراتها وتنصير شعوبها.

- الهيئات المتخصّصة لرعاية اللّغة الفرنسية في كلّ الجامعات الفرنسية وفي الخارج: تسهر على تنقية اللّغة الفرنسية من الدّخيل الإنـكليزيّ، والبحث عن مصطلحات فرنسية لها نفس المعنى.
- رابطة مستخدمي اللّغة الفرنسية (منظمة غير حكومية تعمل على حماية اللّغة الفرنسية خارج فرنسا): وجدت لاستقطاب أكبر عدد ممكن من مثقفي العالم الثّالث، حتّى يساهموا في نشر الفرنسية في بلدانهم.
- المنظمة الدّولية للبرلمانين النّاطقين بالفرنسية سنة 1966: وتشترط على منخرطيها الولاء للّغة الفرنسية والعمل على توظيفها ونشرها.
- الفيدرالية الدّولية للمعلمين النّاطقين بالفرنسية سنة 1969: تعمل على استقطاب كلّ معلمي اللّغة الفرنسية في العالم.
- وزارة الفرانكفونية: تعمل على نشر اللّغة الفرنسية، والحفاظ على الخريطة الفرانكفونية خارج فرنسا وتخصِّص لذلك ميزانيات مالية كبيرة.

كل هذه المؤسسات الفرانكفونية، توضح مدى رغبة فرنسا في الحفاظ على نقاء اللّغة الفرنسية ونشرها في مختلف الدّول، خاصة مستعمَراتها السّابقة في مختلف القارات، فكأنّما تتوق إلى ترميم إمبراطوريتها السّابقة الّتي فقدتها في القرن العشرين، وتحاول من خلال منظمة الفرانكفونية ربط هذه الدّول بفرنسا، عن طريق اللّغة الفرنسية الجامعة بينها، وتطويق الخناق على الأنكلوفونية، حتّى تذوب هذه الشّعوب في اللّغة والثّقافة الفرنسيتين، ويتسنى لها الانتشار والتوسّع في إطار هذه المنظمة، الّتي تتستّر بها تحت قناع حوار الثّقافات، التّسامح، الحرية التّعددية اللّغوية والثّقافية، وهي لا ترضى أن تُستعمل غير الفرنسية في مؤسساتها، وتُسِنّ قوانين ردعية لضمان استمرارية توظيف لغتها في كلّ المجالات.

أساليب المنظمة الفرانكفونية: لقد تعدّدت الأساليب الّتي تنتهجها المنظمة الفرانكفونية في سبيل نشر اللّغة الفرنسية على أكبر نطاق ممكن، ولعلّ من أشهرها ما يلي:

1- **الإغراءات والمساعدات المالية:** من بين الوسائل المختلفة الّتي توظّفها السُّلطات الفرنسية لضمان بقاء اللّغة الفرنسية وانتشارها في مختلف دول العالم الفقيرة منها خاصة، تقديمها مساعدات مالية حتّى تبقى دائما محتضنة للّغة الفرنسية ومدافعة عنها، حتّى تضمن للغتها الاستمرار والتّفوق، فقد أعلن الرّئيس الفرنسيّ (فرانسوا ميتران) في قمة داكار الفرانكفونية (24- 28 مايو1989) " بأن فرنسا سوف تلغي الدَّين العام للبلدان الإفريقية الخمسة والثلاثين الأفقر، وهو 16 بليون فرنك في جملته وفي المقابل ينتظر من هذه البلدان أن تستمر في ضمان الدور المتفوق للغة الفرنسية في الحكومة والتعليم" [1 3] فالفرنسية تستعمل كأداة لإغراء الشّعوب الفقيرة، بهدف تذويبها وصهرها في قالب الثّقافة الفرنسية، ثمّ اعتناقها للّغة الفرنسية وتوسيع نطاق استعمالها، وجعلهم حُمَاة للثّقافة واللّغة الفرنسيتين خارج فرنسا وهكذا يتسنى لها الانتشار على حساب اللّغات العالمية الأخرى مثل الإنكليزية، الإسپانية والعربية ... وأحياناً أخرى على حساب اللّغة المحلية كما هو الشّأن في القارة الإفريقية حيث نجد أكثر من دولة إفريقية تجعل الفرنسية اللّغة الرّسمية لها، أو لغة الإدارة، التّعليم الاقتصاد والأعمال .... كما تُقدِّم مساعدات بأساليب أخرى، إذ تُقدِم على شراء نُسخ من كُتب الفرانكفونيين، الّذين يهتمون بالأدب الفرانكفوني، حتّى تقدّم لهم الدّعم المادي والمعنوي، ويواصلوا تأليفهم بالفرنسية، وتجعلهم متشبّثين بها ومدافعين عنها، وجعلهم سفراء الفرانكفونية في بلدانهم، وهذا ما فعلته مع الكاتبة اللّبنانية كاتيا حداد حينما أقدمت على شراء حوالي مائتي نسخة من كتابها الّذي يتناول الأدب الفرانكفونيّ في المشرق العربيّ. لقد وصلت المساعدات المالية الّتي قدمتها فرنسا للصّحف

الفرنسية بالمغرب الأقصى لسنة 2000م إلى (169.4 ألف فرنك فرنسي) [32] من ضمن المساعدات المالية الّتي تقدمها للمغرب الأقصى في مجال التّعاون الثّقافيّ واللّغويّ كما أنّها تقدّم مساعدات مالية للأقسام التّحضيرية الخاصة في المغرب والجزائر... الّتي تجعل من الفرنسية لغة التّدريس الأولى، فتدعّمها حتّى تكوّن أجيالاً يغارون على اللّغة الفرنسية ويخدمونها ويساهمون في نشرها ونشر الثّقافة الفرنسية، فتكون فرنسا هي المستفيد الوحيد من هذه الكفاءات في المستقبل، وليس المغرب أو الجزائر، لأنّهم سيشعرون أنّ فرنسا هي وطنهم والفرنسية هي لغتهم ويتعصّبون لها، ويتنكّرون للّغة بني جلدتهم.

إنّ فرنسا من أكثر الدّول الّتي تخصّص ميزانية مالية ضخمة في سبيل نشر لغتها في العالم "فقد قدّرت النّفقات الحكومية بالفعل في العام 1977م بما بين 25 و30 بليون فرنك. وهذه النقود أُنفقت على تشغيل 1200 مكتب [للتحالف الفرنسي] Alliance Française في أكثر من مائة بلد وعلى المجلس الأعلى للفرانكفونية الّذي أنشأه الرئيس ميتران العام 1984م، وكذلك على بعض المؤسسات الأخرى مثل مكتب اللّغة الفرنسية الذي أنشئ في العام 1937م، ولجنة دراسة المصطلحات الفنية الفرنسية الّتي كوّنت في العام 1945م" [33]؛ فكلّ هذه المبالغ الضّخمة المخصّصة لتوسيع نطاق استعمال اللّغة الفرنسية وضمان استعمالها بشكل جيّد، تؤكد رغبة فرنسا في الحفاظ على امتيازاتها اللّغوية في مختلف دول العالم الّتي تستعمل لغتها كلياً أو جزئياً خاصة مستعمراتها السّابقة، من أجل تّطويق الإنـگليزية الّتي أضحت تهدّد الفرنسية حتّى في عقر دارها پـاريس.

2- وسائل الإعلام: لقد أدركت فرنسا قوة الإعلام ومدى تأثيره على الأفراد، لذلك اهتمت به وجعلته من أهم الأدوات الّتي تُحقق بها نشر الثّقافة واللّغة الفرنسية، ورسم الخريطة اللّغوية لها خارج فرنسا والتأثير على شعوب مستعمراتها السّابقة، لضمان التفافها حول الفرنسية والنّموذج الفرنسيّ الرّاقـي

لذا سارعت إلى إنشاء مجموعة من المحطّات التّلفزيونية الفضائية (كإذاعة البحر المتوسط France 2, tv5, Rmc Orient, ARTE) حتّى تستقطب المتحدّثين باللّغة الفرنسية كلياً أو جزئيا، وتغزوهم ثقافياً، فالقناة التلفزيونية الخامسة (tv5) تسهم بصورة قوية في نشر الثّقافة الغربية وتعليم اللّغة الفرنسية في الدّول الفرانكفونية عن طريق تخصيص برامج ثقافية لتعليم اللّغة الفرنسية بطرائق بسيطة وممتعة حتّى يتمكن المشاهد من تعلّم الفرنسية وإتقانها، فتظلّ هذه الشّعوب فرانكفونية اللّسان محافظة على الفرنسية ومدافعة عنها.

كما تشجّع القناة التّلفزيونية (tv5) الفنانين في كل أقطار العالم على التأليف بالفرنسية الّتي تجعلهم - حسبها- عالَميين، ويحظون بشعبية كبيرة في كلّ البلدان، فحتّى تُقدَّم أعمالهم وأغانيهم في التّلفزيون الفرنسيّ، يُشترط منهم تقديم ما نسبته 51% أو أكثر من منتوجاتهم بالفرنسية، وإلاّ ستبقى محبوسة في لغتهم القومية المحدودة الانتشار؛ وقد سار وراء هذا الوهم أعداداً لا يستهان بها من الفنّانين والمغنين في مختلف البلدان الفرانكفونية، معتقدين أنّ الفرنسية تجعلهم نجوماً في سماء الإبداع متجاهلين أنّ نجوماً كثيرة قد سطعت بلغاتها القومية ولا تفقه الحديث بالفرنسية.

لقد أرادت فرنسا أن تجعل مستعمراتها السّابقة أقطاراً فرانكفونية، من خلال دعمها لوسائل إعلام هذه الدّول، فمثلاً إذاعة ميدي 1 المغربية بطنجة تحصل على دعم مالي فرنسي، وتقدر هذه المساعدات لسنة 2000م بمبلغ (248.4 ألف فرنك فرنسي) [3 4] وتمتلك فرنسا 99 % من أسهمها؛و هذا يعني أنّ فرنسا مهتمة بالإعلام المغربي وتسعى إلى جعله فرانكفونياً حتّى تحظى بنصيب وافر من المشاهدين للبرامج الفرانكفونية، واحتضان اللّغة الفرنسية من قِبل العائلات المغاربية.

ولقد اشتدّ الصِّراع بين الفرنسية، الإسپانية والعربية على القنوات التلّفزيونية المغربية، حيث تصل نسبة البرامج الفرنسية في القناة التلفزيونية

الأولى إلى (30%) [35] وهذا ما يفسّر رغبة فرنسا في استقطاب المشاهد المغربيّ إليها، وجعله وفياً للبرامج الفرانكفونية الّتي تجعله متحضّراً وعالمياً لأنّ الفرنسية لغة النّخبة في نظر المشاهد المغربي.

أمّا القناة التّلفزيونية الثّانية (M2) فإنّها تقدّم ما نسبته 70 % من برامجها بالفرنسية، وتسهم فرنسا في دعم القطاع السّمعي البصري المغربي بمبلغ (561.2 ألف فرنك فرنسي) [36] حسب إحصائيات 2000م، ما يعني أنّ العربية تلقى منافسة شديدة من قبل الفرنسية الّتي تسعى إلى توسيع حدودها اللّغوية في المغرب، محاولة خلق طبقة فرانكفونية عن طريق البرامج التّلفزيونية التي تحافظ على اللّغة الفرنسية في المنطقة.

3- تأسيس الجامعات الفرانكفونية في الخارج: إنّ التواجد الفرنسي في الوطن العربي ليس وليد القرن العشرين، وإنّما يعود إلى عهد الدّولة العثمانية في بداية القرن السّادس عشر (16 م)، حينما حصّلت فرنسا على أوّل امتياز للاستثمار في الدّول العربية، ومنذ ذلك الوقت وهي تسعى إلى تأسيس روابط الصّداقة والتّعاون معها، وبعد ظهور الثّورة الصناعية في أوروپا وضعف الدّولة العثمانية واندلاع الثّورة الفرنسية وحملة ناپليون على مصر (1798- 1801م) احتفظت فرنسا بامتيازاتها في المنطقة وجعلت بعض هذه الدّول مستعمرات لها مثل: الجزائر، المغرب، لبنان ... وهذا ما سهّل لها نشر لغتها في هذه البلدان وأقدمت على تأسيس الجامعة اليسوعية في لبنان (جامعة القديس يوسف) في أواخر القرن التّاسع عشر، وتعدّ بذلك أوّل جامعة فرانكفونية تُغرس في الوطن العربيّ، وتعمل على نشر اللّغة والثّقافة الفرنسيتين في المشرق العربيّ، وأسّست جامعة سنغور بالإسكندرية، وأسّست أكثر من ألف (1000) [37] مدرسة خارج فرنسا حتّى تضمن استعمال الفرنسية بالمنطقة وتسهم في تكوين مثقفين عرب يعملون على نشرها والدّفاع عنها، ويساهمون في تّطويق الأنكلوفونية.

4- **الجوائز الأدبية:** بعد نهاية الحرب العالمية الثّانية، تحرّرت أغلبية المستعمرات الفرنسية وانهارت معها الإمبراطورية الفرنسية التقليدية، وهذا ما أدى إلى تقلّص استعمال اللّغة الفرنسية في هذه الدّول، ما جعل فرنسا تتخذ الثّقافة واللّغة الفرنسيتين رابطاً بينها وبين مستعمراتها السّابقة، لذا عمدت إلى عقد مسابقات في القصّة القصيرة، الرّواية والتّرجمة... وتقديم الجوائز لأحسن الأعمال الأدبية المكتوبة بالفرنسية، حتّى تربط النّاطقين بالفرنسية كلياً أو جزئياً بالثّقافة الفرنسية عن طريق لغتها وتشجع الكتَّاب والمؤلفين على الإنتاج بهذه اللغة، وقد مُنحت جائزة الأكاديمية الفرنسية لسنة (1939م)[38] للبنانيّ فؤاد أبي زيد، صاحب (ديوان قصائد الصيف) وجائزة الفرانكفونية الكبرى لسنة (1986م) للبناني جورج شحادة ومُنحت – كذلك - جائزة رينيه لابورت (René la Porte) لسنة (1983م) للشّاعر اللبنانيّ فؤاد گبريال نفاع؛ وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على رغبة فرنسا في توسيع رقعة انتشار لغتها، وجعل النّخبة الأجنبية تسير في فلك الثّقافة الفرانكفونية، وتخدم لغتها، كما تسهر على حمايتها وإغنائها بأفكار ومصطلحات جديدة.

5- **اللّقاءات والقمم الفرانكفونية:**[39] لتحقيق مشروع الإمبراطورية الفرنسية الضّائعة، وضمان استعمالها وانتشارها في مختلف دول المعمورة، لجأت فرنسا إلى عقد قمم فرانكفونية ولقاءات بين الدّول الفرانكفونية، حتّى تربطها باللّغة الفرنسية وتقف في وجه سيل الإنـگليزية، الّتي لا تعترف بالتّعددية الثّقافية واللّغوية.

1- قمة پاريس (قصر ڤرساي) 17- 19 فيفري 1986: تعد أوّل قمة فرانكفونية، فقد دعا فيها الرَّئيس الفرنسيّ فرنسوا ميتران (François Mitterrand) 41 رئيسًا ووزيراً أول للدّول الّتي تشترك في استعمال اللّغة الفرنسية حتى يشاركوا في تحديد الأهداف المتعلقة بالتّضامن.

2- قمة كيبيك 2- 4 سبتمبر 1987م: لقد سمحت هذه القمة لممثلين عن الشّعوب الّتي تشكّل العائلة الفرانكفونية، بالتّعارف وتبادل الخبرات في مختلف الميادين السياسية، الاقتصادية والثّقافية...

3- قمة داكار(عاصمة السنغال) 24- 26 ماي 1986م: لقد اجتمع الرؤساء 41 في عاصمة السنغال بدعوة من رئيسها "عبدو ضيوف" (Abdou Diouf) وقد انصبت أكثرية أعمالهم على مسألة التّعليم والتكوين في الدّول الفرانكفونية.

4- قمة شايو (Chaillot) 19- 21 نوفمبر 1991م: وقد وصفها رئيسها فرنسوا ميتران بالنّاضجة والواسعة، لأنّها ضمّت حوالي خمسين دولة.

5- قمة (grand baie) جزر موريس 16- 18 أكتوبر 1993م: في هذه القمة اعترف المشاركون بأهمية الاقتصاد وعلاقته بثقافة الشّعوب فحددوا معايير التّعاون الاقتصادي بين الدّول الفرانكفونية. وفي هذه القمة انضمّت دولتان غير فرانكفونيتان إلى المنظمة، وهما رومانيا وبلغاريا.

6- قمة كُوطونو (Cotonou) البنين 2- 4 ديسمبر 1995م: لقد أخذت هذه القمة منعرجاً سياسيًا حيث اتخذ المشاركون مجموعة من القرارات ذات صبغة سياسية، فأنشأوا منصب الأمين العام للفرانكفونية وغيروا تسمية وكالة التّعاون الثّقافي والتّقني، بالوكالة الفرانكفونية، كما راجع الأعضاء ميثاق الوكالة الفرانكفونية فأصبحت تسمى ميثاق الفرانكفونية؛ غير أن ما يلاحظ على هذه القمة هو انضمام أعضاء غير فرنكفونيين إلى المنظمة مثل: سان توماس (Saint thomas) ولغته الرسمية هي البرتغالية.

وتحوّلت الوكالة الثّقافية والتقنية إلى وكالة الفرنكفونية تحت مسؤولية الأمين العام للوكالة، وتمّت مراجعة ميثاق الوكالة من قبل الأعضاء بتحول هذا الميثاق إلى ميثاق الفرانكفونية.

7- قمة هانوي (Hanoi) الڤيتنام 14- 17 نوفمبر 1997م: من المفروض في هذه القمة السابعة أن تتناول قضية التّعاون الاقتصادي، لكن في الأخير اختير موضوع التنبؤ بالصراعات الموجودة في الدول الأعضاء، وقرروا التعاون مع الجمعية الدولية لضمان احترام حقوق الأفراد، كما أُسند منصب الأمين العام للمنظمة، للأمين العام الأسبق لمنظمة الأمم المتحدة **بطرس بطرس غالي** وتحوّلت المنظمة إلى قوة سياسية لها وزن المنظمات الدّولية والإقليمية المعروفة كاليونسكو ومنظمة الوحدة الإفريقية...

8- قمة مونكتون Moncton (كندا) 3- 5 سبتمبر 1999م: لقد وصل عدد الأعضاء في المنظمة إلى 52 عضوا بين الدّول والحكومات والملاحظين، وقد اعترفوا بالدور الإيجابي الذي قدّمه بطرس غالي للمنظمة لأنّه أسهم في إرساء فكرة أن الفرانكفونية تسعى إلى تحقيق الترابط والتعاون بين الدول؛ كما اتّفق - في هذه القمة- على مبدأ احترام التّعددية الثقافية والعمل على إجراء حوار بين هذه الثقافات، وقد تقرر عقد محاضرة بين وزراء الثقافة للدول المنتمية إلى المنظمة في السنة القادمة (2000م) .

9- قمة بيروت (لبنان) 18- 20 أكتوبر 2002م: وهي القمة الفرانكفونية الأولى التي تعقد في دولة عربية، وقد نوّه فيها إلى أن حوار الثقافات شرط أساسي لحفظ السلام، ويسمح بمحاربة التّهميش والتّمييز العنصري، وقد استجاب رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة لدعوة الرّئيس اللبناني لحضور القمة، كما عينّت الجمهورية السلوڤاكية كعضو ملاحظ في هذه القمة.

10- قمة وگادوگو (Ouagadougou) بوركينافاسو 26- 27 نوفمبر 2004م: عقدت هذه القمة لدراسة موضوع: "الفرانكفونية فضاء متضامن من أجل تنمية مستدامة" وقد طوت فيها على ثمانية قرارات نذكر أهمها: دراسة ملف الشرق الأوسط، كوت ديڤوار، مسألة الصندوق العالمي

التّضامن، مساعدة الدول المتخلفة في مجال التنوع الثقافي وحرية الصحافة وغير ذلك من القضايا.

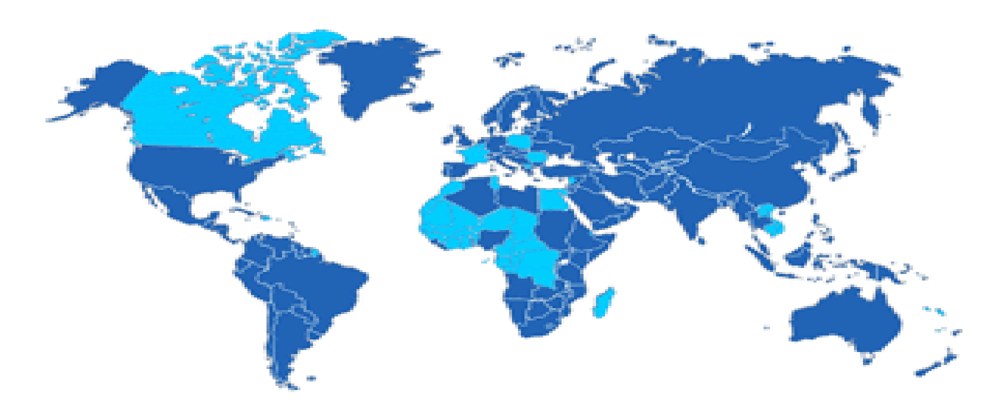
11- قمة بوخارست (Bucarest) رومانيا، سبتمبر 2006م: عقدت هذه القمة تحت عنوان: "التربية والتكنولوجيا الحديثة في الاتصال" ففي عصرنا الحاضر لا يمكننا الاستغناء عن تكنولوجيا الاتصال لكن اقتنائها واستعمالها في العالم يتمّ بطريقة غير عادلة.

12- قمة كيبيك (Québec) أكتوبر 2008م: وقد طرحت فيها بعض القضايا مثل: المحافظة على البيئة، اللّغة الفرنسية ...

13- قمة مونتريو (Montreux) مقاطعة (فود السويسرية) أكتوبر 2010م: من المفروض أن تقام في مدغشقر، لكن المسؤولين في المنظمة غيروا مقرها إلى سويسرا، وما يلاحظ على هذه القمة هو طلب خمس دول جديدة على أن تكون ملاحظة من بينها: الإمارات العربية المتحدة، الجبل الأسود وهكذا يصل عدد أعضاء الدول والحكومات إلى 75 عضوا، 56 أعضاء دائمون و 19 ملاحظون.

14- قمة كنشسا (Kinshasa) 2012م: وهي القمة المزمع عقدها في الجمهورية الديمقراطية للكونگو.

ومن خلال ما تقدّم نستنتج أنّ فرنسا استطاعت أن تستقطب أعضاء دائمين وملاحظين يعملون على إنجاح هذه القمم، وبساهمون في توحيد النّاطقين كلياً أو جزئياً، تحت شعارات متنوعة، قصد التصدّي لغول العولمة اللّغوية الّذي لا يعترف بالتّنوع الثّقافيّ واللّغويّ، واقتنعت هذه الدّول أن الفرانكفونية هي المخلّص من سيل العولمة الأنگلوفوني الجارف، ووصل عدد النّاطقين الفرانكفونيين في العالم إلى ما يفوق 200 مليون.



خريطة توضح الدّول المنتمية إلى منظمة الفرانكفونية.

المثقّف العربي والفرانكفونية: استطاعت فرنسا أن تخلق طبقة عربية مثقفة في المغرب العربي ولبنان، تشبّعت بالثّقافة الغربية عامة والنّموذج الفرنسي خاصة، إذ تجعل من اللّغة الفرنسية وسيلة لإيصال أفكارها وتعتبرها لغة العلم الحضارة... عكس اللّغة العربية الّتي أصبحت لغة الخُطب المسجديّة، والسّمو الرّوحي في الدّنيا والآخرة، ففي الجزائر مثلاً كان فرحات عباس الإصلاحي يطالب بإدماج الجزائريين بالفرنسيين يتساوون في الحقوق والواجبات، ومصالي الحاج (زعيم حزب الشّعب الجزائري) يتقن الفرنسية ويطالب بالاستقلال التّام للجزائر، إلاّ أنّه كان يقيم بفرنسا ؛ كما نجد أنّ أغلبية الأدب المكتوب في القرن العشرين (20 م) مكتوب بالفرنسية، فقد كتب **جون عمروش** (Jean Amrouche) بالفرنسية لكنّه كان يشعر بالتّمزق والانفصال، فهو جزائري الهويّة وفرنسي اللّسان، فلا هو فرنسيٌّ كبقية الفرنسيين ولا هو جزائريٌّ محافظٌ على لغته، الّتي تميّزه عن الفرنسيين فكان دائماً يردّد إنّ فرنسا هي فكر روحه والجزائر روح فكره، وهذا ما حدث مع **آسيا جبّار** الّتي ترى أنّها

مسلوبة القدرة على الكتابة بالعربية، لأنّ الفرنسية سلبت منها القدرة على التّعبير والكتابة بلغتها   أمّا **مالك حداد فيقول** - دائماً- إنّ الفرنسية هي منفاي (Le français c'est mon exile) لأنّه كان يدرك خطر الفرنسية على المفكّر الجزائري، الّذي يكون غريب اللّسان في وطنه، ولا يستطيع أن يكتب لقومه بلغتهم، فهو منفي اللّسان لا الجسد، وهذا ما يجعله يشعر أنّه أجنبيّ في وطنه، وهو بين أقرانه. ونجد كُتَّاباً جزائريين آخرين كتبوا بالفرنسية عن واقع مجتمعاتهم، لكنّهم لم يشعروا بالتّمزق والانفصال في وطنهم، فهم يستعينون باللّغة الفرنسية للتّعريف بقضايا مجتمعهم، وإبراز وجوده ف**كاتب ياسين** يجعل من الفرنسية غنيمة حرب (Le français c'est le butin de guerre) وليست منفى له وقد كتب بها روايته المشهورة (نجمة) الّتي عبّرت بطريقة أو بأخرى عن أفكاره وأحاسيسه تجاه وطنه الجزائر، و**محمد ديب** مثلا يكتب عن الثّورة الجزائرية ومعاناة الجزائريين من السّياسة الاستعمارية باللّغة الفرنسية، كالدّار الكبيرة (La grande maison) حتّى تقف شعوب العالم على قضايا الشّعب الجزائري، فهو يستعين بلغة العدو لمحاربته، ولنفس الغرض استعملها كل من مولود فرعون في رواياته الّتي يصف فيها الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري خاصة منطقة القبائل في نجل الفقير(Le fils de pauvre) والدّروب الوعرة (Les chemins qui montent) ومولود معمري الّذي يقف على أحداث الثّورة التّحريرية الجزائرية 1954م، ويعرّفها بالفرنسية في كتبه على نحو ما فعل في روايته الأفيون والعصا (L'opium et le bâton).

وبعد الاستقلال بقي بعض الجزائريين يكتبون رواياتهم وأشعارهم باللّغة الفرنسية أمثال: عبد الحميد لغواطي، جمال عمراني ... في الشّعر، ورشيد بوجدرة، ياسمينة خضرة ... في الرّواية، ورغم استقلال الجزائر سياسياً وعسكرياً عن فرنسا، إلاّ أنّها لم تستقل لغوياً، فما تزال الفرنسية هي لغة الإدارة، الاقتصاد التّعليم العالي ... حتّى وإن كانت العربية هي اللّغة الرّسمية

للبلاد، وهذا يدل على أنّ الفرنسية تحظى بشعبية عند الكثير من المثقّفين الجزائريين، الّذين يعملون على حمايتها ونشرها من خلال كتاباتهم وتوظيفها في معاملاتهم اليومية.

أمّا في لبنان، فقد نجحت فرنسا- كذلك- في خلق طبقة عربية مثقّفة، تتعصّب للّغة الفرنسية وتعمل على نشرها في المنطقة، حيث دخلت بيروت في المنظمة الفرانكفونية، واحتضنت القمة الفرانكفونية التاسعة سنة 2002م، كما أسهمت فرنسا في تكوين طبقة من الشّعراء والكتّاب والفنانين الّذين يكتبون باللّغة الفرنسية نذكر منهم: صلاح ستيتي في الشّعر، وأمين معلوف في الرّواية، فقد كتب كلّ رواياته بالفرنسية مثل: ليون الإفريقي (léon l'africain) سلالم الشرق (Les échelles de levant) ...

موقع الفرنسية في العالم: تحظى اللّغة الفرنسية باهتمام كبير في بعض الدّول، فلم تعد اللّغة الرسمية لفرنسا فقط، وإنّما أصبحت رسمية في بعض الدّول الأخرى الّتي كانت مستعمرات لفرنسا ومتعايشة مع لغات رسمية مختلفة في بلدان معينة، وتدرّس كلغة أجنبية ثانية في بلدان أخرى، كما يظهر في الجدول التالي: [40]

اللّغة الفرنسية لغة رسمية في بعض الدّول:

الـدّولة	النظام السياسي statut politique
1- البنين	دولة
2 – بوركينافاسو	دولة
3 - بيرن (سويسرا) Berne	مقاطعة سويسرية
4- الجالية الفرنسية في بلجيكا	جالية (بلجيكا) Communauté
5- كونغو برازافيل	دولة
6 - كونغو كنشسا	دولة

7 - كوت ديڤوار	دولة
8 – فرنسا	دولة
9- الـگـابون	دولة
10- جنيف (سويسرا)	Canto مقاطعة سويسرية
11- گودلوپ Guadeloupe	محافظة فرنسية département
12 –غينيا	دولة
13 - گويان الفرنسية	département ولاية فرنسية
14 - جورا Jura	Canton مقاطعة سويسرية
15 – مالي	دولة
16- مارتنيك	département ولاية فرنسية
17- مايوت Mayotte	Collectivité territoriale جماعة
18 – موناكو	Principauté إمارة
19- النيجر	دولة
20- كاليد ونيا الجديدة	دولة ما وراء البحار(فرنسية)
21- پولينيزيا الفرنسية Polynésie	دولة ما وراء البحار(فرنسية)
22 – كيبيك	(province) إقليم كندي
23 - روينيون Réunion	Département ولاية
24 - سانت بارثلمي saint Barthélemy	Collectivité territoriale جماعة
25 - سانت مارتان Saint Martin	Collectivité territoriale جماعة

26- سانت پيار وميكلون Miquelon Sainte pierre et	جماعة Collectivité territoriale
27 – السينگال	دولة
28- الطوگو	دولة
29 - ڤود Vaud	دولة
30- ڤاليس وفوتينا Wallis et Futuna	جماعة فرنسية في ما وراء البحار

من خلال الجدول يتّضح أنّ من بين ثلاثين (30) دولة ومقاطعة تستعمل اللّغة الفرنسية لغة رسمية لها، هذا ما يجعلنا نقول إنّ الفرنسية حظيت بعناية كبيرة خاصة في الدّول الإفريقية الّتي انحلّت في قالب اللّغة الفرنسية الّتي أصبحت لغة الدّولة والمعاملات والاقتصاد... والنّموذج المثالي للحاق بالركب الدولي.

الفرنسية تتعايش مع بعض اللّغات الرسمية في بعض الدّول:

الـدّولة	الفرنسية متعايشة مع لغات رسمية
1- بلجيكا	الألمانية ، النيرلندية
2- برن (سويسرا)	الألمانية
3- بورندي Burundi	كيروندي Kirundi
4- الكاميرون	الإنـگليزية
5- كندا	الإنـگليزية
6- إفريقيا الوسطى	السانـگو Sango
7- جزر القمر	العربية
8- جيبوتي	العربية
9- فريبورگ (سويسرا) fribourg	الألمانية

10- غينيا الاستوائية	الإسبانية
11- هايتي	Créole كريول
12- لوكسمبورگ	اللكسمبورگية، الألمانية
13- مدغشقر	المالغاشية
14- موريطانيا	العربية
15- برنسويك Brunswick (سويسرا)	الإنـگليزية
16- نوناڤوت (كندا) Nunavut	إنوكتيتوت Inuktitut
17 – Pondichéry (الهند) پونديشيري	tamoul–télougou– malayalam تمول- ملايلام-تيلوگو
18- رواندا	الإنـگليزية- Kinyarwanda كينيارواند
19- السيشل seychelles	الإنـگليزية - كريول Créole
20- سويسرا	الرومانشية – الإيطالية Romanche
21- التّشاد	العربية
22- T. du Nord–Ouest (Canada)	الإنـگليزية
23 - ڤال Val d'Aoste (Italie) الشرقية	الإيطالية
24- ڤاليس(سويسرا) Valais	الألمانية
25- ڤانوتو Vanuatu	الإنـگليزية
26- يوكون (كندا) Yukon	الإنـگليزية

من خلال الجدول يتبيّن لنا أنّ اللّغة الفرنسية منتشرة في مختلف الدّول تتعايش مع مختلف اللّغات الأخرى؛ ما يعني أن لها مكانة حتى في الدّول التي توظّف الإنـگليزية، والألمانية، والعربية والإسپانية، والإيطالية، وهذا نتيجة لجهود معتبرة قدِّمت من قبل الدّولة الفرنسية.

الخاتمة: تعدّ الأمة الفرنسية من أكثر الأمم الّتي تسعى جاهدة إلى حفظ لغتها من خطر الأنـگلوفونية والعمل على نشرها في مختلف دول العالم، إذ تصرف الملايير من الأورو، وتوظّف مختلف الكفاءات البشرية في سبيل الحفاظ على الخريطة اللّغوية للّغة الفرنسية التي رسمتها خلال العهد الاستعماري وتسهر على تنمية الفرد الفرنسيّ وتجعله متشبِّعا بحسّ لغوي كبير تجاه لغته فليس غريباً أن لا يقبل هذا المواطن أيَّ خطأ في لغته، حتّى لو كان من المسؤولين عن البلاد، فهو- أي المواطن - ينشد السّلامة اللّغوية في الفرنسية لأنّها — حسبه - الهوية والأصالة، والإفراط فيها هو خيانة للوطن. وتعمل الدّولة جاهدة على ربط مستعمراتها السّابقة بأساليب متعدّدة، حتّى تبقى وفيّة للفرنسية وتسهر على حفظها، وجعلها في الرّيادة.

وقد عمدت إلى عرض سياسة فرنسا في نشر لغتها والسّهر على الحفاظ عليها ، بغرض الاستفادة منها، لأنّها رفضت الذّوبان في القطب اللّغوي الأحادي الإنـگليزيّ، وأبت إلاّ أن تدافعَ عن لغتها بكل ما أُتيت من وسيلة. واستنادا إلى ما تقدم، يمكننا أن نقول إنّ اللّغة العربية أحوج إلى مثل هذه السياسة في هذا الوقت، أكثر من أي وقت مضى، لأنّها تعاني الهجر من قبل أبنائها الّذين ينفرون منها فيتخاطبون باللّهجات العربية، ويحرصون على إتقان اللّغات الأجنبية، فالعربية الفصحى- حسبهم- لغة لا تواكب المستجدات الحاصلة في العصر الراهن، خاصة من حيث المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة ومختلف التطوّرات الأخرى.

إنّ اللّغة الفرنسية حديثة العهد مقارنة باللّغة العربية الّتي عمّرت أكثر من ستة عشر قرناً، ولها من المقوّمات ما يجعلها في مرتبة اللّغات العالمية الأخرى فقد كانت لغة العلوم المختلفة، ومنهل الثقافة الإنسانية لقرون عدّة، وطوّعت الثّقافات الشّرقية والغربية، بالإضافة إلى عدد متكلمييها الّذين يفوق عددهم المليار، لكنّها اليوم تشكو من هجرة أبنائها لها، وعدم غيرتهم عليها، فهي بحاجة إلى تشريع قوانين تضمن استعمالها في مختلف نواحي الحياة، حتّى تستعيد هيبتها، فالتّاريخ يعلّمنا أنّ اللّغة إذا ما هُجرت ولم تعد مستعملة، فمآلها الموت والاندثار، كحال اللاّتينية والسنسكريتية؛ فحفظ اللّغة لا يكون في عدد سكانها وعمرها الطّويل، وإنّما في غيرة أبنائها عليها واستعمالهم إيّاها في كلّ الميادين.

وابن خلدون صدق حينما قال: إنّ المغلوب مولع باتّباع الغالب في كل أموره، وهذا ما ينطبق على الفرد العربيّ من المحيط إلى الخليج، لأنّه اليوم أصبح يعيش استلاباً فكرياً ولغوياً، لا يهتم بلغته ولا يستعملها بالشّكل الّذي يسمح لها بالانتشار حتّى تتعايش مع مختلف اللّغات، وتضمن لنفسها البقاء في حلبة الصراع اللّغوي.

الهوامش:

---

1 - Michèle Perret, introduction à l'histoire de la langue française, 3e édition. France : 2003, Armande colin, p37.

♣- اتفاق سياسي وقع بين (Louis le Germanique) و(Charles le Chauve) ضد أخيهم (Lothaire) وكلّهم أبناء لشارل مان (charlemagne).

♥- أطلق عليها هذا الاسم، لأنها كانت تنطق نعم بـــ (oc) أما اللّهجة الثانية فلأنها كانت تنطق نعم بـــ (*oïl*).

2 - Michèle Perret, introduction à l'histoire de la langue français, 3e édition. France : 2003 Armande colin, p 44.

3- ينظر الموقع التالي: http://www.espacefrancais.com/history.htm

4 - Michèle Perret, introduction à l'histoire de la langue française, p 46.

5 - jean louis Tritter, histoire de la langue française, paris: 1999, édition ellipses, p114.

♠- رجل سياسي فرنسي، ولد في باريس سنة (1585/09/09م) وتوفي بها سنة (1642/12/04م) مؤسس الأكاديمية الفرنسية، وله إسهامات كثيرة في المحافظة على اللّغة الفرنسية وإثرائها.

6 - jean louis Tritter, histoire de la langue française, p114.

♣♣- لويس الرابع عشر14، حاكم فرنسا في القرن17، وهو ابن لويس الثالث عشر13 الملك الأسبق للبلاد.

7- مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط: 1983، العدد: 23، ص 34.

8- ينظر الموقع التالي : http://www.espacefrancais.com/history.htm

♠♠- يطلق هذا الاسم في السياسة على جماعة ثورية اتخذت من دير قديم لليعاقبة في باريس مقراً لها، وصار اللّفظ يعني مجازاً الجمهوريين المتعصبين من أنصار الدّولة المركزية.

9 - Michèle Perret, introduction à l'histoire de la langue française, 3e édition. France : 2003, Armande colin, p47.

10- عبد السلام المسدّي، العرب والانتحار اللغوي، ط1. طرابلس: 2011، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 102.

11 - لويس جون كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر: حسن حمزة، مراجعة: سلام بزي - حمزة، ط 1.

بيروت: 2008، المنظمة العربية للترجمة، ص 342.

12 – Jean Louis Tritter, p143.

13 – ibid. P145.

14- فواز عبد الحق الزبون، "دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها" الموسم الثقافي السابع والعشرون لمجمع اللّغة العربية الأردني، مؤتمر "اللّغة العربية في المؤسسات الأردنية، واقعها وسبل النهوض بها" ط1. الأردن: 2009، منشورات مجمع اللّغة العربية الأردني، ص 88.

15- بنجامين باربر، عالم ماك، المواجهة بين التأقلم والعولمة، تر: أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ص 210.

16- لويس جون كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص 356-357.

17- لويس جون كالفي، نفسه، ص 357.

18- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللّغوية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن ط1. الأردن: 2004. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص283.

19- ينظر في الموقع: www.legifrance.gouv.fr في :2011/02/03م على الساعة 10سا و30د.

20- فلوريان كولماس، اللّغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، مراجعة: عبد السلام رضوان الكويت: 2000، مطابع الوطن سلسلة عالم المعرفة، ص 123.

21- ينظر الموقع التالي:
http://fr.wikipedia.org/wiki/Charte_de_la_langue_fran%C3%A7aise

22- فلوريان كولماس، اللّغة والاقتصاد، ص 123.

23- لويس جون كالفي، نفسه، ص 357.

24- المرجع نفسه، ص 174.

25- المرجع نفسه، ص174.

26- المرجع نفسه، ص 174.

27- عبد السلام المسدّي، العرب والانتحار اللغوي، ص 49.

28 - dictionnaire encyclopédique, préface Emmanuel le Roy Ladurie, paris : 2004, éd : Philipe auzou , p 781.

29 - بن سالم حميش، نقد ثقافة الحجر وبداوة الفكر، ط 1. المغرب: 2004، مكتبة النيل والفرات، ص 51-52.

30 - ينظر: صالح بلعيد، " لماذا نجح القرار السياسي في الفيتنام وفشل في ...؟ " ط 4. الجزائر :2002، دار هومة.

31 - فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ص147.

32- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، ص 384.

33- فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ص145.

34- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، ص 384.

35- المرجع نفسه ، ص 384.

36- المرجع نفسه، ص 384.

37- صالح بلعيد، المرجع السابق، ص18.

38 - عز الدين المناصرة، ص 312-313.

39 - ينظر الموقع التالي: www.ttfq.ulaval.ca/ax/francophonie.html في:2011/02/10 م.

40- الموقع نفسه.

تجربة الإنكليز في تعميم اللغة الإنكليزية

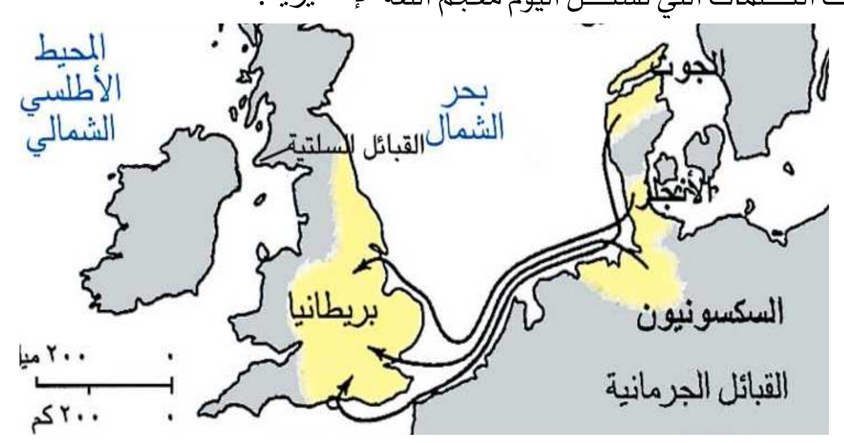
خليل حميش

جامعة مولود معمري

مقدّمة: لقد عرفت الخريطة اللغوية العالمية تغيّرات جذرية في العصر الراهن؛ إذ شهد العالم اندثارَ العديد من اللغات، وتراجع مدّ الكثير منها وتشير الدراسات الحديثة إلى وجود أكثر من 15000 لغة حية في بداية القرن العشرين، ليتقلّص عددها إلى ما يقرب من 5000 لغة في الوقت الراهن، وما يزال هذا العدد مرشّحا للتقلّص والتراجع في كلّ وقت؛ بفعل الاحتكاك الحضاري الرهيب الذي يعيشه العالم المعاصر، وما نتج عن ذلك من تأثير وتأثّر بين اللغات. وتعتمد هذه العملية على القوة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية للغة المؤثِّرة، وهو ما يجعل الكثير من اللغات - التي تعاني ضعفا في هذا الجانب - تقع فريسة سهلة بين أنياب اللغات القوية، خاضعة بذلك لمبدأ المقولة المشهورة (البقاء للأقوى).

وممّا لا شكّ فيه، أنّ أكثر اللغات استفادة من الظروف الراهنة، التي يعيشها العالم، هي اللغة الإنكليزية؛ حيث خوّلها معطياتها المتعددة الانتقالَ من نطاق المحلية الضيّقة - المحصورة في بلد أو بلدان معيّنة - إلى مجال العالمية الواسع، المفتوح على كلّ البلدان. ومن هنا تأتي هذه الدراسة محاولةً الكشفَ عن بعض تلك الجهود التي بذلها، وما يزال يبذلها الإنكليز، في سبيل وصول لغتهم إلى هذه المكانة التي تحتلّها في عالمنا المعاصر. ولا نعني بالإنكليز هنا سكان بريطانيا فقط، بل ستتناول هذه الدراسة حتى الجهود التي تبذلها بعض الدول الأخرى التي تتّخذ اللغة الإنكليزية لغةً رسمية لها، كالولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا؛ حيث يجمع بين كلّ هذه البلدان همٌّ واحد، وتشترك جميعها في خدمة قضية واحدة، ألا وهي اللغة الإنكليزية.

نبذة تاريخية عن اللغة الإنـگليزيـة: يعود أصل اللغة الإنـگليزية إلى إحدى لغات ما قبل التاريخ،♥والتي يطلق عليها الباحثون المحدثون اللغة الهندو- أروبية البدائية التي كان يتلاغى بها أقوام عاشوا في منطقة شمالي البحر الأسود؛ الذي يقع في جنوب شرقي أوروبا، وبعدها هاجر هؤلاء الناس عبر مراحل متعدّدة، وأخذوا في استحداث لغات جديدة؛ فقد هاجرت مجموعة منهم غربا، ثمّ انقسمت إلى مجموعات كانت تتكلّم بلغات مختلفة نشأت منها. فيما بعد ـ اللغة اللاتينية الإغريقية والجرمانية، هذه الأخيرة التي تطوّرت منها اللغة الإنجليزية، وفي منتصف القرن الخامس الميلادي استولى الجرمانيون ـ الذين عاشوا في محاذاة بحر الشمال ـ على بريطانيا، وكان هؤلاء الجرمانيون ينتمون إلى ثلاث قبائل رئيسة هي: الأنـگلز (بفتح الهمزة) والجوت والسكسون، وقد استقرّ الأنـگلز في وسط بريطانيا وأصبحت هذه المنطقة تُعرف بأرض الأنـگلز، ومنها أخذت تسمية إنـگـلترا التي مازالت معروفة إلى اليوم، أمّا السكسون فاستولوا على المنطقة الجنوبية الغربية بينما تمركزت قبيلة الجوت في شمال بريطانيا. وقد اتّحدت لغات هذه القبائل الثلاثة فيما بينها، وشكّلت ما يُعرف اليوم باللغة الإنـگليزية. وقد تركت اللغة الجرمانية بصماتها على اللغة الإنـگليزية؛ حيث يظهر ذلك جليّا في قواعدها، وفي آلاف الكلمات التي تشكّل اليوم معجم اللغة الإنـگليزية.



خريطة توضّح طرق انتقال القبائل الجرمانية إلى بريطانيا

ويُقسّم الدارسون تاريخ اللغة الإنكليزية إلى ثلاث فترات رئيسة كما يلي:

1ـ مرحلة الإنكليزية العتيقة: وتمتدّ هذه المرحلة بين عام500م و1100م، إذ كانت اللغة الإنجليزية في هذه المرحلة خليطا من اللغات الجرمانية للأنگلز والجوت والسكسون، وكانت تشبه إلى حدّ كبير اللغة الألمانية الحديثة، فقد احتوت على تصريفات عديدة للكلمات كما هو الحال في اللغة الألمانية. وفي القرن السادس والسابع الميلادي أضيف إلى اللغة الإنكليزية العديدُ من الكلمات اللاتينية وذلك مع انتشار النصرانية في إنكلترا، وفي الأعوام الأخيرة، من القرن التاسع الميلادي، استقرّ الڤايكنگ القادمون من الدانمارك والنرويج في الشمال الشرقي من انگلترا، ونتيجة لذلك دخلت كلمات كثيرة من اللغات الإسكندناڤيّة إلى الإنكليزية العتيقة، وأصبحت جزءا منها، ومن هذه الكلمات تلك التي تبدأ بـ .sc أو sk نحو: scare (فزع)، sky (سماء)، كما اقتبست أيضا الضمائر: they، their them من الإسكندناڤيين.

2. مرحلة الإنكليزية الوسطية: وهي المرحلة الثانية من مراحل تطوّر اللغة الإنكليزية وتمتدّ من منتصف القرن الحادي عشر إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي؛ إذ تعرّضت إنگلترا في سنة 1066م لغزو النورمنديين؛ وهم أناس يعود أصلهم إلى منطقة تقع في فرنسا تسمّى نورمنديا وأصبح قائدهم المعروف بـ وليم الأوّل ملكا لإنكلترا، وهو الأمر الذي جعل النورمنديين يُحكمون السيطرة على كافة المؤسسات الإنكليزية، بما في ذلك الحكومة والكنيسة، ممّا جعل الطبقة العليا في إنكلتـــرا يلجأون إلى تعلّم اللغة الفرنسية النورمندية بغرض النفوذ، والحصول على مواقع في السلطة وفي مختلف الإدارات الحكومية. أمّا أكثرية الشعب الإنكليزي فقد واصل التكلّم باللغة الإنكليزية، ومن هنا نجد دخول العديد من الكلمات الفرنسية إلى المجتمع الإنكليزي؛ إذ اقتبس الإنكليزيون الآلاف من الكلمات الفرنسية وطوّعوها وفق مقاييسهم لتصبح جزءا من لغتهم، ولذلك نجد كثيرا من كلمات اللغة الفرنسية المكتوبة مفهومة

أيضا لمتحدثي الإنكليزية حتى في العصر الراهن، بالرغم من أن النطق يكون عادة مختلفا، وقد استمرّ الأمر على هذا الحال حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي؛ إذ بدأ النفوذ الفرنسي بالتراجع والاضمحلال بعد هذا التاريخ، وهو ما فتح الأبواب على مصراعيها أمام اللغة الإنكليزية للعودة مرّة ثانية إلى المؤسسات الحكومية، ومختلف شؤون الحياة في المجتمع الإنكليزي وبذلك تنتهي مرحلة الإنكليزية الوسطية بتراجع المد النورمنديّ.

3. مرحلة الإنكليزية الحديثة: مع حلول سنة 1485م تدخل اللغة الإنكليزية المرحلة الأخيرة من مراحل تطوّرها؛ إذ فقدت اللغة الإنجليزية في هذه المرحلة معظم تصريفات الإنكليزية العتيقة وأصبح النطق ونظم الكلمات فيها مشابها إلى حدّ كبير لما هو موجود في الإنكليزية المستخدمة في الوقت الحاضر، وخلال هذه الفترة، توسّعت مفردات اللغة الإنكليزية، وبدأت الملامح الكبرى لها بالظهور والتجلّي، وأخذت تشقّ لنفسها طريقا خاصّا، يميّزها عن غيرها من اللغات الأخرى، سواء على مستوى الأصوات، أو المفردات، أو التركيب. لتبدأ بذلك رحلتها نحو العالمية؛ فمع حلول القرن السابع عشر الميلادي، بدأت اللغة الإنكليزية في الانتشار في معظم أنحاء العالم، وقد أسهم في هذا [2]الانتشار عدّة عوامل تعود إمّا إلى اللغة الإنكليزية ذاتها، أو إلى أشياء خارجة عن اللغة وهذه العوامل بنوعيها هو ما سنحاول أن تكشف عنه هذه الدراسة المتواضعة فيما سيأتي إن شاء الله.

العوامل المساهمة في تعميم اللغة الإنكليزية: لا شكّ أنّ هناك عدّة عوامل أسهمت ـ بطريقة أو بأخرى ـ في وصول اللغة الإنكليزية إلى المكانة التي تحتلّها في عالمنا المعاصر، ولعلّ من أهمّ هذه العامل ما يلي:

1 ـ الاستعمار: لاشكّ أنّ هناك علاقة وثيقة بين هيمنة لغة من اللغات والقوة العسكرية للناطقين بتلك اللغة، فالمتأمّل في تاريخ اللغات يجد أنّ هناك لغات عدّة تمكّنت في فترة معيّنة من فترات التاريخ من التوسّع والانتشار على حساب اللغات الأخرى، وذلك لا لشيء إلاّ لكون الناطقين بتلك اللغة يتمتّعون

بقوّة عسكرية وسياسية؛ مكّنت للغتهم ذلك الانتشار، "فبدون رابطة القوة الشديدة تلك - أيا كانت سياسية أو عسكرية - لا تستطيع أيّ لغة أن تصنع تقدّما كوسيلة اتصال دولية [1]" فاللغة اليونانية مثلا كانت لغة اتصال دولي في الشرق الأوسط لأكثر من 2000 سنة، وذلك لِما كان يتمتّع به اليونانيون من قوة عسكرية، خاصّة في عهد الإسكندر الأكبر، كما أنّ اللغة اللاتينية التي هيمنت في فترة من الفترات على كلّ أنحاء القارة الأروبية، يعود سببه في الأساس إلى قوّة الجيوش الرومانية التي تعتبر من أعظم القوى المحاربة في التاريخ، وما يُقال عن اللغة اليونانية واللاتينية، يُقال أيضا عن اللغة العربية التي تمّ التحدّث بها على نطاق واسع في عهد الفتوحات الإسلامية، ولا تنأى لغات أخرى كالإسبانية والبرتغالية والفرنسية عن هذا الوصف.

ولعلّ المتأمّل في التاريخ الاستعماري لبريطانيا يرى بوضوح مدى مساهمة قوّتها العسكرية في نشر اللغة الإنكليزية في كلّ أنحاء العالم، فمع نهاية القرن السادس عشر الميلادي، بدأت الحملات (الهجرات) الاستكشافية إلى القارة الأمريكية، إذ تمكّنت بريطانيا في سنة 1607م من إقامة أوّل مستوطنة بريطانية في القارة الأمريكية، وتدعى مستوطنة گيمستاون، لتتوالى بعد ذلك البعثات البريطانية إلى غاية عشرينات القرن الثامن عشر، حين وصل إلى أمريكا نحو 50.000 شخص من الاسكتلنديين والأيرلنديين، "وقد وصل عدد المستوطنات في سنة 1733م إلى ثلاث عشرة مستوطنة وهي المستوطنات التي شكّلت ما يُسمّى الآن بالولايات المتحدة الأمريكية [2]"، والتي يعود أصل الكثير من سكانها إلى المملكة المتحدة البريطانية.

وفي هذا الوقت أيضا أخذت اللغة الإنكليزية في التوسع في شمال القارة الأمريكية، إذ أسالت تجارة صيد الأسماك والفرو والزراعة لعاب المستوطنين الإنكليز، إلاّ أنّهم اصطدموا بالأطماع الفرنسية في المنطقة، ممّا جعلهم يدخلون معهم في صراع طويل؛ انتهى باستسلام الفرنسيين في الأخير، وطُرد الآلاف منهم من

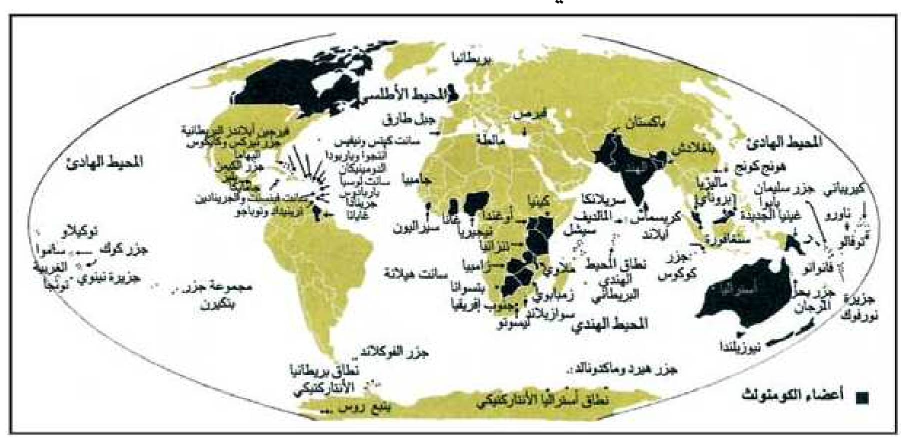
كندا، وحلّ مكانهم مستوطنون قَدِمُوا من اسكتلندا وايرلندا وانكلترا، وبذلك تسيطر بريطانيا على أغلب المناطق الكنديّة، ما جعل اللغة الإنكليزية تنتشر على نطاق واسع في أمريكا الشمالية. وقد تزامنت هذه الفترة أيضا مع توجيه بريطانيا حملات استكشافية إلى مناطق أخرى من العالم؛ كأستراليا ونيوزلندا وجزر الكاريبي وجنوب إفريقيا، وغيرها من المناطق الأخرى في شتى بقاع العالم، إذ خاضت بريطانيا صراعات طويلة مع السكان الأصليين لهذه المناطق، لتتمكّن في الأخير من بسط سيطرتها عليها، وإخضاعها لسيادتها، وهو ما مكّن للغة الإنكليزية من الانتشار بقوة في مختلف هذه المناطق الواقعة تحت الحماية البريطانية.

وبعد قيام الثورة الصناعية في أوروبا خلال القرن الثامن عشر الميلادي قادت بريطانيا رفقة الدول الاستعمارية التقليدية في القارة العجوز حملةً استعمارية واسعة؛ استهدفت بشكل أكبر القارتين الإفريقية والآسيوية، إذ وقعت معظم دول هاتين القارتين تحت وطأة الاستعمار الأوروبي "ففي هاتين القارتين سعت الدول الصناعية إلى الحصول على المواد الخام لمصانعها والأسواق لمنتجاتها الصناعية، كما سعت إلى هاتين القارتين بوصفهما مناطق استثمار جديدة، وللبحث عن أقطار جديدة تقوّيها في منافستها للأقطار الأوروبية الأخرى [3]"، وقد احتلّت بريطانيا كلا من الهند وماليزيا، وحصلت على نفوذ كبير في منطقة الخليج العربي، كما استولت على العديد من الدول الإفريقية كغانا، كينيا نيجيريا، السودان، زيمبابوي وغيرها من البلدان. وبهذا توسّعت الإمبراطورية البريطانية وبلغت أوجّها "فقد كانت مساحة الإمبراطورية البريطانية تزيد 140 مرة عن مساحة انكلترا [4]". وقد حمل البريطانيون إلى هذه المستعمرات عاداتهم وتقاليدهم، كما عمدوا إلى جعل اللغة الإنكليزية هي اللغة الرسمية في تلك المستعمرات؛ إذ استخدمت في مختلف الشؤون الإدارية والحكومية لتلك المستعمرات، كما فُتح العديد من المدارس لتعليم أبناء المستعمرات اللغة الإنكليزية.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأت الحركات التحررية في الدول المستعمَرة تنتشر على نطاق واسع في كلّ أنحاء المعمورة، وهو ما مكّن العديدَ من المستعمرات البريطانية من أخذ استقلالها على غرار باقي المستعمرات الخاضعة للدول الاستعمارية الأخرى، إذ استقلّت حوالي 40 دولة من المستعمرات البريطانية في الفترة الممتدّة بين عامي1947م و1980م، وانضمّت هذه الدول المستقلة إلى **منظمة كومنولث الأمم** "وهي منظمة دولية لمجموعة من الدول المستقلة والوحدات السياسية الأخرى التي عاشت تحت الحكم البريطاني وتشمل هذه المنظمة بريطانيا ومعها 53 دولة مستقلة كانت في يوم ما مستعمراتٍ لبريطانيا، كما تشمل 25 وحدة سياسية مثل المقاطعات والمناطق التي توجد تحت الحماية البريطانية، ويشكّل أعضاء كومنولث الأمم نحو ربع سكان العالم، ويشغلون أيضا ما يقرب من ربع مساحة الكرة الأرضية تقريبا [5]". وتجمع بين دول هذه المنظمة ـ التي يقع مقرّها في العاصمة البريطانية لندن ـ عدّة مصالح وروابط، أهمها اللغة الإنكليزية الواسعة الانتشار بين دول هذه المنظمة؛ إذ جعلت العديدُ من دول كومنولث الأمم من اللغة الإنكليزية لغة رسمية لها خاصة الدول المستقلة حديثا كـ : ناميبيا، كينيا، تنزانيا، أوغندا زامبيا، زيمبابوي، وغيرها من الدول الأخرى. كما تُنتج هذه المنظمة العديد من البرامج والمشاريع التي تسعى إلى تطوير اللغة الإنگليزية في مختلف الدول الأعضاء، وهناك ـ أيضا ـ مجموعة من برامج التنمية تقوم بتنفيذها وكالات كومنولث الأمم بالدول الأعضاء، فعلى سبيل المثال، هناك مجموعة من برامج المساعدات الاقتصادية والمساعدات الفنية تُقدّم للدول النامية في المجموعة، كما تقوم بعض الوكالات بتنمية التعاون الوثيق بين هذه الدول في قطاعات مختلفة مثل الإعلام، والاتصالات الفضائية، والتعليم، والصحة، والأبحاث العلمية وتشرف أمانة كومنولث الأمم على قيادة هذه البرامج، وتنسيقها وإدارتها. وينبغي التنويه ـ هنا أيضا ـ إلى بعض الدول التي انضمّت مؤخرا إلى هذه المنظمة

رغم عدم كونها ـ أي هذه الدول ـ من المستعمرات السابقة لبريطانيا، ونعني هنا دولتي الموزمبيق ورواندا، هذه الأخيرة التي قد ساءت علاقاتُها الديبلوماسية مع فرنسا، ما جعلها تُوَلِّي وجهَها شطر منظمة الكومنولث. وما يمكن قوله عن هذا الانضمام إنّه يُعَدُّ بمثابة انتصار للغة الإنكليزية، باعتبارها كسبت متحدّثين جُدُدًا في صراعها مع الفرانكفونية.

إنّ المكانة التي تحظى بها اللغة الإنكليزية بين دول الكومنولث أسهمت بشكل مباشر في تطويرها، وزيادة تعلّمها؛ حيث أصبحت كلّ عاصمة. من عواصم الدول الأعضاء في منظمة الكومنولث بمثابة عاصمة للغة الإنكليزية، تُنَافِحُ من أجلها، وتبذل المستحيل في سبيل نشرها وترقيّتها، وتزداد هذه الجهود عندما يتعلّق الأمر بالدوّل الكبرى في هذه المنظمة، من أمثال بريطانيا وأستراليا وكندا. ومن المعلوم أيضا أنّ دول هذه المنظمة تقع في مناطق متعدّدة من العالم ـ كما توضّحه الخريطة التالية ـ وهو الأمرُ الذي جعل من اللغة الإنكليزية لغةً لا تغيب عنها الشمس.



خريطة توضّح الدول الأعضاء في كومنولث الأمم

أمّا في العصر الراهن فنجد تراجعا كبيرا للمدّ الاستعماري البريطاني فاسحا بذلك المجال أمام الولايات المتحدة التي تُعتبر الوريثة الشرعية لبريطانيا إذ سعت أمريكا إلى الحصول على مناطق نفوذ في شتى أنحاء العالم، مستغلة في ذلك تراجع القوى التقليدية في القارة العجوز، ممّا جعل البعض يطلقون عليها

اسم شرطي العالم؛ إذ نجد لها العديد من القواعد المنتشرة في العديد من الدول المختلفة كما نجد العديد من البلدان التي ما تزال تعيش تحت وطأة الاستعمار الأمريكي، كالعراق وأنغانستان. "وليست هذه القواعد الأمريكية فقط تعبيرا عن الاستعمار، وفرضا لإرادته على سيادة الدول، بل هي وسيلة من أسرع الوسائل للتسلل إلى المجتمعات لتفتيتها، وتخريب أية روابط اجتماعية فيها، حتى تصبح في النهاية مجرّد أفراد مبعثرين ليس لهم حساب أو وزن ... ويعرف علماء الاجتماع جيّدا سهولة انقياد أيّ مجتمع إذا ما تحلّلت أخلاقياته وروابطه الأسرية، بحيث يصبح سلسا في يد السلطة مهما كان شكلها أو جنسيتها "[6] ما يسمح لأمريكا في الأخير من نشر حمولتها الثقافية - بكلّ ما تحمله من خصوصيات - في تلك المجتمعات، بما في ذلك حمولتها اللغوية المتمثلة في اللغة الإنجليزية، التي تتوغّل رويدا رويدا في تلك المجتمعات، حتى تصبح جزءا من عاداتهم واستعمالاتهم اليومية، ولعلّ هذا ما يتأكّد لنا أكثر عندما نعلم أنّ الجيش الأمريكي - الذي يتواجد عبر 110 دولة عبر العالم من خلال قواعده العسكرية - يفرض على كلّ من يتعامل معه استعمال اللغة الإنكليزية دون غيرها من اللغات وهذا حتى داخل الدول الكبرى ذات السيادة كاليابان وألمانيا، وغيرهما من البلدان.

ومن هنا يظهر الأثر الإيجابي للحركة الاستعمارية البريطانية*، ومن بعدها الأمريكية، في نشر اللغة الإنكليزية، إذ لم يتوقف هذا الأثر بانتهاء الفترة الاستعمارية، وإنّما امتدّ ذلك حتى إلى فترة ما بعد الاستعمار، إذ نجد البعض من أبناء تلك المستعمرات قد تمكّن من تعلّم اللغة الإنكليزية أثناء الفترة الاستعمارية، ما جعلهم ينبهرون بنمط حياة المستعمر ولغته، بناء على المقولة المشهورة (المغلوب مولع بإتباع الغالب) وقد تمكّن هؤلاء المنبهرون من الحصول على مناصب عليا في أوطانهم بعد انتهاء الفترة الاستعمارية، وذلك بفضل إتقانهم للغة الإنكليزية، وقد حرصوا في مجال التعليم أن يظلّ مرتبطا بالنظام

الاستعماري قلبا وقالبا، فبالتالي واصلوا تكريس مبدأ هيمنة اللغة الإنكليزية على لغتهم القومية، وهذا ما جعل منهم أداة طيّعة في يد الإنكليزيين لخدمة اللغة الإنكليزية في فترة ما بعد الاستعمار.

2 ـ العامل الثقافي: لكلّ أمة ثقافتها الخاصة بها، والتي تميّزها عن غيرها من سائر الأمم الأخرى، وتعطي لها عنصر الفرادة في هذا الوجود. وتُعدُّ اللغة أهمَّ المقوّمات الأساسية لأيّ ثقافة من الثقافات، "فاللغة كائن حيّ له حياته، وله قدرته على الإحياء، وبهذا المفهوم تكون اللغة عاملا رئيسا في إنشاء الحضارة والمحافظة عليها، وفي نفس الوقت إعطاء إنسانها إمكانات الإبداع الحضاري، الذي يبدع ويؤصّل وينشر آثاره على من حوله. ومن المعلوم عن اللغة أنّها في تطوّرها تكون في عمليات من التنامي المتصل، حتى إن وصلت إلى أرقى ما يمكن أن تصل إليه كأداة للتعبير عن خوالج النفس وتأملات الفكر وظواهر الإنشاء في عالم الإعمار الحضاري بكل ظواهره، ذلك أنّها ما تفتأ تتّصل بالظواهر الحضارية الأخرى التي تتشابك معها اشتباك المنفعة، سواء جاءت هذه المنفعة بالحرب والقتال، أم بالتبادل السلمي الذي يتيح لكلّ جانب أن يتعرّف على ما عند الجانب الآخر من بضاعة تنفعه، ويفيد منها ولو من جانب الترف والمتعة. وهنا تُثري اللغة لا ألفاظا جديدة، وتعريفات جديدة فحسب، بل تثري في التصوّرات والأفكار والأخيلة [7]". ومن هنا تسعى كلّ الأمم، على مرّ العصور للحفاظ على لغتها، ونشرها على نطاق واسع، كما تحتفي بكتّابها وشعرائها، نظير الخدمات الجليلة والإثراءات النوعية التي يقدّمونها للغاتهم فالشاعر "أكبر من وزارة الدفاع، والبيت الذي يعيش فيه شاعر على بساطته أعظم من أية ثكنة تكدّس فيها أسلحة فاسدة أو فتّاكة. كانت إسرائيل تخاف من قصيدة لدرويش أكثر من خوفها من أيّ جيش من جيوش العرب المتقاعدة، وفي إسرائيل ـ وخذ العبرة من عدوّك ـ وبعد حصول شاعرها يوسف عجنون ـ وهو الذي صاغ بيان إنشاء دولتها ـ على جائزة نوبل 1966م أغلقت

السلطات الإسرائيلية جزءا من الشارع المؤدّي إلى بيته في وجه حركة السيارات وكتبت في مدخله: (من فضلك الصمت، إنّ عجنون يكتب) وحين مات تحوّل بيته إلى مزار للجمهور [8]"، يقصده اليهود من كلّ مكان.

ومن هنا نجد الإنكليز يحتفون أيّما احتفاء بأدبائهم ومبدعيهم، ويزداد هذا الاحتفاء عندما يتعلّق الأمر بكبار المسرح الإنكليزي كـ **وليم شكسبير**(1564م- 1616م) الذي يُعدّ من "أشهر المسرحيين الذين عرفهم العالم، ويرجع الإقبال الشديد الذي قوبلت به أعماله إلى أسباب عدّة، أهمّها فهم الكاتب للطبيعة البشرية؛ فقد فهم شكسبير طبيعة الإنسان بشكل متميّز لم يُتح إلاّ لقلة من الكتّاب المسرحيين الآخرين، ممّا مكّنه من رسم شخوص ذات معنى، تَعَدَّى حدودُها الزمانَ والمكان اللذين جرت فيهما أحداثُ مسرحياته [9]"، كلّ هذا جعل من مسرحياته الكثيرة كـ: روميو وجوليت هاملت، عطيل، الملك لير، وكليوبترا، تدخل في الأدب العالمي؛ إذ أثّرت هذه المسرحيات في العديد من المبدعين والأدباء الذين جاؤوا من بعده في كلّ أنحاء العالم، وكما هو معلوم فإنّ هذه المسرحيات قد كُتبت باللغة الإنكليزية، ممّا جعل من شهرتها وانتشارها بمثابة شهرة وانتشار للغة الإنكليزية التي كتبت بها هذه الأعمال، " فقد كان شكسبير وغيرُه من الكتّاب الإليزابيثيين يعتبرون اللغة الإنكليزية حيّة متغيّرة، ولم يَعُدُّوها ثابتةً ضمن قواعد صحيحة غير قابلة للكسر، وتصرّف شكسبير في تراكيب الجمل، والمفردات لخلق تأثيرات معيّنة كما استخدم العديد من الأدوات الأدبية، لعرض المعلومات، والأفكار في قالب مسرحي مثير، كما امتاز أسلوبه باستخدامه البارع للغة في خلق صورة حية تنطبع في الذاكرة. لقد ساعد أسلوب شكسبير في صياغة اللغة في جميع البلدان الناطقة بالإنكليزية [10]"، كما يعدّ أيضا شكسبير من أكثر الأدباء الذين استشهد بهم مؤلّفو المعاجم الإنكليزية؛ حيث أثرى شكسبير اللغةَ الإنكليزية بالعديد من الألفاظ والاستخدامات الجديدة للغة، وهي الاستخدامات التي

وجدت طريقها إلى الممارسة اليومية في المجتمع الإنگليزي. وبهذا أسدَت مسرحياتُه العديدة - بلغتها البسيطة والقريبة إلى الواقع الحي للمجتمع الإنگليزي - خدمةً جليلة للغة الإنگليزية وأسهمت كثيرا في تطويرها، وتكثيف درجة استعمالها في مختلف البيئات العالمية المُتأثِّرة بها. ولعل من الأهميّة بمكان الإشارة هنا - أيضا - إلى كون المسرحيات الإنگليزية كانت غالبا ما تؤدّى في الشوارع والبيوت والقصور والجامعات الإنجليزية، وحتى في المدارس الابتدائية، وهذا ما جعل من اللغة الإنگليزية تقترب أكثر فأكثر من كلّ شرائح المجتمع الإنگليزي دون استثناء. وبما أنّنا بصدد الحديث عن المسرح الإنگليزي، فلابدّ من الإشادة أيضا بما قدّمه المسرح الإيرلندي من جهود في نشر اللغة الإنگليزية ويظهر ذلك بوضوح خاصة في أعمال الكاتبين المسرحيين أوسكار وايلد Wilde Oscar وجورج برنارد شوShaw George Bernard الساخر الذي عرفت مسرحياته شهرة عالمية، وهو ما خوّل له الحصولَ على جائزة نوبل للآداب في سنة 1925.

ولا يُعدّ المسرح الإنگليزي الوسيلةَ الوحيدة التي أسهمت في نشر اللغة الإنگليزية في هذا المجال، فمع التطوّرات الرهيبة التي يشهدها العالم المعاصر نتيجة لكثير من مظاهر التقدّم العلمية والتقانية، والتي حوّلت العالم إلى مجرّد قرية صغيرة تلاشت فيها كلّ الحدود القومية والجغرافيا، ممّا أتاح لإنگلترا والولايات المتحدة من غزو العالم لغويّا، "ورغم أن اللغة الأمريكية الإنگليزية تختلف في بعض قواعدها عن اللغة الإنگليزية الأنگلوسكسونية إلا أنّ المصلحة المشتركة قد دفعت الولايات المتحدة وبريطانيا إلى وضع خطة إستراتيجية مشتركة، لتوسيع نشر اللغة الانگليزية في العالم، بغرض زيادة تفوقهما الحضاري في كل المجالات، حسبما ورد في كتاب (الإمبريالية اللغوية) للمؤلف البريطاني روبرت فيلبسون [11]". فبعد سقوط الإتحاد السوڤياتي، دخل العالم فيما يُعرف بالقطبية الأحادية تحت زعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد

سعت هذه الأخيرة إلى وضع نظام شامل، يسير وفق أسسه العالم، وهو ما سمي بالنظام الدولي الجديد، أو العولمة، وهو نظام يقوم في عمومه على فكرة جعل العالم موحّدا في كلّ شيء، وذلك بإلغاء كل الخصوصيات الثقافية والحضارية للأمم المختلفة وخضوع هذه الأخيرة - سواء بقصد أو عن غير قصد - لنموذج واحد ووحيد، يتمثّل في النموذج الحضاري الأمريكي، باعتباره النموذج الأقوى الذي يملك الهيمنة والسيطرة على كلّ شيء، "ولعل أعظم سلاح يستخدم هذه الأيّام في المعركة الثقافية هو اللغة، وإذا كان للحروب التقليدية خطط فإنّ للحرب الثقافية واللغوية - تحديدا - خططا وبرامج واستراتيجيات أيضا، ولكنّها بعيدة المدى، مثل إذابة الثقافات المتنوّعة والمتعدّدة للشعوب وللأمم كلّها في ثقافة الطرف الأقوى ماديّا وعسكريّا والقضاء النهائي على التراث الثقافي والمكوّن الحضاري للأمم والشعوب [21]". وقد أعلن المحلل الأمريكي دافيد روتكوف David Routkof صراحة عن النوايا الأمريكية[♥♥] من حيث ضرورة تولي مسؤولية نشر الثقافة الديمقراطية الليبرالية الغربية، وإزاحة كلّ الثقافات المحلية، وفي أطروحته في مديح الامبريالية الثقافية سنة 1997 يقول:

- إن أهمّ خطوة للعولمة هي إزالة كل الحواجز الثقافية، وإنّ على الو.م.أ أن تهيمن على موجات الأثير، وأن تحقق النصرَ في معركة تدفق المعلومات؛ حتى يمكن أن تكون لها السيطرة والهيمنة في الوقت الحاضر و المستقبل؛

- إنّ كلّ الثقافات القومية، بما تنطوي عليه من معتقدات ونظم سياسية و اجتماعية وقانونية وأعراف وقيم، لا بد من تغييرها وفقا لما تمليه الحاجات المتغيرة باستمرار؛

- إنّ على جميع الدول أن تتوحّد ثقافيا، أو على الأقل أن تتشابه فيما بينها، وتُلغي كلَّ مؤسساتِها التقليدية، وعليها أن تتقارب، وتتعارف على أسس من الديمقراطية الليبرالية، والسوق العالمية.

ومن هنا نجد العديد من عناصر الثقافة الأمريكية منتشرة على نطاق واسع في كلّ أرجاء العالم، فموسيقى البوب والروك الأمريكيتان تعرفان انتشارا رهيبا في كلّ البلدان، سواء الناطقة بالأنكليزية أو غير الناطقة بها كما أنّ الواحد منّا لا يحلّ في أيّ بلد من بلدان العالم إلاّ ووجد فيه استعمالا للغة الإنكليزية بطريقة أو بأخرى، كاستعمالها في لافتات المحلاّت التجارية، أو بالتلاغي ببعض الكلمات الإنكليزية في الأحاديث اليومية، خاصة في التسميات المتعددة لمختلف المشروبات والأكلات الخفيفة الأمريكية نحو: البِپْسي الكوكاكولا، الهمبرگر، الساندوتش، وغيرها من أشكال الاستعمال الأخرى لهذه اللغة.

ومن مظاهر هذا الغزو الثقافي ـ أيضاـ ما نجده في الانتشار الرهيب للكلمات والعبارات المكتوبة باللغة الإنكليزية على مختلف الألبسة والأحذية والأجهزة والمعدّات المختلفة، فلا نكاد نجد لباسا من الألبسة، أو جهازا من الأجهزة إلاّ وعليه عبارة من العبارات الإنكليزية. أما أهم وسيلة كان لها الدور الرئيس في نشر اللغة الإنكليزية في هذا المجال ـ أي في المجال الثقافي ـ فهي بلا منازع سينما هوليود الأمريكية؛ حيث عرفت الولايات المتحدة الأمريكية كيف تستثمر في مجال السينما ممّا "جعل أفلامها تُسيطر على السوق العالمية بصورة تفوق ريادتها في أيّ مجال آخر [13]". وقد أصبح كلّ العالم مغرما بمشاهدة الأفلام الأمريكية، بما في ذلك البلدان التي تعتزّ بثقافتها، وتبذل كلّ شيء في سبيل الحفاظ على خصوصيتها مثل فرنسا التي وصل الأمر فيها إلى شكوى وزير ثقافتها جاك لانگ Jack Leng "من سيادة الثقافة الأمريكية الدارجة في مظاهر الحياة الفرنسية، وكذلك من تسلّل الكلمات الإنكليزية إلى اللغة الفرنسية، وأعلن عن موقف متشدّد حيال الفيلم الأمريكي [14]"، ولكن كلّ ذلك لم يحد من المتابعة الكبيرة التي تحظى بها السينما الأمريكية التي تمارس جاذبية كبيرة على مشاهديها، خاصة مع انتشار الأجهزة التلفْزيونية في كلّ

البيـوت، "وهكـذا تتعـاظم الـدراما، ويـزداد الإقبـال علـى هوليـود نيويـورك والأفلام الأمريكية، مثل فيلم التيتانيك أكثر فأكثر [15]"، وكلّ هذا يُعتبر بمثابة إقبال على اللغة الإنكليزية، باعتبار كلّ هذه الأفلام ناطقة بهذه اللغة وهـو الأمـر الـذي يجعـل مـن السـينما الأمريكيـة أداة طيّعـة في خدمـة اللغـة الإنكليزية.

ومن خلال كلّ هذا، يمكن أن نقول، إنّ اللغة الإنكليزية استطاعت أن تتوغّل في العديد من البيئات العالمية، وذلك باعتبارها الحاملة الأولى للثقافة الأمريكيـة، حيـث تتميّـز هـذه الأخـيرة بجاذبيتهـا وسـرعة انتشـارها في كـلّ المجتمعات بلا تمييز ولا استئذان، وهذا ما يجعل من اللغة الإنكليزية تعرف نفس الانتشار الذي تعرفه هذه الثقافة؛ باعتبار الأولى جزءا من الثانية، إذ تَحُلّ حيثما حَلّت.

3 ـ القوة الاقتصادية والسياسية: يعيش عالمنا اليوم حركة اقتصادية وتجارية هائلة لم يُشهد لها مثال سابق؛ إذ تحوّل العالم إلى مجرّد سوق كبير تصول وتجول فيه مختلف السلع والبضائع ورؤوس الأموال بلا رقيب ولا حسيب وهذا ما يستدعي وجود لغة عالمية موحّدة يتمّ من خلالها القيام بمختلف التبادلات التجارية في شتى أنحاء العالم؛ باعتبار التنوّع اللغوي يُعيق عملية التكامل الاقتصادي ـ كما يرى بعض الدارسين ـ ويحدّ من تحسين مستوى الحياة المأمول فيها. ولعلّ أفضلَ لغةٍ خوّلتها ظروفُها القيامَ بهذه المهمة هي اللغة الإنكليزية وذلك لوجود عدّة أسباب رجّحت كفّة هذه الأخيرة مقارنة بغيرها من اللغات فقد كانت بريطانيا السبّاقة إلى اقتحام مجال الثورة الصناعية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، "حيث بدأت الثورة الصناعية قبل غيرها بخمسين عاما، ولم تكن تواجه أيّة منافسة في النصف الأوّل من هذا القرن [16]" ما جعل اللغة الإنكليزية أكثر اقترابا من عالم الصناعة والاقتصاد، فمنذ هذا التاريخ بدأت المصطلحات الإنكليزية تنتشر في أوروبا من خلال السلع والبضائع البريطانية التي بدأت تغزو أوروبا، وعلى مشارف القرن التاسع عشر أصبحت بريطانيا الدولة

الرائدة في العالم، خاصة فيما يتعلّق بالجانب الاقتصادي؛ حيث كانت "أكبر مصدر للرأسمال الاستثماري في الخارج، وكان نصيبها يصل إلى 40 ٪ من جملة الاستثمارات الأجنبية في العالم [17]". وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، استمرّ التفوّق الاقتصادي للغة الإنكليزية من خلال خروج الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر المستفيدين من هذه الحرب؛ إذ خلّف دمار الحرب العالمية الثانية ميدانا اقتصاديا خاليا إلاّ من الولايات المتحدة الأمريكية، وكلّ ما عداها كان متخلّفا كثيرا، ويُصارع من أجل إعادة البناء [18]" ومن هنا أصبح اقتصادها أكثر الاقتصادات ازديادا وأسرعها نموا في العالم.

ومن خلال هذه المعطيات السابقة بدأت العلاقة بين الاقتصاد العالمي واللغة الإنكليزية تتوطّد أكثر فأكثر؛ حيث أصبحت هذه الأخيرة بمثابة البوّابة إلى عالم التجارة والاقتصاد، وهذا لما تتمتّع به من أساليب ومصطلحات يمكنها الإحاطة بمختلف القضايا والمفاهيم التي ترتبط بمختلف الجوانب الاقتصادية ومن هنا نجد معظم اللغات في العالم تضطرّ إلى إقتراض العديد من المصطلحات الاقتصادية من اللغة الإنكليزية، لتسدّ بها حاجاتها اللغوية في هذا المجال، وقد أصبحت معظم الشركات التجارية العالمية تقدّم دورات متخصصة لموظفيها في اللغة الإنكليزية، بغرض رفع مستواهم وتحسين العملية التواصلية داخل الشركة، والتي تؤدّي بدورها إلى رفع المستوى الإنتاجي للشركة، " فعلى سبيل المثال فإنّ شركة الإطارات الألمانية كونتننتال Continental، وشركة الإلكترونيات الهولندية فيليبس Philips، وشركة السيارات السويدية فولفو تستعمل الإنكليزية بوصفها لغة الشركة [19]"، كما نجد الشركات المتعددة الجنسيات - التي نكاد لا نجد بلدا يخلو منها - تعتمد في تسيير شؤونها المختلفة على اللغة الإنكليزية، ومن هنا يمكن القول إنّ هذه الشركات كان لها الفضل الكبير في جعل اللغة الإنجليزية تنتشر في كلّ أنحاء المعمورة، وهذا ما يفرض

على كلّ دول العالم إعداد متخصصين في هذه اللغة حتى تُتاح لهم فرصة التعامل مع الدول الأخرى اقتصاديّا.

لقد أصبحت اللغة الإنكليزية اللغة الأولى في عالم المال والاقتصاد، ويحقّ لكلّ من يُتقن هذه اللغة أن يفتخر، ويعتزّ بما تقدّمه له من امتيازات لا نجدها عند من يتقنون غيرها من اللغات الأخرى "فخريجو الجامعات البريطانية - مثلا - يمكنهم أن يكسبوا رزقهم في كثير من الأماكن حول الأرض من دون تدريب مهنيّ آخر، وهذا ببساطة عن طريق تسويق مهاراتهم في اللغة الأم [20]". ولعلّ هذا ما يفسّر ميل الدول الناطقة باللغة الإنكليزية إلى عدم الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية؛ باعتبار أنّ اللغة الإنجليزية قد وفّرت لشعوب هذه الدول كلَّ ما تحتاجه من وظائف لغوية، سواء في الاتصال المحلّي فيما بينها، أو على مستوى الاتصال العالمي مع غيرها من الشعوب الأخرى، وخيرُ مثال يوضّح ذلك "أن رجال الأعمال البريطانيين يميلون للتعويل كثيرا جدّا على استعمال اللغة الإنكليزية فـ60٪ من موظفي مبيعات التصدير البريطانية، و40٪ من مديري المبيعات لا يعرفون لغة أجنبية، وما يزيد عن 80٪ من كلّ الشركات التي تعمل في تجارة التصدير والاستيراد يندر أن يكون لها أيّ تراسل مع شركائها في العمل بلغة أخرى غير الإنكليزية [21]"، كما أنّ القوة الاقتصادية لهذه اللغة جعلت "الستة والتسعين عضوا للاتفاقية العامة للتعريفة والتجارة (الجاتGATT) يصرفون أعمالهم بالإنكليزية فقط [22]". وهذا كله دليل على المكانة المرموقة التي تتمتّع بها هذه اللغة.

وقد عرفت كلّ من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية كيف تستثمران في اللغة الإنكليزية وذلك بجعلها سلعة نادرة، تتنافس على اكتسابها كلّ بلدان العالم، وهذا بفضل القوة الاقتصادية الكبيرة التي يتمتّع بها هذان البلدان. وممّا لاشكّ فيه أنّ القوة الاقتصادية لأيّ بلد من البلدان تُلقي بظلالها على القوة السياسية لذلك البلد، ولعلّ هذا ما سوّغ للغة الإنكليزية التربّع على

عرش مختلف التجمعات السياسية الكبرى في العالم، فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أخذت اللغة الإنگليزية تحلّ محل اللغة الفرنسية في مجال الدبلوماسية الدولية؛ باعتبارها تستند على قوّة الدولار الأمريكي الذي لم يكن له ندّ يذكر في ذلك الوقت، وقد ظهر ذلك بوضوح من خلال مشروع مارشال (برنامج الإنعاش الأوروبي) الذي كان يرمي إلى إعادة إعمار الدول الأوروبية التي دمّرتها الحرب العالمية، ولكنّ المتأمل في نتائج هذا المشروع يجد بأنّه قد ساعد بشكل كبير على تكريس السيطرة الأمريكية على العالم في المجال السياسي وهو ما يعدّ بدوره نصرا للغة الإنجليزية؛ باعتبار أنّ السياسة الأمريكية تقوم على هذه اللغة. وقد استمرّ هذا التفوق السياسي للغة الإنگليزية حتى يومنا هذا؛ إذ لا نكاد نجد منظّمة من المنظمات الدولية إلاّ وتعتمد على اللغة الإنگليزية في تسيير شؤونها، فهيئة الأمم المتحدة - التي تُعتبر أكبر تجمّع سياسي على مستوى العالم - تعتمد على ستّ لغات في تعاملاتها هي: الإنگليزية الصينية العربية، الفرنسية، الروسية، والإسبانية، ولكن تبقى اللغة الإنگليزية تحظى بالنصيب الأكبر من بين هذه اللغات، باعتبارها لغة العمل الأولى في هذه المنظمة. ويوجد العديد من المنظمات الدولية الأخرى التي تعتمد فقط على اللغة الإنگليزية في أعمالها، مثل رابطة دول جنوب شرق آسيا (ASEAN) ومنظمة التجارة الحرّة الأوروبية (EFTA). كما نجد منظمات أخرى تعتمد في عملها على اللغة الإنگليزية بالإضافة إلى لغات أخرى، مثلما نجده في منظمتي الاتحاد الإفريقي، والاتحاد الأوروبي وغيرهما من المنظمات الأخرى، وتسعى كلّ من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا حاليا إلى فرض اللغة الإنگليزية كلغة رسمية داخل كل المنظمات الدولية دون استثناء.

ومن كلّ هذا نستنتج أنّ الاهتمام باللغة ازداد كثيرا في عصرنا الحالي حيث أصبحت اللغة تلعب دورا حيويا لم يُشهد له مثيل في ما مضى من العصور السابقة، وتزداد هذه الأهمية خاصة عند حديثنا عن عالم التجارة والاقتصاد، أو

عالم السياسة والدبلوماسية، وقد توّفرت للغة الإنگليزية كلّ الشروط المناسبة لاحتلال الريادة في هذه المجالات، وهو ما تحقّق فعلا في وقتنا الحالي.

4 ـ الكفاءة العلمية والتكنولوجية: إذا كان هناك تسمية يمكن أن نطلقها على هذا العصر فهي بلا منازع (عصر المعلومات والتكنولوجيا) حيث عرف الإنسان المعاصر كيف يستثمر في مختلف الوسائل، والمعطيات العلمية الحديثة، من أجل إقامة ثورة تكنولوجية لا عهد للبشرية بها على مرّ تاريخها الطويل، وقد "ساعدت هذه الثورة إلى حدّ بعيد في اختصار المدى الزمني الذي يفصل بين كلّ ثورة صناعية وأخرى، حيث أصبحت الاختراعات والاكتشافات العلمية متقاربة في الزمن، وبعضها يصل إلى أسابيع، بينما في الماضي كانت تفصل بينها قرون وعقود [32]". ولعلّ أهم إنجاز يأتي في صدارة هذه الثورة التكنولوجية هو تلك الآلة العجيبة التي تختصر العالم ـ بطوله وعرضه ـ في شاشة صغيرة فوق سطح المكتب، والتي يُطلق عليها الكبتار (جهاز الكومبيوتر)، إذ كان اختراعُ هذه الآلة بمثابة الفتح المبين، الذي فتح الباب على مصراعيه لمختلف الاختراعات الأخرى، التي بالكَادِ يُحصي عددَها لسانُ بشر. فهاهي القنوات التلڤزيونية والإذاعية تملأ العالم صخبا، وهاهي الشابكة (الإنترنيت) تجعل المستحيل واقعا، وهاهي الأقمار الصناعية تسبح في سمائنا وما تزال عديدُ الاختراعات الجديدة تردُ إلينا تِباعا.

في خضمّ كلّ هذا الزخم العلمي والتكنولوجي الهائل، تقف كلُّ لغاتِ العالم شاردةً مذهولةً إلاّ لغة واحدة، هي اللغة الإنگليزية التي تعتبر اللسان المفضّل لهذه الثورة المعلوماتية. وأهمّ سبب سوّغ للغة الإنگليزية هذه المكانةَ؛ هو كونها لغة البلد الذي يقود هذه الثورة المعلوماتية، ونعني هنا الولايات المتحدة الأمريكية، حيث فرضت هذه الأخيرة على كلّ البلدان التي تريد الالتحاقَ بركب مجتمع المعلومات ضرورةَ معرفة اللغة الإنگليزية.

إنّ المتأمّـل في الموقـع الـذي تحتلّـه اللغـة الإنـكليزيـة في عـالم العلـوم والتكنولوجيا، يُدركُ ببساطة السبب الذي جعل هذه اللغة تصل إلى العالمية دون غيرها من اللغات. لقد أدركت الولايات المتحدة الأمريكية الدور الرهيب الذي تلعبه اللغة في عصر المعلومات، ومن هنا أخذت "تشحذ أسلحتها اللغوية؛ تهيئة لصراع دوليّ متوقّع على ساحة الثقافة. وليس من قبيل الافتعال أن نربط بين هذا التوجّه الإستراتيجي، وما شهدته الساحة الأمريكية من تقدّم هائل في علوم اللسانيات وهندسة اللغة منذ منتصف الخمسينات. لقد فتحت تكنولوجيا المعلومات - الكثيفة لغويا - الباب على مصراعيه أمام الولايات المتحدة الأمريكية لكي تجعل من شيوع اللغة الإنكليزية رأس الحربة في تنفيذ مخططها لسيادة العالم معلوماتيا وثقافيا [24]". فإذا نظرنا مثلا إلى لغات البرمجة، التي يستخدمها المبرمجون للتحاور مع الكبتار، نجد أغلبها قائما على اللغة الإنجليزية؛ حيث تسيطر لغات البرمجة، المأخوذة من اللغة الإنكليزية سيطرةً مطلقة على التطبيقات المتعددة في حقل الإعلام الآلي، "ففي معالجة البيانات التجارية - مثلا - يستخدم المبرمجون في غالب الأحيان لغة الكوبول وهي اختصار لعبارة إنكليزية تعني اللغة الموجهة للأعمال العامة، بينما قد يتطلّب الكبتار لحلّ مسائل علمية معقّدة استخدام لغة ذات صيغة رياضية مثل لغة الفورتران، وهي اختصار لعبارة إنكليزية تعني ترجمة الصيغة [25]". وتوجد العديد من لغات البرمجة الأخرى مثل الجافا (JAVA) وليسپ(Lisp)، وكلاهما مأخوذتان من اللغة الإنكليزية، وبشكل عام فإنّ الإحصائيات في هذا المجال تقول إنّه "من خلال 8500 لغة برمجة على مستوى العالم، والتي قد تمّ تسجيلها، فإنّه قد تمّ تطوير حوالي 2400 لغة في الولايات المتحدة الأمريكية و600 في المملكة المتحدة البريطانية، و160 في كندا، و75 في أستراليا وجميعها دول تعتبر اللغة الإنكليزية هي لغتهم الأم [26]". أمّا في مجال صناعة المِنطاقات les logiciels، فنجد كبرى الشركات الأمريكية تحتكر هذه

الصناعة؛ حيث تسيطر شركة ميكروسوفت الأمريكية على هذا المجال بشكل كبير، وهو الأمر الذي يكرّس سيطرة اللغة الإنكليزية على غيرها من اللغات.

وتبرز هيمنة اللغة الإنكليزية أيضا في قطاعات معلوماتية أخرى لا تحصى، ففي مجال البث التلفزيوني والإذاعي، نجد سيطرة كبيرة للقنوات الأمريكية التي تبثّ برامجها المتنوعة عبر الأقمار الصناعية المختلفة، ملبّية في ذلك كلّ الأذواق المختلفة لعديد الشرائح الاجتماعية، كما ينبغي التنويه هنا أيضا بالدور الكبير الذي تلعبه هيئة الإذاعة البريطانية في نشر اللغة الإنجليزية عبر برامجها المختلفة التي تبثّها عبر الأثير. أمّا في مجال الإعلام و الاتصال [27] فنجد هيمنة اللغة الإنكليزية تزداد من يوم لآخر، خاصة مع اتساع رقعة الاتصالات الدولية بتعدّد وسائلها كالشابكة، والأقمار الصناعية، وشبكات الهاتف النقال والثابت، وغيرها من الوسائل الأخرى. وفي هذا الصدد نجد ستّ مجموعات رئيسة كبرى، تعمل في الأنشطة الإعلامية على مستوى العالم [28]، أربعة منها أمريكية، وواحدة أوروبية وواحدة أسترالية أمريكية. وهي كما يلي:

1- مجموعة تايم وارنر(Time Warner): وهي أكبر مؤسسة إعلامية في العالم، تقوم بإصدار 24 مجلة، وتملك مكتبة ضخمة من الأفلام (6000) فيلم، وتصل عدد البرامج المرئية التي تنتجها إلى حوالي 2500 برنامج بالإضافة إلى قنوات دولية مرئية مثل: HBO، TNT، CNN وأخيرا قناة الحرّة الفضائية الموجّهة أساسا لخدمة السياسة الأمريكية وتوجّهاتها في الشرق الأوسط. ويجب التنويه هنا إلى أنّ عدد مشاهدي القناة الإخبارية CNN يفوق أكثر من 90 مليون مشاهد في عشرين دولة فقط، كما تملك قناة HBO حوالي مليون مشترك حول العالم.

2- مجموعة برتلزمان (Bertelsmann): وهي أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا، لها تعاون وتحالفات مع العديد من المجموعات الإعلامية الدولية في أوروبا واليابان.

3- مجموعة فياكم (Viacom): وهي من أقوى المجموعات الإعلامية لها نشاط توسّعي في مناطق متعدّدة من العالم لها 13 محطّة تليفزيونية في أمريكا، إضافة إلى شبكات بثّ فضائي دولي مثل شوتايم ونكلدون.

4- مجموعة ديزني (Disney): وهي أكبر متّحد لمجموعة تايم وارنر في العولمة الإعلامية ولها حضور قوي في مجال الأطفال؛ حيث تُعَدُّ أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم، ومن أنشطتها شبكة ABC التلفزيونية الضّخمة في أمريكا كما تملك العديد من مراكز الألعاب والترفيه حول العالم، بالإضافة إلى سبعة صحف يومية، وثلاث شركات لإصدار المجلاّت.

5- مجموعة نيوز كوربريشن (News Corporation): وهي مجموعة تملك 132 صحيفة و25 مجلّة في أستراليا وبريطانيا وأمريكا، كما تملك 22 محطّة مرئيّة وشركة فوكس (Fox) للإنتاج السينمائي، مع شبكة ستار (Star) للبثّ الفضائي حول العالم.

6- مجموعة TNT: وهي مجموعة إعلامية متخصّصة بالبثّ المرئي عبر الكابل، والأقمار الصناعية، من خلال نظام الاشتراكات.

وما يهمّنا هنا أكثر أنّ معظم هذه المواد الإعلامية تُقَدّم باللغة الإنكليزية، ومن ثمّ تلعب مختلف هذه المؤسّسات الإعلامية دورا كبيرا في تسويق اللغة الإنكليزية، كما فتحت الباب على مصراعيه للاقتراض اللغوي من الإنكليزية إلى غيرها من اللغات الأخرى.

إنّ القوة العلمية والتكنولوجية، التي تتمتّع بها الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحاضر قد مهدت الطريق أمام اللغة الإنكليزية من أجلّ

التربّع على عرش العالمية، ولتأكيد هذه الحقيقة أكثر يكفي أن نعتمد على لغة الأرقام التي تقول ما يلي:

- 65٪ من برامج الإذاعة باللغة الإنكليزية.
- 70٪ من الأفلام ناطقة بالإنكليزية.
- 90٪ من المعلومات المخزّنة في الإنترنت بالإنكليزية.
- 85٪ من المكالمات الهاتفية الدولية تتمّ بالإنكليزية.[29]
- 70٪ من البريد العالمي مكتوب باللغة الإنكليزية.
- 70٪ من الدراسات اللغوية تنشر باللغة الإنكليزية.

ويمكن أن نذكر هنا أيضا بعض الإحصائيات الواردة في تقرير اليونسكو حول العلوم الاجتماعية - والتي يندرج تحتها كلّ من العلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية والسلوكية والإعلامية- حول العالم لسنة 2010، والذي يكشف بوضوح هيمنة اللغة الإنكليزية في مجال البحث العلمي فمن أصل 226984 مقالة علمية نُشرت بين سنتي 1998 و2007 فإنّ 45،94٪ منها كتبت باللغة الإنكليزية، ومن أصل 3046 دورية علمية محكمة في سنة 2004 نجد أنّ 3،85٪ منها نشرت باللغة الإنكليزية[30]، وهي كلّها أرقام تصيبُ كلَّ من يقرأها بالدهشة والذهول، ولكن هذه الدهشة ما تلبث أن تزول حين نعلم - مثلا - أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ ميزانيتها المخصصة للبحث العلمي 150 مليار دولار، يُضاف إليها أكثر من 270 مليار دولار عن طريق القطاع الخاص، وهي ميزانية تصدق فيها المقولة المشهورة: إذا عُرف السببُ بَطلَ العجبُ.

5 - التعليم: يعدّ التعليم من أهم الوسائل التي تتيح اكتساب أيّ لغة من لغات العالم المتعدّدة ومن هنا نجد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تبذلان جهودا كبيرة في سبيل تعليم اللغة الإنكليزية، ونشرها على أكبر نطاق ممكن، فعلى المستوى الداخلي - مثلا - نجد بريطانيا تبذل ميزانيات ضخمة في

إعداد المدرسين، وبناء المناهج والبرامج التعليمية، وتطوير الوسائل التعليمية وغيرها من القضايا المتعلّقة بالمنظومة التعليمية. وإذا كانت اللغة الإنجليزية لا تحتاج في واقع الحال إلى قوانين تحميها لكونها أثبتت نجاعتها وقوّتها في الميدان، غير أنّ هذا لا يمنع الإنكليز من وجوب تجنّب السقوط السلبي [31]، ومن هنا نجد بريطانيا تقوم بإصدار العديد من القوانين التي تحمي اللغة الإنكليزية كالتأكيد على إجبارية التعليم باللغة الإنكليزية في كلّ الأطوار التعليمية كما يوجد في بريطانيا العديد من المؤسّسات والجمعيّات، التي تعمل على خدمة وتطوير اللغة الإنكليزية داخل المملكة. أمّا في الولايات المتحدة الأمريكية فالأمر لا يختلف كثيرا عمّا هو موجود في بريطانيا؛ إذ تُعدُّ الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول تطوّرا في منظومتها التعليمية، مُتبنيةً في ذلك شعارها المشهور(لغة واحدة / أمة واحدة) one language / one nation.
ولكن يبقى أهمّ خطر يهدّد اللغة الإنكليزية داخل المجتمع الأمريكي هو تنامي زحف اللغة الإسبانية القوي عبر مدن الجنوب الأمريكي وهو الأمر الذي يدفع الحكومة الأمريكية إلى إصدار قوانين، تحمي اللغة الإنكليزية من هذا المد اللغوي الإسباني؛ حيث نجدها ـ أي الحكومة ـ تصدر قانونا جديدا بتاريخ 8 جانفي 2002 يطلق عليه قانون nclb "الذي جاء ليقلص من التعليم المزدوج اللغة المتبع في الولايات الجنوبية، ويُختصر إلى03 سنوات للتلميذ غير الناطق بالانجليزية، وهو ما يعني العودة إلى سياسة الأنكلزة الكلية. ومن الطرائف في هذا الشأن، أن يحكم قاض أمريكي عام 1995 على أم بمنعها الحديث مع ابنها بالاسبانية في تكساس، بحجة أنها تمثل حالة من التربية المتعسفة، وفي سنة 1988 طُرد موظف في مطعم من قبل صاحبه وكونه ترجم قائمة الطعام إلى الاسبانية لأحد الزبائن، وفي نفس السنة أيضا، تمّ تعديل دستور أريزونا حيث صار يُمنع من خلاله على الموظفين في الدولة التحدثُ مع الإداريين بالاسبانية أو النافاجو إحدى اللغات الهندية [32]". وتحتوي الولايات المتحدة

الأمريكية أيضا على جمعيات عديدة تكافح من أجل جعل اللغة الإنگليزية هي اللغة الرسمية الوحيدة في البلاد، وبالتالي سدّ الطريق أمام الأقليات الأخرى، التي تسعى إلى الاعتراف بلغتها، ومن أشهر هذه الجمعيات us english وonly english وenglish first، وهي جمعيات تبذل قصارى جهدها من أجل منع التعدّد اللغوي في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولعلّ ما ينبغي التنويه به - أيضا - في هذا الصّدد، هو الوعي اللغوي الذي تتمتّع به حكومات الدول الإنگليزية؛ حيث نجد مختلف هذه الحكومات تستند في بناء سياساتها اللغوية على النتائج العلمية التي توصّلت إليها مختلف الأبحاث اللسانية في مجالاتها المتعدّدة، وهذا إيمانا من هذه الحكومات بأن أيّ تنميّة - مهما كان نوعها - يجب أن تقوم على أرضية لغوية متينة تلبي كلّ الحاجات التواصلية للمجتمع، وتُعبّر عن كيانه أيّما تعبير، وإلاّ كان مصيرُ هذه التنمية إلى الإفلاس لا محالة، ومن هنا نجد هذا التكامل الكبير بين الحكومات ومختلف المراكز العلمية المختصّة في البحث اللساني، وهو - للأسف الشديد - ما لا نجده في حكوماتنا العربية؛ حيث نجد بَونًا شاسِعا بين ما تنتهجه الحكومات العربية من سياسات لغوية، وبين ما تتوصّل إليه مختلف المجامع اللغوية والاجتهادات الفردية من نتائج وقرارات، وما يزيد الطينَ بلّةً في هذه المسألة هو إصرارُ معظم الدول العربية عل مواصلة تعليم العلوم باللغات الأجنبية، زعما منها أن التنمية الشاملة لا تتمّ إلاّ بسلوك هذا النهج. أمّا في الدول المتقدمة فالأمر مختلف تماما، فنجد - مثلا - الولايات المتحدة الأمريكية لم تسارع إلى تبنّي اللغة الروسيّة عندما تمكّنت روسيا من إطلاق أوّل صاروخ فضائي في سنة 1957م وذلك باعتبار اللغة الروسية تملك الريادة في المجال الفضائي، بل زادت هذه الواقعة من تشبّث الولايات المتحدة الأمريكية أكثر فأكثر باللغة الإنگليزية وهذا إيمانا منها بقدرة هذه الأخيرة على اقتحام أيّ ميدان من الميادين الجديدة التي تكشف عنها الأبحاث العلمية المعاصرة من يوم لآخر، وهو ما حدث فعلا في

آخر المطاف. ولعلّ هذه النقطة من أهم العوامل التي صنعت الفارق لصالح اللغة الإنكليزية في عصرنا الحاضر.

إنّ ما يهمّنا أكثر، في هذا المبحث، هو الحديث عن الجهود التي تبذلها كلّ من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، في سبيل نشر اللغة الإنكليزية وتعليمها خارج أراضيهما، باعتبار أنّ الاهتمام بتعليمها محلّيا في هذين البلدين هو من باب التحصيل الحاصل الذي لا نقاش فيه. ولعلّ أوّل ما ينبغي الإشارة إليه في هذا الصدد هو تلك المعاجم الكبيرة التي تزخر بها اللغة الإنكليزية، والتي أسهمت بشكل كبير في منح اللغة الإنكليزية كلَّ هذه الحيوية التي تتمتّع بها اليوم مقارنة بغيرها من اللغات الأخرى، وقد كان لبريطانيا دور كبير في هذا المجال، بإنتاجها لمعجم أكسفورد الذي أثرى كثيرا اللغة الإنكليزية، ويعدّ - بحقّ - أهمّ معجم في هذه اللغة إلى حدّ اليوم، كما كان أيضا لصمويل جونسون Samuel Johnson الفضل في إنتاج (معجم اللغة الإنكليزية) في سنة 1755م وهو من أضخم المعاجم التي عرفتها اللغة الإنكليزية. وساهمت الولايات المتحدة الأمريكية أيضا بنصيب وفير في ميدان المعاجم؛ حيث نشر وِبستر Webster في سنة 1828م معجمه الكبير المعروف بـ (معجم أمريكي للغة الإنكليزية) وهو المعجم الذي ما يزال يحظى بشهرة كبيرة إلى اليوم. وما يمكن قوله عن هذه المعاجم المختلفة والمتعددة التي تزخر بها اللغة الإنكليزية، هو عدّها بمثابة الأرضية التي مهّدت لهذه اللغة الانطلاق نحو العالمية.

إنّ الجهود المبذولة في نشر اللغة الإنكليزية وتعليمها هي جهود كبيرة ومتعدّدة، ولا تقتصر فقط على صناعة المعاجم؛ حيث نجد اليوم جيشا من المؤسسات التي تعمل عل نشر هذه اللغة في كلّ أرجاء المعمورة، فنجد - مثلا - "وكالة التنمية الدولية (AID) ووكالة الإعلان الأمريكية (USIA) وفرق السلام (Peace Corps) وإدارة الدولة (SD) وإدارة الدفاع (DD)"[3 3] وكلّها تعمل على الترويج للغة الإنكليزية، وتخصّص لذلك ميزانيات ضخمة، وهذا من

دون أن ننسى تلك الجهود التي يقوم بها المجلس البريطاني الذي يهتمُّ "بتعليم الإنجليزية خارج بريطانيا ... ويقدم منحًا تعليمية للطلبة في دول العالم الأخرى للدراسة في بريطانيا، وينظم في كل عام برامج تعليمية، كما يوفر الإقامة والاتصالات الاجتماعية للآلاف من هؤلاء الطلاب، ويحتفظ بالكثير من المكتبات في تلك الدول التي تحتوي على مخزون من الكتب والدوريات ويشرف أيضًا على إدارة مشاريع تطوير المكتبة العامة في بعض الدول، كما يتولى تنفيذ كثير من طلبات المشاريع التعليمية، التي يتحمل نفقاتها العملاء في دولهم [3 4]". كما تعمل مختلف السِّفارات الأمريكية على المساعدة في تعليم اللغة الإنگليزية في مختلف البلدان التي تتواجد فيها؛ وذلك بتوفير مختصين ومستشارين في اللغة الإنگليزية. وكذلك سمحت الشابكة (الإنترنت) بإقامة العديد من المواقع التي تعنى بتعليم اللغة الإنگليزية سواء للناطقين أو لغير الناطقين بها، وقد أصبحنا اليوم نسمع عن المدارس الإلكترونية في تعليم اللغات الأجنبية؛ حيث تمنح هذه المدارس لمتعلّم اللغة الإنگليزية عدّة إمكانات للتعلّم وذلك بمراعاة سرعة ذكائه، والكيفية الملائمة لظروفه الخاصّة، كما تراعي أيضا إمكاناته المادية، وهي كلّها معطيات جعلت متعلّمي اللغة الإنگليزية يجدون أنفسهم في أحسن الظروف لممارسة العملية التعليمية. وبما أنّنا في إطار الحديث عن الجهود المبذولة في تعليم اللغة الإنگليزية لغير الناطقين بها، لا بأس أن نشير إلى تلك الجهود التي تبذلها أستراليا في هذا الميدان؛ حيث تحوي هذه الأخيرة العديد من المراكز التي تقدّم برامج راقية في تعليم اللغة الإنگليزية ومن أشهر هذه المراكز معاهد كاپلان الدوليةkaplan international التي تُعدّ من أعرق المؤسسات الأكاديمية في العالم، والتي تستقطب طلاّبا من كلّ أنحاء العالم، وتقدّم لهم تكوينا عالي المستوى في اللغة الإنگليزية، معتمدةً في ذلك على أساتذة لهم خبرة كبيرة في هذا المجال. كما تملك أستراليا عدّةَ كليّات

أخرى، تقدّم دوراتٍ في تعليم اللغة الإنگليزية على مدار السنة، وتنقسم هذه الدورات إلى خمسة أنواع [35] كما يلي:

- **لغة إنگليزية عامة**: تركز هذه الدورات على تنمية مهارات التواصل وخاصة التحدث والاستماع

- **الإنگليزية من أجل أغراض أكاديمية**: تُعِدُّ هذه الدورات المتخرّجين للدراسة في جامعة أو مؤسسة مهنية ناطقة بالإنگليزية

- **الإنگليزية من أجل أغراض متخصصة:** تركز هذه الدورات على الإنگليزية المتخصصة في مجالات معينة، ومنها إدارة الأعمال والطيران والسياحة

- **الإعداد للمرحلة الثانوية**: تُعِدُّ هذه الدورات المتخرجين للالتحاق بمدرسة ثانوية استرالية وتركز هذه الدورات على الإنجليزية العملية لمجالات دراسية معينة؛

- **الإعداد للاختبارات**: تُعِدُّ هذه الدورات الطلبةَ لاجتياز اختبارات إجادة الإنگليزية، مثل النظام الدولي لاختبار الإنگليزية (IELTS) واختبار الإنگليزية كلغة أجنبية (TOEFL).

لقد ساهمت كلُّ هذه الجهود في جعل اللغة الإنگليزية هي اللغة الأجنبية الأولى التي يتمّ تعلّمها في أغلب دول العالم تقريبا، وقد أثمرت هذه الجهود أيضا حتى في الدول التي لا تتّخذ من اللغةَ الإنگليزية لغة أجنبية أولى لها، مثل الجزائر التي تتّخذ من الفرنسية اللغة الأجنبية الأولى لها؛ حيث "أبان سفير بريطانيا بالجزائر مارتن روبر Martin Robert في لقائه مع ممثلي الصحافة الوطنية مؤخرا، عن سعادة غامرة من إقبال الجزائريين الكبير على تعلم اللغة الانجليزية، فكشف وهو يبتسم: "لا أُخفي عليكم بأنني تفاجأت من عدد الجزائريين الذين يتّصلون بنا، يطلبون المعلومات الخاصّة بتعلُّم اللّغة الانجليزية" قبل أن يُطمئنَ الجزائريين الباحثين، عن كسر أغلال الفرنسية، وركوب قطار الحضارة، حيث أضاف قائلا:"هذا الإقبال الكبير يَدفعنا إلى التفكير الجديّ

في مضاعفة الجهود لضمان تعليم كمي ونوعي للّغة الانجليزية في الجزائر" مع الإشارة إلى أنّ هذه الجهود بدت جليةً في الأشهر الأخيرة عبر تكثيف المجلس الثقافي البريطاني لنشاطه، كما فعل عندما استغلَّ فرصة كأس العالم الأخيرة لكرة القدم لتنظيم مسابقة لغوية ناجحة بالاشتراك مع جريدة الشروق اليومي الجزائرية [36]". وكلّ هذا سعي من بريطانيا إلى تأكيد تفوّق اللغة الإنكليزية حتى في الدول التي تعتمد الفرنسية لغة أجنبية أولى لها.

ومن خلال كلّ هذه المعطيات، يمكن أن نقول إنّ اللغة الإنكليزية لم تعد لغة عادية، تسعى الدول الناطقة بها إلى نشرها على أكبر نطاق ممكن، بل أضحت مطلبا عالميّا تتنافس كلّ الدول على تعلمهّا عن رغبة وطواعية منها باعتبارها البوابة التي تقودنا إلى كثير من العلوم المعاصرة. ومن هنا لن نتفاجأ كثيرا إذا علمنا أنّ هناك أكثر من خمسين مليون صينيّا يتعلمون الإنكليزية ولن نتفاجأ أيضا إذا علمنا إنّ عدد الناطقين بالأنكليزية كلغة أجنبية، يفوق بكثير عدد الناطقين بها كلغة أم. وقد أصبحت الدول الناطقة بالإنكليزية تجني مداخيل ضخمة من خلال مراكزها المختصّة في تعليم اللغة الإنكليزية والمنتشرة في كلّ مناطق العالم المختلفة.

6 ـ سهولة القواعد: بداية ينبغي أن نعلم أنّ هناك من الدارسين من ينفي وجود تفاضل بين البني الداخلية للغات البشرية المختلفة، فاللغات البشرية ـ حسب هؤلاء ـ كلّها سواء في هذا الجانب ومن ثمّ لا يمكننا الحديث عن أفضلية لغة على أخرى، اللهمّ إلاّ في العوامل الخارجية المحيطة بلغة ما والتي تسمح لها بتبوّء مكانة غير متاحة لغيرها من اللغات، وقد تناولنا بعضا من هذه العوامل الخارجية، التي تحكم بالأفضلية للغة ما دون أخرى، فيما سبق من هذه الدراسة. ويبدو أنّ هذا الرأي الذي ذهبت إليه هذه الطائفة من الدارسين، يتعزّز أكثر بما توصّلت إليه اللسانيات من نتائج تُؤكّد هذا التساوي بين اللغات البشرية المختلفة. ولن نقف كثيرا عند هذا الرأي، باعتبار ما يهمّنا أكثر في هذه الدراسة هو

الرأي المخالف في هذه المسألة، والذي يرى وجود تفاوت في القواعد الداخلية من لغة لأخرى، وانطلاقا من هنا يمكننا الحديث عن بعض تلك الخصائص الداخلية التي تتميّز بها اللغة الإنكليزية، وهي الخصائص التي أسهمت في وصول هذه اللغة ـ حسب الفريق الثاني - إلى المكانة العالمية التي تحتلّها في عالمنا المعاصر وسأحاول أن أسرد هنا طائفة من هذه الخصائص التي ذكرها هؤلاء الدارسون، [37] وهي كما يلي:

ـ سهولة نحو اللغة الإنكليزية، وقلّة تشعبانه وفروعه مقارنة باللغات الأخرى؛ حيث لا نجد فيها - مثلا - الكثير من النهايات في كلماتها، كما لا تهتم كثيرا بالفروق الموجودة بين المذكر والمؤنّث والجنس المحايد. وقد نشر أحد النقاد الأمريكيين في سنة 1848 مقالا عن سهولة القواعد في اللغة الإنكليزية، يقول فيه: "من حيث سهولة بناء قواعدها، وقلة تصريفاتها وتقريبا عدم اهتمامها الإجمالي بالفروق في الجنس فيما عدا الصفات الخاصة بالطبيعة، وفى بساطة ودقة نهاياتها، وأفعالها المساعدة ولا يقل عن هذا فخامتها وقوتها وغزارتها في التعبير، استحقت لغتنا الأم أن يهيئها النظام لأن تصبح لغة العالم [38]"، كما يذكر الدارسون في هذا الصدد العديد من الخصائص الأخرى التي يتميّز بها نحو اللغة الإنكليزية، والتي لا يسع المقام لذكرها.

- التفتح الكبير الذي أبدته اللغة الإنكليزية على اللغات الأخرى، حيث تتميّز الإنكليزية بمرونتها الخارقة للعادة في هضم الكلمات الأجنبية، وجعلها كما لو كانت جزءا منها، وقد تأثّرت اللغة الإنكليزية عبر مراحل تطوّرها بالعديد من اللغات المختلفة، منها الفرنسية، الإسبانية، العربية، وغيرها من اللغات الأخرى، وهذا الأمر جعلها تحظى بالقبول من الجميع، عكس اللغات الأخرى التي تبدي صلابة في هذا الميدان، مثلما نجده - مثلا - في اللغة الألمانية والصينية؛

ـ السهولة والبساطة التي يتميّز بها صرف اللغة الإنكليزية، والذي يزودها بإمكانات غير محدودة للتحول الوظيفي وصياغة الكلمات عن طريق الاشتقاق والإلصاق والتركيب، وقد تمكنت اللغة الإنكليزية اليوم من اختراع عدد هائل من المصطلحات، يقدّرها العلماء ما بين 500 ألف إلى مليون مصطلح جديد في مختلف المجالات الحياتية المعاصرة، وهذا ما جعل منها أكثر لغة تكيّفا وتفاعلا مع الحياة الجديدة التي تشهدها البشرية في العصر الراهن.

ـ السهولة النسبية التي يتميّز بها نطق الأصوات في اللغة الإنكليزية؛ إذ لا نجد في نظامها الصوتي تجمعا كبيرا للصوامت المعقدة، ما يجعل من ناطقها يبذل جهدا أقلّ في النطق، مقارنة بلغات أخرى كالروسية والصينية اللتين يصعب النطق بأصواتهما.

ـ وحدة النظام اللغوي للإنكليزية؛ إذ لا نعثر فيها على تمييز بين طبقة وأخرى من الناس وإنما تعتمد على نفس الأساليب والتراكيب في مختلف المقامات التواصلية، وهذا ما دفع بعض الدارسين إلى القول إنّ اللغة الإنكليزية تتميّز بنوع من الديمقراطية في الاستعمال.

الخاتمة: لقد أصبحت اللغة الإنكليزية اليوم اللسان المفضّل للعولمة، ومن هنا أضحت عملةً نادرة تتنافس كلُّ الدول على تعلّمها واكتسابها، وهذا نظير كفاءتها العالية التي تتميّز بها في كلّ المجالات التواصلية. ولم يكن وصولها إلى هذه المكانة من باب الصدفة والاعتباط، بل كان وراءها جهود جبارة. كما رأينا. بذلتها كلّ من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص. ومن هنا يمكننا أن نصل إلى نتيجة مفادها أنّ التفاوت الذي نشهده اليوم بين مختلف اللغات البشرية يعود في الأساس إلى مدى الجهود التي يبذلها أبناء لغة ما في سبيل تطوير لغتهم، فهذه الجهود هي العامل الوحيد الذي يصنع الفارق بين لغة وأخرى. كما أنّ كثرة عدد المتحدثين بلغة ما، لا يعني بالضرورة وصول تلك اللغة إلى العالمية، بقدر ما يهمّ بقدر أكثر نوعية هؤلاء المتحدثين بتلك اللغة

وقـوّتهم الثقافيـة، ودرجـة حسّـهم اللغـوي؛ فهنـاك صـلة كـبيرة بـين هيمنـة اللغـة والقوّة الثقافية وما يساندها من قوّة سياسية وعسكرية واقتصادية.

وإنّ القيـام بمثـل هكـذا دراسـات، تتنـاول الجهـود الـتي تبـذلها الشـعوب في خدمة لغاتها، لا يدخل في باب الترف العلمي الذي لا طائل من ورائه، بل هـي تصبّ في خانـة أخـذ العـبرة واسـتنهاض الهمـم في أبنـاء العروبـة، الـذين هـم مَـدعَوُّون اليـوم أكثـر مـن أيّ وقـت مضـى، إلى الالتفـاف حـول لغـتهم والتضـحية في سـبيل خـدمتها وتطويرها، والخروج من تأثير الفكرة القائلة:(للعربية ربّ يحميها) وهـي فكـرة وإن كان فيها شيء من الصواب؛ باعتبار اللغة العربية مرتبطة بالدين الإسـلامي الـذي لا يفنى حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها، إلاّ أنّ فهمنا الخاطئ لها ـ أي لهذه الفكـرة ـ قـد قتـل فينـا كـلَّ روح للعمـل والمبـادرة، وجعـل منّـا أبنـاءً عـاقّين للغـتهم. أقـول هـذا الكـلام، ونحن نعيش في عـالم لا تفاضـل فيـه إلا بالاجتهـاد والعمـل وتقـديس الوقـت الذي جعلته الأمم المتقدّمة من أعزّ الأشياء لديها تقديسا وحرصا عليه، وجعلناه نحن من أبخس الأشياء لدينا، هدرا وإسرافا فيه.

إنّ لغتنا العربية تحتوي على العديد من المقوّمات التي تسمح لها بتبـوّء مكانـة أفضـل بكـثير ممّـا هـي عليـه الآن، بـين اللغـات العالميـة؛ فهـي وعـاء لـتراث حضـاري كبير، قلّما نجد له مثيلا في اللغات الأخرى، كما تعدّ اللغة القومية لحـوالي 337 (حسـب إحصـاء سـنة 2007) مليـون عربـيّ، وهـي تمثّـل إلى جانـب ذلـك مرجعيـة اعتباريـة لأكثـر مـن مليـار مسـلم غـير عربـي، كلـهم يتوقـون إلى اكتسـاب اللغـة العربيـة، فـإن لم يتقنوهـا لأنهـا ليسـت لغـتهم القوميـة، فـإنهم في أضـعف الإيمـان يناصرونها ويَحتَمُون بأنموذجها. وكذلك تتميّـز اللغـة العربيـة عـن غيرهـا مـن اللغـات باحتفاظها بأصولها النحوية والصرفية لفترة تزيد عن سبعة عشر قرنا، دون أن يطـرأ عليها أيُّ تغيير، ورغـم ذلـك مـا تـزال تبـدي مرونـة كـبيرة في التعامـل مـع مسـتجدات الحيـاة المعاصـرة. إنّ أمثـال هـذه المعطيـات وغيرهـا، كـافٍ لـردّ أيّ رأيٍ يشـكّك في قدرة اللغة العربية في الالتزام بكلّ مطالب الحيـاة المعاصـرة، ومـن هنـا حـان الوقـت لنقول: إنَّ كلَّ ما تحتاجه اللغةُ العربيةُ اليوم، هو أبناءٌ مخلصون يُخرجون معطياتِهـا من عالم الحبر والورق، ويفجرونها في عالم الأعمال والفَلَقِ.

الهوامش:

♥– ينظر: Thomas Cable, A History of the english languag. London:1993,B Library & Albert c.Baugh

1– نهاد ربيع البحيري، "اللغة الإنجليزية لماذا هي العالمية"، مجلة الجزيرة: الثلاثاء17 ماي2005، العدد127.

2– الموسوعة العربية العالمية، نسخة إلكترونية.

3– المصدر نفسه.

4– مودر جيسكايا، الاستعمار يغيّر وجهه لكنه لا يغيّر عاداته، دط. بيروت:1973م، مطبعة النجاح، ص04.

5– الموسوعة العربية العالمية، نسخة إلكترونية.

6–سامي منصور، أقنعة الاستعمار الأمريكي، دط. 1967، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص59.

♣– الأثر الإيجابي هنا بالنسبة للغة الإنگليزية، أمّا بالنسبة للمستعمَرَات فقد كانت الحركة الاستعمارية سلبية لها في كلّ الجوانب.

7– محمد عبد الواحد حجازي، الثقافة العربية ومستقبل الحضارة، ط 1. مصر:1999، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، ص15.

8– أمين الزاوي "بين أحمد شوقي ومفدي زكريا" جريدة الشروق اليومي: الجزائر: يوم03 فيفري 2004م، العدد3242 ص21.

9– الموسوعة العربية العالمية، نسخة إلكترونية.

10– المصدر نفسه.

11– فيصل علي سليمان الدابي"آخر مظاهر العولمة اللغوية"، عن موقع: http://www.sudaneseonline.com/ar3/publish/article_2718.shtml

12– عابدين الشريف، الإعلام والعولمة والهُويّة، ط1. ليبيا: 2006، المركز العالي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ص175.

♥♥– ينظر موقع: http://www.khayma.com بتاريخ: 2011/06/20.

13– بنجامين باربر، عالم ماك، تر: أحمد محمود، دط.1994، المجلس الأعلى للثقافة، ص112.

14– حسن عبد الله العايد، أثر العولمة في الثقافة العربية، ط1. بيروت: 1424هـ/2004م، دار النهضة العربية، ص102.

15– المرجع نفسه، ص70.

16– لستر ثارو، الصراع على القمة، تر: أحمد فؤاد بلبع، مجلة عالم المعرفة. الكويت:1995، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص296.

17- سامي منصور، أقنعة الاستعمار الأمريكي، ص77.

18- لستر ثارو، الصراع على القمة، ص297.

19- فلوريان كلوماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة. الكويت:2000، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص157.

20- المرجع نفسه، ص 108.

21- المرجع نفسه، ص 148.

22- المرجع نفسه، ص 226.

23-حسن عبد الله العايد، أثر العولمة في الثقافة العربية، ص41. (بتصرّف).

24- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مجلة عالم المعرفة. الكويت:2001، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ص276.

25- الموسوعة العربية العالمية.

26- تركي علي الشهراني ومحمد مشرف الشهري، لغات البرمجة العربية؛ عقبات وتطلّعات، السعودية:1430/1429 جامعة الملك سعود، ص14.

27- ينظر: عواطف عبد الر حمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، مجلة عالم المعرفة. الكويت: 1984، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

28- ينظر: عابدين الشريف، الإعلام والعولمة والهُويّة.

29- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص277.

30- ينظر: مصطفى الخلفي، "العلوم الاجتماعية والهيمنة اللغوية الإنگليزية" عن موقع: http: /www.alislah.org بتاريخ: 10-12-2010.

31- ينظر موقع: http://alfalq.com بتاريخ: 10-02-2011.

32- المصدر نفسه.

33- فلوريان كلوماس، اللغة والاقتصاد، ص 138.

34- الموسوعة العالمية، نسخة إلكترونية.

35- ينظر موقع: http: www.studynaustralia.gov بتاريخ: 2011/06/20.

36- جريدة الشروق اليومي، الجزائر: يوم 2011/10/13، العدد 3172، ص 02

37- ينظر: فلوريان كلوماس، اللغة والاقتصاد.

38- نهاد ربيع البحيري، "اللغة الإنجليزية لماذا هي العالمية"، مجلّة الجزيرة.

تجربة المجتمع الإسرائيليّ في إحياء اللّغة العبريّة◆ (עברית)

أ. طارق بومود

مقدمة: تُشكل اللّغة وحدة روحيَّة وبُعدًا حضاريًا للأمة، فهي صورة فكرها وذاكرة تاريخها وأداة تواصلها، ومن خلالها تعبر عن منجزاتها الثقافيّة والعلميَّة والأدبيَّة، مما جعلها تحظى باهتمام بالغ منذ القدم إلى عصرنا الرَّاهن بدراسات وتأصيل وتعليم ودفاع، كونُها إحدى أهم مقومات شخصيتها ومكونًا أساسًا لهويتها، بل إنَّها تحمل في طياتها أبعادًا تاريخيّة ودينيّة وحضاريّة، ولذا اهتمت كل الشّعوب والأمم بلغاتها وجعلتها مصدر افتخار وعزة ولا تسمح بطمسها، بما فيها الأقليات التي أصبحت تعمل على إبراز وتقويّة وترقية لغاتها، كونها شاهدة على وجودها.

ولاشكّ أنَّ التّغيرات العالميّة التي أحدثتها العولمة، أثّرت بشكل واسع في واقع اللّغة العربيَّة مُنتجةً مخاطرَ جمة تهدد وجودها ومستقبلها. فلغتنا اليوم لم تعد قادرة على مسايرة الواقع المعرفيّ والتّقدم التّكنولوجيّ، ولا تلبي حاجاتنا المعرفيّة ولا تطلعاتنا الفكريّة، مما يستوجب علينا العمل من أجل النُّهوض بها والسّعي إلى ترقيتها لتواكب متطلبات الألفيّة الجديدة التي تتسم بسرعة التَّحولات المعرفيَّة والفكريَّة والعلميَّة في جميع المجالات، وإنِّي أزعم أن الاستفادة من الأمم الحيّة في إحياء ونشر لغاتها أضحى ضرورة قصوى للخروج من هذا المأزق الذي آلت إليه لغتنا العربية، فكان البحث في تجارب الأمم الحية التي استطاعت النُّهوض بلغاتها مطلبًا دراسيًا مهمًا يساعد على الإفادة منها في إيجاد حلول لمشكلتنا اللغوية. ولعلّ من أهم التّجارب النَّاجحة في هذا المضمار هي تجربة المجتمع الإسرائيليّ في إحياء اللَّغة العبريَّة، هذا المجتمع الَّذي عمل على إحياء لغته وجعلها مصدر وحدته وبناء هُويته القوميَّة ومكونًا أساسا

لشخصيّته الوطنيّة، بعدما كانت لغة شبه ميتة، تقتصر على المعابد والدِّراسات الدِّينيَّة حتى أصبحت اليوم لغة يعتزّ الإسرائيلي بها ويستخدمها في مختلف المواقف السياسيَّة والاجتماعيَّة والعلميَّة والأدبيَّة؛ بل أضحت لغة التَّدريس والبحث العلميِّ الأكاديميّ، مما يستوجب علينا أن نقف عندها وندرسها ونحلّلها ونستفيد منها في خدمة اللّغة العربيَّة. وتأتي هذه المقالة لتبين قيمة وعمق هذه التَّجربة، وكيف اكتسحت اللّغة العبريَّة اليوم ميادين لسانيّة عديدة ومجالات معرفيَّة معاصرة، إمّا بدافع لغويٍ محض أو لاعتبارات إيديولوجيّة صرفة.

ولا ريب أنَّ الاقتراب من دراسة هذه التجربة وإبراز العوامل والوسائل التي كانت لها الدّور الأساس في إحيائها تكتنفها الكثير من العقبات والصّعوبات التي تواجه الباحث ليفهم نجاح اليّهود في إحياء لغتهم. ولعلّ صّعوبة هذه الدّراسة تكمن في الجدال القائم بين الباحثين في شأن اللّغة العبريّة حول هُويتها وفي مسارها التّاريخي الذي يلفه الكثير من اللّبس والغموض، ومرد هذا الأمر يرجع إلى طبيعتها التي تَشبّعت بالفكر الصّهيوني واليّهودي والتلّمودي، وكذلك حال اليّهود الذين عاشوا الشّتات في معظم "تاريخهم الطّويل"، وتأثرت لغتهم بلغات البلدان التي كانوا يقطنها، مما يصعب علينا استيعاب قضاياه التّاريخيّة واللّغويّة والمعرفيّة، التي أسهمت بشكل كبير في تغيير المتن اللّغويّ العبريّ.

ولقد شدّت انتباهي هذه التّجربة؛ كونها تمثل الاستثناء اللّسانيّ عن باقي التّجارب اللّغويّة الأخرى، ولما تحمله من جهود عظيمة شاركت فيه جميع شرائح المجتمع، حتى صارت أنموذجًا يمكن للأمة العربية أن تستفيد منه؛ لكي تنهض لغتها وتجعلها في مصاف اللّغات العالميّة. فحري بنا، أن نسلّط الضوء عليها لكي نعرف منطلقاتها ومسارها الذي سارت عليه، ونحدد أهدافها ومن هم الذين ساهموا في صناعة هذه التّجربة الرّائدة؟ وما هي الآليات التي أسهمت في إغناء المتن اللّغوي العبريّ؟ وهل اقتصرت عملية الإحياء والنّهوض باللّغة العبريّة

على اللّغويين دون غيرهم أم شملت المؤسسات وجمعيات المجتمع المدنيّ؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار هذه التّجربة أنموذجًا ناجحًا للتّخطيط اللّغويّ؟

❖ **قراءة موجزة في تاريخ اللّغة العبريّة:** تنتمي اللّغة العبريّة إلى تلك الأسرة الكبيرة التي تدعى **اللّغات السّاميّة،**♥ وكان أوّل من استخدم مصطلح السّاميّة في العصر الحديث هو العالم الألماني **شلوسر(A.L.Schöner)**(1735-1805) وذلك في نهاية القرن الثامن عشر(1798م) للإشارة إلى مجموعة اللّغات الواردة في سلسلة أنساب أبناء سام بن نوح عليه السلام، في كتاب التّوراة وكذلك سفْر التكوين تحديدا، وتُشير الدّراسات إلى أن هذه اللّغات اندثرت مثل: **الآشوريّة والبابليّة والكنعانيّة والآراميّة** لكن بعضها مازال في واقع الاستعمال اليومي وأصبحت لغة علم وحضارة مثل: **العربية والعبرية والحبشية**[1]. ويذهب المؤرخون في تاريخ اللغات إلى أن مصدر اللغة العبرية هو العهد القديم؛ أي القرن الثالث عشر قبل الميلاد تقريبا، و"تجدر الإشارة إلى أنَّ العهد القديم لم يضم كل اللّغة العبريّة المعاصرة له، إلاّ أنه يضم جزءا كبيرا مكتوبا باللغة الآرامية، ولم يخل من الدّخيل، فبه آثار **آكاديّة وسومارِيّة ومصريّة وفارسيّة** ولغات أخرى. ولغته فقيرة لا يتعدى معجمه 8000 كلمة استقت من مجتمع بدوي رعوي". [2] فلغة العهد القديم تشكلت من عدة لغات مما أسهمت في إغنائها بألفاظ جديدة.

وإنَّ المتتبع لمراحل تاريخ اللّغة العبريّة يجد تباينًا واختلافًا وتمايزًا فيما بينها، ومرد هذا الأمر يعود إلى أن "المجتمع الإسرائيليّ" عاش الشّتّات عبر تاريخه الطّويل، مما أنتج تنوعًا لغويًا وثقافيًا لتلك الجماعات اليّهوديّة، الّتي كانت تقطن مختلف دول العالم، ونشير في هذا السّياق إلى أن هناك خلافًا كبيرًا بين الباحثين في تصنيف المراحل التي مرت بها اللّغة العبريّة ما بين العهد القديم وقبل العصر الحديث خاصة.[3] فاللغة العبرية مرت بمراحل متباينة ويمكننا أن نوضحها في ما يلي:

1- **عبرية العهد القديم**: وتسمى كذلك **العبرية التوراتية**، وتبدأ هذه المرحلة مع نشأة اللغة في القرن الثالث قبل الميلاد تقريبا إلى غاية **النفي البابلي لليهود** عام 584 ق.م، ففي هذه الفترة كانت اللّغة العبريّة لغة تخاطب وكتابة راقية،كما كُتبت بها معظم أسفار العهد القديم نحو: **التّكوين والخروج والتّثنية ويوشع والقضاه** وغيرها من كُتب الأنبياء. ويرى **كوتشير (E.Y.Kutscher)** أن العلماء اتفقوا على قبول القسمة الثّلاثية للعبرية التّوراتيّة وتمثلت في: العبريّة التّوراتيّة القديمة، والعبريّة التّوراتية المعياريّة أو النّموذجيّة واللّغة التّوراتيَّة المتأخرة.[4] فالملاحظ أن تاريخ ومراحل اللّغة العبريّة يَكْتنفها الكثير من الغموض ومن اختلاف الباحثين حولها.

2- **عبرية المشنا**♦ أو**العبريّة الربانيّة**: وتبدأ هذه المرحلة منذ النفي البابلي؛ حيث لم تصبح اللّغة العبريّة لغة تَخَاطب يومي؛ تقتصر على أداء الصَّلوات في المعابد وقراءة الكتب الدِّينيّة فقط، وحلت محلها اللّغة الآراميّة لتصبح اللّغة العبريّة شبه ميتة، وهذا في القرن الرّابع قبل الميلاد، والملاحظ أنَّه في هذه الفترة تأثرت العبريّة باللغة الآرامية، حيث تم في هذه المرحلة كتابة **التلمود**♣وتعني في اللّغة العبريّة التّعليم. وتقصد به كذلك الأعمال التي تجسد **القانون الشفوي أو التوراة المروية** التي وصلت لليهود عن طريق الرّواية مقابل التّوراة المكتوبة. وكتبت **المشنا** بلغة خاصة أطلق عليها العلماء والمؤرخون تسمية(**عبرية المشنا**) أو (**لغة حكماء المشنا**) أو (**اللّغة العبريّة الرّبانيّة أو الحاخاميّة**). كما يعتبرون كتاب المشنا أهمّ ما دُوّن بالعبريّة بعد تدوين العهد القديم.[5]وتميزت اللّغة العبريّة في هذه المرحلة بأنَّها اقترضت عشرات الألفاظ والمصطلحات الإداريَّة والدِّينيّة والقانونيّة التّشريعيّة وغيرها اقترضته من اللّغة اليونانيَّة، ويذهب **باديوس (Badillos)** إلى أن هناك الكثير من الكلمات المشتركة بين عبرية المشنا والعبريّة التّوراتيّة في مجال الأرقام وأعضاء الجسم والألفاظ الدّالة على أنواع القرابة كما اقترضت كذلك من اللَّغة الآراميَّة كلمات شملت العديد من

الأفعال والأسماء، وفي شتى مجالات الحياة، ودخلت كذلك ألفاظ أكاديّة وسومريّة عن طريق الآرامية.[6]وقد بيّن كل من **باديوس ح. رابين(C.Rabin)** أن مسألة التّغير الكبير والسّريع والمفاجئ الذي طرأ على اللّغة العبريّة التّوراتيّة خلال هذه الفترة الوجيزة، كان بسببها الاقتراض اللّغويّ من اللّغات الأخرى مثل: **الآراميّة والفارسيّة واليونانيّة واللاتينيّة.**

ولقد أضحت اللّغة العبريّة في هذه الفترة مجرد لغة تستعمل في الطقوس والصّلوات الدّينية، ولم تعد لغة التّواصل اليّومي، لكون أن الجماعات اليّهوديّة أصبحت تعيش الشّتات عبر مختلف دول العالم، وصارت تتكلم لغات تلك الدّول التي سكنتها.

3- عبرية الوسيطيّة: ازدهرت أوضاع اليّهود في الأندلس تحت حكم الخلافة الإسلاميّة، وانعكس هذا الازدهار على اللّغة العبريّة التي عاشت عصرا ذهبيا في تلك الفترة، إذ ظهرت عدة مؤلفات وترجمات إلى اللغة العبرية؛ حيث استفادوا من اللّغة العربيّة في أدبهم وترجماتهم، كما "تأثروا أيضا؛ بمناهج البحث العربي الإسلامي الموجودة في كتبهم التّفسيريّة والنّحويّة واللّغويّة وأشعارهم وآدابهم وفي مجالاتهم العلمية".[7] ويذهب كل من يذهب **باديوس** و**كوتشر(Kutscher)** إلى أن انتعاش اللّغة العبريّة وإحيائها في هذه المرحلة لم يسبق لها نظير عبر مسارها تاريخي، حيث ازدهر الفن الأدبي بشقيه الشعري والنثري وتطور لديهم الفكر الفلسفي واللغوي والتشريعي، كما نشطت حركة الترجمة من العربية إلى العبرية بشكل واسع حيث أثرت فيها من حيث الأسلوب والصياغة والمنهج، مما أدى إلى إغناء المعجم العبري بألفاظ وتراكيب وأساليب جديدة.

والجدير بالتّنويه أن الدّكتور **أحمد شحلان** في مؤلفه (**ابن رشد والفكر العبري الوسيط**) خصّص قسما تحدث فيه عن جهود اللّغويين وحركة التّرجمة في تلك المرحلة، وما أسفرت عنه من إنجازات تمثلت في:

- ✓ نقل العلوم المكتوبة باللّغة العربيّة التي تمثل لغة حضارة وتقدم

✓ وضع المصطلح العلميّ الفلسفي الذي افتقدته لغة التّوراة والتّلمودين ولغة أخبار بابل

✓ تيسير اللّغة العبريّة لتصبح أداة يتخذها المفكر اليّهودي للتعبير عن أفكاره، وإخراجها من حيزها الضيق إلى أغراض تواصليّة واجتماعيّة

✓ ظهور عدة مؤلفات في اللّغة والنّحو العبريّ، مثل: كتاب (**الأفعال الجوفاء والمُضعّفة**) لـ: (**مناحم بن سروق وأبو زكريا يحي بن داود حيوج**)[8] كما كرّس شيخ نحاة اليّهود أبو الوليد مروان بن جناح القرطبيّ في النّصف الأوّل من القرن الحادي عشر الميلادي، جهده ووقته لدّراسة اللّغة العبريّة، ولعلّ أهم أعماله (**كتاب اللُمع**) الذي كتبه باللّغة العربيّة في النّحو و(**كتاب الأصول**) هو معجم عبريّ للعهد القديم وكتاب (**التّنقيح**).

ونستخلص مما تقدم ذكره أن فترة اللّغة العبريّة الوسيطيّة كانت عصر إنماء وازدهار لغتهم في كنف الخلافة الإسلاميّة، وتمتع اليهود في ظل حكمها بالحريّة والاستقرار، مما ساعدهم على تطوير لغتهم من خلال الابتكار في أساليب الكتابة والتّوسيع في استخدام مفردات دخيلة في لغتهم، كما استطاعوا بمفردهم أن ينجحوا في تجاوز بعض العقبات التي كانت تعيق إنماء اللّغة العبريّة، خاصة **فكرة الصفائية** اللّغويّة المتولدة أساسًا من خوفهم على تحريف كتابهم المقدس، كما أسهم في خلق هذا النشاط اللغوي الذي تميزت به هذه المرحلة، بظهور شخصيات كان لها دور كبير في إنماء اللّغة العبريّة تجلت في التّأليف اللّغوي والتّصنيف المعجميّ والتّرجمة من بين هؤلاء **دناش بن تميم(David ben Abraham al-Fasi)** و**يهودا بن إيلي (Judah ben Eli)** وغيرهم .

4- عبريّة عصر الانحطاط: وهي مرحلة الازدهار الأوربيّ وضعف الخلافة الإسلاميّة؛ حيث تعرض اليهود إلى الاضطهاد المسيحيّ، فنجم عنه أن تقوقعوا وقطنوا بأحياء خاصة سميت (**الجيتو**) وقد أدى هذا الانعزال إلى الإضرار

بحياتهم العلميَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة، ووصل الأمر إلى اللّغة التي أصابها الضعف، وأضحت لغة عاجزة لا تستجيب لأغراضهم الثقافيّة والعلميّة والاجتماعيّة.

5- عبرية عصر التنوير(الهسكلاه*): يذهب الكثير من المؤرخين للّغة العبريّة أن مرحلة التّنوير أو ما تعرف باللّغة العبريّة الهسكلاه **(השכלה)** هي المنطلق الأول لإحياء اللغة العبرية؛ حيث بدأت هذه الحركة الثقافيّة والفكريّة والأدبيّة الجديدة في أوروبا وخاصة في ألمانيا(1820/1780) وانتقلت إلى المجر والتشيك وإيطاليا وغيرها من البلدان، ووصلت إلى ذروتها في شرق أوروبا نحو: روسيا وبولندا بين الفترة الممتدة ما بين(**1881 إلى 1850**)، وكان من أبرز رواد هذه الحركة:

- ✓ **موسى مندلسون(M.Mendelssohn)(1729_1786)**: وهو فيلسوف وناقد أدبيّ ألمانيّ زعيم الحركة الأول؛ حيث كرّس حياته لخدمة اليّهود وديانتهم إلى جانب اهتمامه الكبير بتنميّة اللّغة العبريّة.
- ✓ **يهودا بن ذيب (J.Ben_Zeev)(1746-1811)**: ويعد أوّل نحويّ ومعجميّ يهوديّ في العصر الحديث من الأوائل الذين ألفوا في نحو اللّغة العبريّة كما اشتهر بنظم الشّعر.
- ✓ **شموئيل لوزاطو(S. Luzzato) (1800- 1865م)** وكان لغويًا وشاعرًا وشارحًا مفسرًا للتوراة عاش في إيطاليا، وألف في قواعد اللّغة العبريّة باللغة الإيطاليّة:
  - قواعد / نحو اللّغة العبريّة (Grammatica della Lingua Ebraica).
  - العناصر النّحوية للكلدانيّة التّوراتيّة واللّهجة التّلموديّة (Elementi Garmmaticalli del caldeo Biblicoe del Dialetto[9]).

ولقد أسهم هؤلاء الرّواد في خلق حِراك ثقافيّ ودينيّ وتاريخيّ، وكلها تصب في تطوير وإنماء اللّغة العبريّة من خلال تشجيع تعليمها لأبناء المجموعات اليهوديّة، والعمل على ربطها بالأبعاد الوطنيّة والقوميّة لدى اليّهود.

❖ **واقع اللّغة العبريّة قبل ظهور حركة التّنوير:** لاشكّ أنّ اللّغة العبريّة اتخذت في مسارها التّاريخيّ أوضاعا متعددة، تعبر عن مشكلات عويصة واجهتها، قبل أن تصبح لغة علم وتعليم داخل المجتمع الإسرائيلي، حتى ندرك حجم الجهود التي بذلت من أجل إخراجها من حالة التّقوقع والانحسار إلى لغة التّخاطب والتّواصل الاجتماعي، فهذا المجتمع يتكون من تعدد القوميات والجماعات وبتباين في الثقافة واللّغة والدّين؛ وهذه الأمة اليّهودية عاشت في تاريخها الشتات في مختلف مناطق العالم، وعلى الرغم من هذه التحديات والعقبات التي واجهت هذه التجربة في إحياء اللغة العبرية، استطاعت أن تتجاوزها[10]، ويمكننا أن نعرض واقع اللغة العبرية قبل ظهور حركة التنوير في النقاط الآتية:

1- تحدثت الجماعات اليهودية بلغات مختلفة، حسب الدول والأماكن التي عاشت فيها.

2- اقتصار اللغة العبرية – في الغالب- على الأغراض الدينية ولا تستخدم في الحياة اليومية.

3- نلحظ اختلاف لغة اليهود في الجيتو باختلاف الزمان والمكان الذي عاشوا فيه.

4- انحسار اللغة العبرية في المجال الديني، وإضفاء صفة القداسة عليها.

5- انتشار اللغة اليديشية (**אידיש**) بين شرائح عريضة للجماعات اليهودية خاصة في أوربا الشرقية.

6- اقتصار اللغة العبرية على النخبة فقط.

7- منافسة لغة **اللادينو(אספניולית)**• للعبريّة وهي إحدى لغات اليّهود.

ومن هذا المشهد للغة العبرية الذي تعاني منه، ظهرت أصوات تنادي بضرورة العمل من أجل تحقيق مجتمع موحد على جملة من القيم والمبادئ، قصد تحقيق الهُوية الاجتماعيّة لليهود، ومن ثمة كانت اللغة بمثابة أحد العناصر الأساسية التي تسهم في تشكيلها وتعزيزها، ويمكننا أن نستأنس في هذا السياق "برأيّ **تاجفيل وتيرنر(Tajfel and tuener**) أن لدينا- إلى جانب هُويتنا الشّخصية- هُوية اجتماعية أيضا، تشمل معرفتنا لانتمائنا إلى مجموعة اجتماعية محددة، إضافة إلى القيم والدلالة العاطفية المنسوبين إلى هذا الانتماء"[11] فإن قضية الهُوية وبناء الدّولة اليّهودية كانا دافعين إلى إحياء اللغة العبرية، ومن أجل تحقيق هذا المقصد ظهرت حركات جديدة تعمل على إحيائها.

❖ **الصّهيونيّة وحركة الاستنارة اليهوديّة ودورهما في إحياء اللّغة العبريّة**:

تعدّ كلّ من الصّهيونيّة وحركة الاستنارة اليهودية العقل المدبر والمنظر وهما اللذان أسهما بشكل كبير في وضع رؤية عامة لمشروع بناء الدولة في فلسطين فكان اهتمامهما ينصب أساسًا على إعادة التراث العبري القديم من خلال إحياء اللّغة العبرية؛ كونه حمالا لقيمهم الدّينيّة والتاريخية، ويمكننا أن نوضح أثرهما في إحياء وتنمية اللّغة العبريّة على النّحو الآتي:

1- إسهامات الصّهيونيّة في إحياء اللّغة العبريّة: منذ أن تأسست هذه الحركة السياسيّة والثقافيّة التي تنشط عبر دول العالم، بدأت هذه الحركة بربط الجماعات اليهودية بالهُوية الوطنيّة والدينّية والثقافية واللغوية، وتهيئتهم لتموين المجتمع الإسرائيلي الجديد، فعملت على جعل المستوطنين الجدد من المهاجرين يتعلمون لغة واحدة، وأن يتخلوا عن لغاتهم، ويري **أ.ميلنز(Arthur Milner**) "أن النزعة اللغوية الأحادية في إسرائيل، عززتها بعض الأطراف بكثير من الأساطير والفرضيات التي كان من أبرزها:

✓ ربط إمكانية تعلُّم اللّغة العبريّة من قبل المهاجرين بتخليهم عن جميع لغاتهم الأصلية.

- ✓ اعتبار تعلُّم اللّغة العبريّة جزءا رئيسًا في عملية الاندماج والاستيعاب الثقافي.
- ✓ الإبقاء على اللّغات الأخرى (الأجنبية) من شأنه أن يسهم في إضعاف الهُويّة الوطنيّة.
- ✓ اللّغات الأجنبيّة التي جلبها المهاجرون فاقدة لكل قيمة.
- ✓ إجبار المهاجرين على التّحول نحو العبريّة سيمكنهم من الاندماج في مدة وجيزة.
- ✓ لا لغة غير العبريّة. ويبقى تعلُّم الإنجليزيّة في المدرسة أمرا ضروريًا".[12]

كان الهدف من وراء ما تقدم ذكره هو جعل اللّغة العبريّة لها مكانتها الاجتماعيّة والسياسيّة بهدف تحقيق الانسجام والتّوافق بين الجماعات اليهوديّة المختلفة؛ حتى تتجسد القوميّة اليهودّية في إسرائيل.

2- دور حركة الاستنارة اليهودية♥♥ لإحياء اللغة العبرية: يبدأ التاريخ الحديث للجماعات اليهوديّة في أوربا بظهور حركة الاستنارة اليهوديّة (الهسكلاه) وذلك في منتصف القرن الثامن عشر في ألمانيا خاصة وغيرها من الدول الأوربيّة بصفة عامة، "وباعتبار أن هذه الحركة قد أتت بمثُل وقيم من الموروث الديني والفكر اليهودي، وباعتبار أن هذه المثل والقيم فُرضت على أعضاء الجماعات اليهودية، إمّا من خلال الدولة أو من خلال طليعة ثقافية يهودية تشربت أفكار الاستنارة الغربيّة، ثم حاولت تنوير اليّهود".[13] كما أسهمت هذه الأفكار في الدفع بفلاسفة وعلماء اليهود إلى وضع مشروع أيديولوجي وعقدي يسهم في توحيد الشعب اليهودي تعمل على تحقيق مجتمع له وطن وهوية ولغة ودين من خلال بناء دولة لليهود.

ولقد جاءت هذه الحركة كصدى لفلسفة التّنوير التي اجتاحت أوربا حيث بدأ نشاطها الفعلي عام 1750م في وسط أوربا، خصوصا في ألمانيا وانتقلت إلى المجر والتشيك وإيطاليا، ووصلت إلى شرق أوربا نحو روسيا وبولندا

حيث زاد نشاطها بشكل فعّال وواسع، في بداية الثمانينيات، وتعد هذه الفترة تحولا جديدا في تاريخ اللغة العبرية؛ حيث نشأ بعدها أدب عبري جديد علماني مكتوب بلغة العهد القديم. وأدباء ذلك الأدب هم المتنورون **(المسكيليم)** والتي بدأت حركتهم في وسط أوربا في ألمانيا (1780- 1820)، وانتقلت بعدها إلى المجر والتشيك وإيطاليا وغيرها من البلدان (1820- 1850)، ووصلت إلى ذروة تطورها في شرق أوربا وروسيا وبولندا (1850- 1881). كما قام بعض الأدباء في القرن التاسع عشر، خاصة في شرق أوربا مثل: **أبرهام مابو (1808-** 1867)، **بيرتس سميلانسكى (1842- 1855) إسحق ارتر (1791- 1851)** وغيرهم، بكتابة أعمالهم بعبرية العهد القديم فقط[14]، وتتركز أهداف هذه الحركة في:

- ✓ نشر الثقافة الأوروبية العامة بين جماهير اليهود.
- ✓ العمل على تعلم لغة وأدب الدول الأوربية التي يعيشون فيها.
- ✓ دعوتهم إلى استخدام اللغة العبرية عن طريق التلمود بدراسة التوراة.
- ✓ ترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية لإعطائه مفهوما دنيويا متطورا.
- ✓ إعادة إحياء الأدب العبري القديم مدعما بالثقافة الغربية الحديثة.
- ✓ إصرارهم على استخدام لغة المشنا والالتزام الصارم بلغة العهد القديم،[15] كونها تمثل اللغة المتداولة والمنتشرة بين اليهود واعتبار أن العبرية لغة مقدسة.

ولقد بدأ اهتمام هذه الحركة في بداية الأمر بوضع القواعد النّحوية للغة العبريّة، حيث حاولوا تأسيس النّحو العبريّ بشكل عام على أساس نظرية لغة العهد القديم، وأمّا المجال الثاني الذي اهتمت به هذه الحركة فهو؛ إثراء اللّغة العبريّة والرّغبة في الكتابة عن موضوعات جديدة لم يتطرق إليها العهد القديم ودفعهم إلى خلق عددٍ من المصطلحات والأساليب والصيغ الجديدة لترقية اللّغة

العبريّة، ويدخل هذا في نطاق التّهيئة اللّغويّة، حيث استخدمت طرائق عدة في تهيئتها يمكن إبرازها في:

✓ دعت هذه الحركة إلى استخدام اللّغة العبريّة، وجعلها لغة تواصل يومي بين الجماعات اليهودية.

✓ إيجاد كلمات جديدة من خلال استخدام كلمات قديمة واستخدام جذورها من خلال إضافة حروف إليها مثل: **אטיות** (بطء) **אנוכיות** (أنانية) **דברנות** (بقبقة) **התאבקות** (مصارعة) **טבעי**(الطبيعية) **לקקן**(معسول اللسان) **מבוך**(المتاهة) **עצלות**(الكسل) **רעבתנות** (نهم) **רצינות**(خطورة).

✓ إيجاد كلمات من خلال محاكاة أوزان أسماء كمقرائية ومشناوية مثل: **מַרְגֵמָה**(هاون) **מַדְגֵרָה** (المفرخ) **דַחַף**(دفعة)**דָוָר**(جيل) **תַעֲרוּכָה**(المعرض) **מְנָיָה**(حصة).

✓ توسيع معاني الكلمات القديمة مثل :**ביקורת** (في العهد القديم بمعنى فحص وعقاب) **חשמל** (في العهد القديم نوع من المعادن) **כתובת** (في العهد القديم بمعنى حروف مكتوبة).

✓ إيجاد مصطلحات من خلال ضم كلمتين: **ימי הביניים** (من القرون الوسطى) **ממְסִילַת בַרְזֶל**(الفولاذ السكك الحديدية) **תַפוּחֵי אַדָמָה** (البطاطا) **יַם תִיכוֹן** (البحر الأبيض المتوسط) **נְקוּדַת רְאוּת** (وجهة نظر).

✓ استخراج أفعال من الأسماء مثل: **הִרְדִים**(مخدر) **הִצְטַנְעַ,**(متواضع) **תִלְתֵל**(حليقة).

✓ اشتقاق كلمات جديدة ومن الاشتقاق ينتج تشابه بينها وبين الكلمات الأجنبية [16]مثل: **חולירע** في اللغات الأوربية Cholera ، **פרטי- כול** Protocol **בוב** Puppe .

✓ استعارة معاني جديدة لكلمات تشبه صوتياً كلمات أجنبية مثل: **מְכוֹנָה** (في العهد القديم) **מסד** (أي شيء مستقر) وهى تشبه كلمة .Machine

في اللغات الأوربية أخذت الكلمة معنىً معاكسًا تماماً. **שֶׁלֶט** (في العهد القديم **מָגֵן**) من كلمة schild الألمانية.[17] ولقد أخذت الكلمة معنى لوحة.

والجدير بالذكر، أن هذه الأعمال التي قامت بها حركة الاستنارة من أجل توسيع الثروة اللغوية العبرية وإحيائها، ومع تلك الجهود المبذولة من أجل تحويل لغة المشنا وباقي روافد اللغة إلى أصول لغوية، قصد تطوير اللغة، ومن أبرز الذين شاركوا في هذه الجهود نذكر: (**إسحاق ساطانوف 1732-1844**) (**مناحيم لابين 1749- 1826**) (**موشيه شولبويم 1835-1918**) مع وجود الإرادة والرغبة في فرض اللغة العبرية على الجماهير، وأمَّا كتابها، فإنّهم لم ينجحوا في وضع أسس علمية لتحويل اللغة العبرية من لغة كتابة إلى لغة حديث.

3- أهم الشخصيات التي أسهمت في إحياء اللغة العبرية: من أهم الكتاب والمفكرين الذين قدموا خدمات جليلة للغة العبرية، وعملوا على ترقيتها وتطويرها وجعلها لغة حياة وعلم، وبذلوا جهودا عظيمة، رغم الظروف الصعبة التي مر بها تاريخ اللغة العبرية:

أ- أحاد هاعام(1856-1927) :اسمه الحقيقي (اشر تسفى جينسبورج) ولد في مدينة سكويرا بأوكرانيا وعاش فترة كبيرة من حياته في أوديسا من 1886- 1907، لندن 1907- 1921، فلسطين 1922- 1927. ولقد نشر **أحاد هاعام** الكثير من المقالات حول المشكلات اليهودية واليهود بشكل عام والصهيونية ومشكلاتها بشكل خاص. جمعت هذه المقالات في كتاب بعنوان: (על פרשת דרכים) (**في مفترق الطرق**).[18]كما اهتم في المقالين بمسألة توسيع اللغة العبرية ونحوها. حيث **بيّن** في المقال الأول أن تطور اللغة وتوسيعها لن يتم بتجديد مصطنع للكلمات فقط؛ بل من خلال تطوير الفكر وتجديده ويرى **أحاد هاعام** أن ذلك هو الذي سيساعد بشكل صحيح على توسيع اللغة العبرية بكلمات جديدة وتطويرها بطرق صحيحة. وفى المقال الثاني أبرز فيها العلاقة

بين تطوير الفكر وبين تطوير اللغة. وهذه المقالة شرح فيها التلازم بين النشاط الفكري وتطور اللغة، فكلما زاد الإنتاج المعرفي والعلمي ارتقت معه اللغة وتطورت.

أمَّا فيما يخص قواعد اللّغة العبريّة ودور النّحاة فيقول **أحاد هاعام**: إن على النّحاة أن يمنعوا الأخطاء اللّغوية؛ لكن ليقوموا بدورهم على أكمل وجه عليهم أولاً؛ أن يضعوا كتاباً في النحو ليس للغة العهد القديم أو لغة المشنا، فقط بل كتاب قواعد يتطرق إلى اللغة العبرية بشكل عام، وعلى النّحو أن يضم قواعد موحدة، تشمل في طيها الضروري في كل الأساليب، أي كل ما أصبح مستخدماً، وكذلك عليهم أن يضعوا في الاعتبار تطور اللّغة مما يوافق احتياجات العصر كما لا يقتصر الإسهام الرّئيس **لأحاد هاعام** في تطور اللغة العبرية على آرائه المتضمنة في المقالين لكن في كل المقالات التي كتبها حيث أن مقالاته مبنية بشكل سهل ولها أسلوب أصيل، ومكتوبة بلغة مختلطة مزجت بشكل طبيعي كل روافد اللغة العبرية.وكان لتلك المقالات الأثر الكبير في خلق أسلوب صحفي في إسرائيل.

ب- **أليعزار بن يهودا (Eliezer Ben Judah)(1922/1858)**: يعد هذا الرّجل من أهم الشّخصيات البارزة، وأكثرهم تحمسا للغة العبرية، فهو أوّل من سخر وقته وجهده وماله لإحياء اللغة العبرية، فقد دخل إلى مدرسة الكتاب اليّهوديّة، وتعلم أفكار حركة الاستنارة وفلسفتها، كما تعلم اللّغة الفرنسيّة والألمانية والرّوسيّة، وبدأ بدراسة العبريّة والتّوراة المشنا وعمره لا يتجاوز اثنتي عشرة سنة، فقد قام بإنجاز **قاموس اللغة العبرية القديمة والحديثة** في ستة مجلدات،[19] كما أسهم في إيجاد قرابة ثلاثمئة كلمة وما بقي منها إلا مئة وستين كلمة، وذهب عدد من الباحثين في هذا الميدان، ويرجع التّحول اللّغويّ العبري في فلسطين إلى جهود أليعزار بن يهودا الذي ُلقِب ب(**أبو اللغة العبرية الحديثة**) وعلى الرُّغم من أنه لم يكن وحده في هذا المجال، كما قام

بتجديدات كثيرة في اللغة العبرية، فوضع جذورا عبرية في قوالب وأوزان وأبنية تلائم اللّغة العبريّة، وإذا لم يجد في العبريّة اتجه للآراميّة أو العربيّة.

ولقد أتبع بن يهودا الطريقة الإلصاقية في تجديداته مثل: جرثومة وميكروب.

كما نشر **أليعزار بن يهودا** أبحاثا عن اللغة العبرية وتاريخها، ومن بين هذه الأبحاث بحث بعنوان(**متى نتحدث بالعبرية؟**) وقد سعى إلى وضع مصطلحات وتعبيرات لتطويع العبرية للتعبير عن الأفكار،[20]ويعد هذا الرجل من الأوائل الذين قاموا بنشاطات في فلسطين لخدمة اللغة العبرية؛ حيث قام بتأسيس جمعيات تهتم بتعليم اللغة العبرية وترقيتها ونشرها في المجتمع الإسرائيلي فأسس(**يحئيل بنس**) وتعني بعث اليهود، وتسعى هذه الجمعية إلى تحقيق جملة من الأهداف، ولعل أهمها هو جعل اللغة العبرية لغة تخاطب وتواصل يومي بين الجماعات اليهودية، وفي عام 1889 أسس جمعية في القدس تعرف باسم: (**لغة واضحة**) تعمل على تعليم الصغار والكبار اللغة العبرية، وتدعو إلى استعمالها في الخطابات اليومية وفي المؤسسات التعليمية.

ولقد انصبّت جهود **أليعزار بن يهودا** على إحياء اللغة العبرية، فبحث في أدب العبرية الكلاسيكي عن الألفاظ التي تصلح للاستعمال في الحياة اليومية في العصر الحديث، وقام باشتقاق كلمات عبرية جديدة، واستعار بعض الألفاظ والعبارات من اللغة العربية، وقام بتطوير أسلوب عبري جديد وبسيط، وحارب اللغة اليديشية، وإن من أهم أعماله إخراجه (**المعجم العبري القديم**) و(**المعجم الحديث**) بعد أن ظل يعمل فيه زهاء أربعين عاماً، ولم يستطع أن ينتج أكثر من تسعة مجلدات، وقد أسس بن يهودا جمعية اللغة العبرية عام 1859 م وعمل رئيساً لها حتى وفاته 1922م. وتحوّلت هذه الجمعية عام 1953م إلى أكاديمية اللغة العبرية التي قامت بإكمال مشروع بن يهودا، وأصدرت المعجم كاملاً سبعة عشر جزءاً عام 1959م، ورغم إصرار أليعزار بن يهودا على فكرة القومية

العضوية المرتبطة بالأرض، فإنه لم يتردد في مناقضة نفسه، إذ أيد مشروع شرق إفريقيا بدلاً من فلسطين، وكان من أوائل الداعين إلى تقبل وجود اليهود خارج فلسطين (الشتات) على أن تربطهم رابطة ثقافية مع (وطنهم) بحيث يتحوّل هذا الوطن إلى مركز روحي، وقد جلب عليه اهتمامه بالعبرية لعنة اليهود الأرثوذكس الذين كانوا يعتبرون اللغة العبرية لغة مقدسة، لا تستخدم إلا في الصلاة.

ولقد كان تأسيس **لجنة اللغة** في القدس عام 1890م باقتراح وبمبادرة من **أليعزار بن يهودا** أيضا، حيث لعبت هذه اللجنة دورا حيويا وفعالا في تفعيل دور المؤسسات والجمعيات المعنية، بتعليم ونشر وترقية اللغة العبرية، وقد أسهم بن يهودا في قرارات هذه اللجنة حتى وفاته.وكان هدفها حل المشكلات اللغوية المتعلقة بالتعبير لدى المتخاطبين الأوائل، كما اشتغلت بحل مشكلات التدريس داخل المؤسسات التربوية المتعلقة بالمصطلحات العلمية والتقنية.

ويجدر بنا في هذا السياق، أن ننوه بالدّور الكبير الذي قامت به هذه اللجنة في إحياء وترقية اللغة العبرية في شتى مجالات الحياة، إذ قامت اللجنة على أسس ومبادئ في وضع المصطلحات الجديدة التي تستند إلى مصادر أهمها: **الأدب والمقرا أو المشنا**، وفي حالة عدم وجود الكلمة المناسبة في هذين المصدرين يلجأ إلى اللغات السامية الأخرى، كالآرامية والعربية، فإذا لم يكن ثمة كلمات في هذين المصدرين يتعين عليها خلق أو ابتكار لفظة جديدة وفق قواعد وأبنية الفعل والاسم في اللغة العبرية.

ولقد أُعيد تأسيس هذه اللجنة من طرف اتحاد المعلمين بإشراف **أليعزار بن يهودا**، وانصبت جهودها في توحيد المصطلحات والألفاظ بين اليهود، حيث شرعت اللجة الجديدة في وضع مصطلحات جديدة وإصدار عدد معتبر من القواميس لمصطلحات العلوم المختلفة؛ لتستخدم في المدرسة والبيت كما عملت على إصدار مجلة باسم (**لغتنا**) عام 1929 متخصصة، تُعنى بقضايا ومشكلات

اللغة وإصدار مجلة لغوية أخرى عام 1945م بعنوان (**لغتنا للشعب**).[21] كل هذه المجلات أثرت اللغة العبرية بأساليب وتعابير جديدة،فأصبحت لغة فن وثقافة وعلم.

ت- إيتامار بن آفى (1882- 1943): هو **ابن أليعزار بن يهودا**، ولد في القدس، فكان أوَّل طفل في العصر الحديث يتحدث العبرية منذ مولده، عاد بعد إتمام دراسته في باريس وبرلين إلى فلسطين عام 1904 وعمل صحفياً، وساعد والده في تحرير صحيفتي **(הצבי)(المكان) (האור)(الاستنارة)** وبقى مع أسرته في الولايات المتحدة، أثناء الحرب العالمية الأولى، وفى عام 1915 عاد إلى فلسطين وأسس صحيفة يومية باسم (**דואר היום**) (**بريد اليوم**). كما حرر منذ عام 1924 صحيفة أسبوعية إنجليزية يهودية في القدس، وعمل مراسلا لبعض الصحف الانجليزية والفرنسية.

نشر **إيتامار بن آفى** في حياته عددا كبيراً من المقالات والقصص والأشعار، استحدث فيها كلمات كثيرة لكنّ جزءًا بسيطًا منها هو الذي درج في اللغة العبرية منها:" **אלחוט** (اللاسلكية) **ביות** (تدجين) **דליק חדיש** (الحديثة القابلة للاشتعال) **חממה** (الدفيئة) **כנות** (أمانة) **מברקה** (مكتب تلغراف) **מדינא** (رجل دولة) **מכונית** (سيارة) **מפקדה** (مقر) **מרפאה** (عيادة) **נבזות** (نذالة) **עצמאות** (لاستقلال) **תבוסנות** (انهزامي) **תקדים** (سابقة) **תקרית** (الحادث) **תרשים** (خريطة)".[22] فهذه الألفاظ الجديدة أغنت المعجم اللّغوي العبري.

ث- يهودا جروزوفسكي (1950/1862): يعد هذا العالم من الأوائل الذين أسهموا في وضع أسس تدريس اللّغة العبريّة، حيث ابتكر طريقة تعرف ب(**العبريّة بالعبريّة**) وعمل على تأليف كتب في كيفية تدريسها وتعلمها، ومن الأعمال التي قام بها في هذا المجال، إنجاز مجموعة من القواميس للغة العبريّة حيث ذكر في قواميسه أصل الكلمات حسب العصور، ومن أشهر هذه

القواميس (**قاموس الجيب**) وذلك وضع القواميس الثنائية نحو: (**عبري عربي**) و(**عبري إنجليزي**) وقاموس عبري مصور عام 1939، وقاموس الكلمات الأجنبيّة، كما نشر (**معجم اللّغة العبريّة**)[23] فإن علماء اليّهود أدركوا أن اللّغة تخضع لعملية التجديد والتطوير لكي تواكب التّحولات المعرفيّة وتستجيب لاحتياجات المجتمع، فكانت المعاجم عندهم تخضع لعملية التّحديد والتّحيين والإضافة.

ج- **دفيد يلين (1864- 1941)**: عالم لغوي صهيوني اهتم بدراسة الآداب الشرقية، وكان يجيد اللغة العربية، إذ قام بترجمة كتاب ألف ليلة ولية إلى اللغة العبرية، ويعد من رواد التعليم العبري في فلسطين؛ حيث أسس في القدس أوّل روضة للأطفال تعلم اللغة العبرية، كما أسهم كثيرا في الدراسات اللغوية العبرية وآدابها، وترجم بعض الأعمال الأوربية المشهورة؛ حيث وضع الكتب المدرسية والقواميس وكتب النحو واللغة. ومن أبرز أعماله المعروفة كتاب عن تاريخ النحو العبري صدر عام: 1940م و(**قاموس عبري عبري**) بالاشتراك مع **يهودا جروزوفسكي**.

ح- **إبراهيم المالح(1855- 1967)**: من كبار اللغويين اليهود الشرقيين الذين ظهروا في العصر الحديث شمل نشاطه التعليم والترجمة والصحافة العبرية، كما وضع القواميس باللغتين العبرية والعربية وشارك في تحرير الصحف التي كانت تصدر بالعبرية في فلسطين.

من أبرز إنجازاته تأليف عدة قواميس باللغة العبرية والفرنسية، فقد ألف (**قاموسا عبريا فرنسيا**) في خمسة أجزاء، كما ألف قاموسا (**عبريا عربيا**) وآخر (**عربيا عبريا**).[24] وهذه المعاجم أسهمت في الحفاظ على اللغة العبرية من خلال تزويد المواطن الإسرائيلي بكلمات جديدة تستجيب للحياة الراهنة وتوضح له طريقة نطقها ومجال استعمالها.

4- **آليات ووسائل لإنماء اللّغة العبريّة:** لم يكن إحياء اللّغة العبريّة بالأمر اليّسير والسّهل، بل واجهتها عوائقُ جمَّة تقف أمامها، ولأجل تجاوز هذه المشكلات والعقبات، استخدم اليّهود جملة من الآليات لإنماء اللغة العبرية فتضافرت الجهود كل بحسب مجاله ونشاطه، ومن أبرز المجالات التي أسهمت في تطوير وإنماء اللّغة، تجلت في:

أ- **الأدب العبري وأثره في ترقيّة اللّغة العبريّة** : يعد الأدب من أهم مظاهر التَّعبير عن الحياة الروحيّة والفنيّة والجماليّة لأيٍّ شعبٍ، فهو بمثابة المؤشر على رقيها الثقافيّ والحضاريّ، كما يقدم للغة استخدامات جديدة ومعاني مبتكرة وإكساب ألفاظها معاني أخرى، ومن هذا المنطلق أسهم الأدب العبري في تنمية وترقيّة اللّغة العبريّة لتصير أداة للتعبير عن الأفكار والمعاني الحديثة، ولما كانت اللّغة العبريّة تفتقر إلى ألفاظ وأساليب ومعان جديدة تساير الواقع واحتياجات العصر، اضطر هؤلاء الأدباء إلى استخدام تعابير وألفاظ دخيلة من الكلمات الأوربية، أو ستخدم كلمات مبتكرة من اللغة العبرية؛ حيث أسهم الأدب في إحياء اللّغة العبريّة وتنميتها وإثرائها بمفردات وأساليب، ومن الأدباء الذين لهم الفضل الكبير على اللّغة العبريّة، وقدموا خدمات جليلة لها، نذكر: **بياليك وشيرنحوفسكي وسمولنكين**، ولم يقتصر نشاطهم في أوربا؛ بل هاجروا إلى فلسطين ومارسوا نشاطاتهم الأدبية، فاستفادت اللغة كثيرا من هذه الأعمال مما دفعهم إلى الاعتناء باللغة والعمل على تطويرها.

ب- **اللّغة العبريّة من الوضع إلى الاستعمال:** من أبزر العوامل التي أسهمت في إحياء اللّغة العبريّة هي تحويلها من لغة كتابة وعبادة إلى لغة تخاطب وتكلُّمِ بها في مختلف المواقف الاجتماعيّة. ومن المعلوم لدينا أن الجهود الأولى كانت تعن في المقام الأول باللّغة العبرية كلغة مكتوبة فقط، فالأدب العبري لم يكن بمفرده قادرًا على إحياء اللّغة العبريّة وجعلها لغة حديث؛ هذه الحاجة جعلتهم يهتمون بها لتكون لغة تخاطب وتواصل، وليست مجرد لغة كتابة.[25] فاللّغة في

حقيقة الأمر نظام موضوع لتحقيق أغراض ووظائف اتصاليّة تتطلبها الحياة الاجتماعيّة.

ويعد **أليعزار بن يهودا** من أهم الدعاة الذين نادوا بتخاطب باللّغة العبريّة بين أفراد المجتمع الإسرائيليّ؛ حيث اعتبر استعمال اللّغة يُحقق الهُويّة والانتماء. وفي هذا السّياق يقول: "إذا كنا نريد الحفاظ على الأمة وإذا أردنا أن يكون أبناؤنا عبريين، فعلينا أن نعلمهم اللّغة العبريّة وأن نجعلها اللّغة الأساسيّة في تعليم أبنائنا، علينا أن ننسى أبناءنا وبناتنا اللّغات الأجنبيّة التي مزقتنا إربًا وجعلتنا بلا شعب، عرضتنا لتغامز الأغيار واحتقارهم"[26] . وأدرك ابن يهودا أن تحقيق الملكة اللّغوية لا تكون إلا عبر التّخاطب والتّعامل معها في مختلف المواقف الاجتماعيّة مما يعمق الشّعور بالوحدة وتجسيد الانسجام الاجتماعيّ.

وإنَّ ربط اللّغة بالهُوية والقوميَّة اليّهوديَّة جعل المجتمع الإسرائيليّ يتمسك بهذه اللّغة، وجعلها لغة حياته، وكان بن يهودا يدعو إلى أن إحياء اللّغة العبريّة لا يكون إلاّ على الألسن، وهو المعبر الحقيقيّ للإحياء القوميّ اليهوديّ، وكانت مسألة التّخاطب بالعبريّة بالنسبة له ذات شأن كبير، ولهذا كرَّس جهده وجوهر عمله على جعلها أداة تخاطب وتواصل بين أبناء "الشَّعب الإسرائيليّ"، كما عاهد نفسه أن لا يتكلم إلا باللّغة العبريّة فقط مع أي يهودي يلتقي به، وكان بيته أول بيت يتحدث أبناء أسرته بالعبريّة، ودعا إلى تعليم الإناث اللّغة العبريّة لأنهن أمهات المستقبل، ولقد عمل على تأسيس مدارس خاصة للبنات، من أجل إنجاح هذه الفكرة، كما طالب بن يهودا الشّيوخ وكبار السّن بالمشاركة في التّخاطب والتحّدث باللّغة العبريّة مثله. فالرَّجل أدرك أن اللغة في أصلها وضع واستعمال ولا يكمن أن تتطور وتترقى إلا عبر استخدامها في مختلف مجالات الحياة اليومية وعند جميع فئات المجتمع، وأن تخرج من أوساط النّخبة والمؤسسات التّعليميّة إلى أن تكون أداة تخاطب وتعبير بين النَّاس.

ت- العمل المعجمي: أسهم المعجم العبري في إحياء اللّغة العبريّة، فهو بمثابة الذاكرة اللّغويّة والذي يحفظ ألفاظها من الضياع والنسيان ويزود القراء بمعانيها واستعمالاتها، ولقد كان" أول عمل معجمي يهودي هو كؤُون الفيومي(882- 942)، وهو عالم من علماء اليهود، مصري المولد والنشأة وكان من كبار العلماء بالأكاديمية اليهودية بالعراق، وله معجمان، أحدهما الاكرون، وهو كتاب لغة وشعر، إذ قسمه صاحبه قسمين: قسما رتب فيه اللغة ترتيبًا ألفبائيًا، وقسما رتب فيه القوافي على نفس الطريقة"[27]. كما ظهر معجم آخر اسمه(كتاب السبعين لفظة) وهي كلمات وردت مرة واحدة في التوراة وكان يهود بنُ قريش الظاهري أعد معجما بعنوان (رسالة إلى يهود فاس) ودعا فيه **يهود فاس** إلى استخدام اللّغة الآراميّة التوراتيّة، كما وضح فيه بأن التّوراة تتضمن عددا من اللّغات وكلها مقدسة ويتميز هذا المعجم بأنه يضم كثيرا من الألفاظ العربية والآرامية واللاتينية والبربرية.

ولقد أسهم كبار علماء اللغة العبرية في وضع معاجم مختلفة ف(**مناحم بن سروق**) صاحب كتاب (**الكناشة**) و(**دودناش بن لبراط**) صاحب كتاب (**الأجوبة**) و(**يهودا حيوج**) صاحب كتاب (**الأفعال المعتلة**) وظهر في القرن الثاني عشر (**أبو سليمان داود ابراهام الفاسي**)، وهو أحد كبار المعجميين القرائين ومعجمه هو(**الاكرون**)أو كتاب جامع الألفاظ. قد أسسه على ثنائية الجذر وبناه على مذهب القرائين اليهود، أي الذين لا يقبلون أصلا لليهودية إلا التوراة ويرفضون سائر كتبها الأخرى مثل: التلمود والمدرشيم[28]. واستمرت الحركة المعجمية في تأليف معاجم مثل:معاجم الأفعال، أو معاجم عامة ولقد اتصفت هذه المعاجم بميزات نذكر منها:

✓ تأثرت بالعمل المعجميّ العربيّ، فإنها اتبعت طريقة المعاجم العربية الموسوعيّة والتّرتيب الألفبائي لشرح مفرداتها.

- ✓ كان الهدف من وضع المعاجم هو تفسير الكتاب المقدس، نظرا للجدال الذي وقع بين الربانيين والقرائين حول التأويل القريب والبعيد.
- ✓ لقد اتصفت بعض هذه المعاجم بكونها قائمة على المقارنة بين اللغات؛ لأن اليهود عاشوا ينتقلون بين إسبانيا المسلمة والمسيحية فكانوا يستعملون اللغات القشتالية واللاتينية، واتصلوا باللغات المازيغية ولهذا كانت معاجم مقارنة اللغات بالغة الأهمية والغنى.
- ✓ اعتمدت المعاجم العبرية على اللغة العربية في التفسير والشرح والمقارنة مثل: **معجم ابن برون المسمى بالموازنة.**
- ✓ تجد في بعض هذه المعاجم كلمات وعبارات من اللغات الأوروبية خصوصا معجم **شلمه بن اسحق وشلمه بن فرحون.**
- ✓ خصصت هذه المعاجم قسما للنحو وقسما للمعجم مثل:**(تنقيح) لابن جناح** و**(موازنة) لابن برون ومخلول داود قمحي.**

ومن المعلوم أن هذه الحركة المعجميّة لعبت دورًا كبيرًا في إحياء اللّغة العبريّة والحفاظ عليها من الاندثار والزوال واستفادت هذه المعاجم من اللّغات الأخرى، من ألفاظها ومنهج بناء المعاجم وطريقة ترتيبها وخاصة من اللّغة العربيّة.

ث- أثر التّرجمة في تنمية اللّغة العبريّة: لاشكّ أن التّرجمة هي نافذة نُطِلُّ من خلالها على الثّقافات واللّغات الأخرى، ونعرف ما لديها من الأعمال العلميّة والأدبية، كما أنها تسهم في تفعيل اللّغة المترجم إليها فتزودها ببعض الأساليب والتّراكيب والألفاظ، ومن هذه القيمة للترجمة اتجه علماء اليهود إلى ترجمة الأعمال الأدبية العالمية إلى اللغة العبرية، ولقد ساعدهم هذا العمل على نمو اللغة وتوسيع معانيها وتنويع أساليبها وزيادة ألفاظها؛ فالتّرجمة هي نقل المعاني الموجودة في اللّغة إلى لغة أخرى مع المحافظة على الخصائص الدّلالية والمعرفيّة فظهر جهد المترجم من خلال ابتكار أساليب جديدة تستجيب للنصوص التي يراد ترجمتها، ومن أبرز المساهمين في حركة الترجمة **نذكريياليك**

وتشرنحوفسكي وفريشمان وفيخمان وغيرهم بترجمة الأعمال الأدبية لكبار الكتاب العالميين مثل: **شكسبير وراسين ولسنج وجوته وشيلر** وغيرهم للغة العبرية، وفي هذا السياق يدعو **جدعون توري** إلى ترجمة عبارات، كما هي من اللغات الأخرى لتستخدم في التخاطب بالعبرية.[29] ولنا أن نبرز أثر الترجمة على إغناء اللغة العبرية في:

- ✓ إكساب اللّغة العبريّة سمات الآداب العالمية لكي تصير لغة عالمية.
- ✓ جعل اللّغة العبريّة سهلة وبسيطة وعلمية.
- ✓ فتحت التّرجمة مجالات أدبيّة وعلميّة جديدة على اللغة العبرية حتى تكون لغة العصر.
- ✓ اسهمت التّرجمة في إثراء اللّغة وجعلها مرنة وتوسعت دلالات ألفاظها وعباراتها.
- ✓ تغطية الاحتياجات الثقافية والعلمية والتكنولوجية "للمجتمع الإسرائيلي".

ولنخلص إلى أن التّرجمة لعبت دورًا مهما في تنمية اللّغة العبريّة لمدها بتعابير وتراكيب وأساليب جديدة، بهدف إثراء اللّغة ومتابعة التّطورات الحاصلة في مختلف مناحي الحياة، وتسعى التّرجمة لترقية وتطويع اللّغة لمواكبة الواقع العلميّ والتقنيّ والأدبيّ.

ج- **الاقتراض والاشتقاق والنحت وأثرهم في تنمية اللغة العبرية:**

✓ **الاقتراض اللغوي**: إن اللّغات البّشرية تتفاعل فيما بينها في أشكال متعددة من التّأثير والتّأثر من خلال التّبادلات الثقافيّة المعرفيّة والتِّجاريّة، مما يؤثر على اللّغة، ومن أبرز مظاهر التّفاعل للغة العبرية هو **الاقتراض اللغوي** الذي يعد أهم وسيلة لإنماء اللّغة وإغناء المعجم العبريّ، فهذه الآليّة أضحت مصدرا أساسيًا لتطوير وحماية اللّغة العبريّة؛ حيث أخذت من عدة لغات المصطلحات العلميّة والفنيّة والتّكنولوجيّة التي تنتمي إلى مختلف الميادين

الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة والأدبيّة واللّغوية، من مظاهر الاقتراض اللّغويّ الدّخيل المقترض وهي مجموع الألفاظ التي دخلت اللّغة العبريّة وظلت محتفظة بخصائصها النّحويّة والصّرفية والدّلالية دون أن يلحقها أي تغيير، كما اعتمدت أكاديميّة اللّغة العبريّة هده الوسيلة لإثراء المعجم العبري، فمثلا اصطلاحات المعلوماتيَّة نجدها مأخوذة كما هي من اللّغات الأخرى[30] مثل:

- ✓ Socket (مقبس) [**שקע**]
- ✓ space bar (قضيب المسافة) [**מבהן**].
- ✓ Thick Ethernet (الإنترنيت السميك) [Alintrnett **עבה**].
- ✓ Thin Ethernet (الإنترنيت الرفيع) [Alintrnett **עבה**].

وتعد اللّغة العربيّة والآراميّة والييديش أكثر اللّغات التي اقترضت منها أمّا اللّغات الأخرى فكانت بنسب قليلة، ومن المصطلحات المعلوماتيّة المترجمة الصادرة عن الأكاديميّة في سنة 2004:

العربية	الإنكليزيّة	العبريّة
متصفح مؤشر اختصارات العناوين مقياس(سلم) التوقيت تحويل. انتقال	Browser bookmark Time scale Transfer	**הדפדפן** [دَفْدِيْفَنْ] **סימניה** [سِيمَنِيًا] **זמן בקנה מידה** [سُلَّمْ زِيْمَنْ] **להעביר** [هَعَقرا]

والواضح بأن الاقتراض اللغوي في اللغة العبرية أضحى عاملا أساسيًا في إنماء لتطوير اللغة وإكسابها مصطلحات جديدة.

الاشتقاق: يعد الاشتقاق أداة فعالة نابعة من رحم اللغة، والذي من خلاله يمكن إنشاء وخلق ألفاظ جديدة لمعان مستحدثة، خاضعة لميزان صرفي محدد وتسمى باللغات سلْسليَة (**non_concaténatives**) وهي ميزة تتميز بها اللغات السامية عن غيرها من اللغات الأخرى المنحدرة من الفرعين الجرماني واللاتيني

التي تستخدم السوابق (**préfixes**) واللواحق (**suffixes**) والدواخل (**infixes**) والتي لها طابع السّلْسَلي (**concaténative**) فعمد علماء اللغة العبرية إلى المزج بين السلسلية واللاسلسلية؛ وذلك بمجاراتها للغات الأوروبية في تبني العديد من أنساقها وقوانينها اللغوية[31] ومن الأمثلة نذكر:

مما اشتقته العبرية الحديثة من الجذر(**ח.ש.ב**)[ج.ش.ق] مثلا:

- ✓ **המחשב** [مَحْشِيقْ].......... حَاسُوب.
- ✓ **ממוחשב** [مَحْشِيْقْ].........حَوْسَبَ.
- ✓ **מחשוב** [مِحْشُوقْ]........ حوْسَبَة.
- ✓ **ממוחשב** [مِيْحْشَقْ]......... مُحَوْسَب.

ومن الأمثلة على الأفعال المشتقة من الدخيل التي وردت على وزن [بِعِيلْ] نذكر:

العبرية	الفرنسية	الإنـكليزية	العربية
לנתח [إنْلِيْزْ]	Analyser	To analyse	حلَّلَ
לגרות [كِطِلِيْزْ]	Catalyser	To catalyze	حفزَ
מערכות [إرْغيْن]	Organiser	To organize	نظَّمَ
לכסות [إسْطِيْرْ]	estérifier	To esterify	أَسْتَرَ

التركيب "وهو عبارة عن ضم كلمتين (أو أكثر) إلى بعضها البعض بغية توليد كلمات جديدة مركبة"[32]. فهذه التقنية اللغوية تعتمد على تأليف بين الكلمة، وما يضاف لها من حروف الزوائد (affixe) التي بدورها تحمل دلالة معينة، فتضيف معنى جديدا للكلمة؛ حيث أسهمت هذه العمليَّة في إثراء اللغة بكلمات حديثة، لتحقيق تنمية ذاتية للغة وتجعلها أكثر حيوية وسهولة من قبل مستعمليها من خلال إيجاد تراكيب وصيغ جديدة بين كلمات اللغة بهدف توسيع الدلالة أو خلق معان مبتكرة من خلال هذه التقنية ومثال على ذلك

كلمة: **אנ׳** [بِيْنْ] التي تدل على معنى (ابن)، فعندما تركب مع كلمات أخرى تعطينا معاني جديدة، ومثال ذلك:

الفظ المركب	المعنى الحرف	الدلالة
אני לוהים [بِيْنْ إِيْلُوْهِيمْ]	[ابن اللّٰه]	ملاك
אני אמנה [بِيْنْ - بْرِيتْ]	[ابن العهد/ الميثاق]	حليف
אני גיל [بِيْنْ - غِيلْ]	[ابن السّن / العمر]	قرن
אני בגיל [بِيْنْ - دُوْرْ]	[ابن العصر/ الجيل]	معاصر

✓ **النحت:** "هو توليدية تتم عن طريق المزج بين عنصرين أو أكثر وإلصاقها ببعضها؛ الأمر الذي ينتج عنه عنصر جديد في بنيته الدّالية خصوصا مع الاحتفاظ بدلالة العناصر الأصلية نفسها"[33]. ولقد أشار الدكتور **بلقاسم مگريني** بأن المنحوتات العبرية تُصنف على مستوى المقولات الفعلية والاسمية والوصفية وهي على النحو الأتي:

- ✓ نحت كلمة من فعلين.
- ✓ نحت كلمة من اسمين.
- ✓ نحت كلمة من فعل واسم.
- ✓ نحت كلمة من صفة.

وتبين لنا أن الاقتراض والاشتقاق والنحت وسائل أسهمت في إغناء وإنماء اللغة العبرية مما ساعدها على مواكبة المصطلحات والألفاظ الجديدة.

ح- دور المنظمات وجمعيات المجتمع المدني في ترقية اللّغة العبريّة: لقد أدرك اليهود أن إحياء العبرية لا يتم عبر الجهود الفردية فقط؛ بل لابد من وجود مؤسسات وجمعيات تسهم في تطوير وتنمية هذه اللغة، وفي هذا السياق قامت مؤسسات وجمعيات في أواخر القرن التاسع عشر انصب اهتمامها ونشاطها في بعث اللغة العبرية، والعمل على جعلها لغة علم وتقدم.

ففي روسيا تأسست جمعية تحمل اسم(محبُّو اللغة العبرية) ودعت إلى التكلم والتحدث باللغة العبرية كما نظمت عددا من المحاضرات باللغة العبرية ومارست نشاطاتها في مدن روسيا، كما تأسست جمعية (تربوت) التي عملت على ربط اليهود بالثقافة العبرية، والقيام بأعمال فنية وأدبية ولغوية.

ولقد قامت هذه الجمعيات بأنشطة علمية ولغوية مع المجتمع المدني، من عمال وفلاحين؛ لدراسة اللغة العبرية بهدف جعلها سهلة الاستعمال في النشاط الاقتصادي واليومي.

وتعد جمعية (بعث اليهود) التي أسسها **أليعزار بن يهودا** من أوائل الجمعيات التي سعت إلى إحياء اللغة، من خلال جعل اللغة العبرية أداة تخاطب وتواصل بين المهاجرين اليهود في فلسطين.

كما ظهرت عدة جمعيات تعمل على خدمة العبرية نذكر منها على سبيل المثال:

1- جمعية لجنة إحياء اللغة العبرية التي ترأسها بن يهودا سنة 1890م.

2- تأسيس لجنة اللغة سنة 1910 ولجنة أخرى سنة 1913م.

3- إنشاء صندوق الثقافة العبرية سنة 1914م.

4- جمعية كتيبة المدافعين عن اللّغة العبريّة 1926- 1930م.

5- جمعية أنصار اللّغة العبريّة سنة 1928م.

6- تأسيس مجلس الثقافة العبريّة بالاشتراك مع الجامعة العبريّة سنة 1946م.

7- أكاديميّة اللغة العبريّة التي أقرها **الكنيست الإسرائيلي** عام 1953[34]. فهذه الأكاديمية إحدى أهم المؤسسات العليا للغة في إسرائيل؛ حيث أخذت على عاتقها أهداف مجمع اللّغة العبريّة الذي سبقها، فكان دورها الرئيس هو توجيه تطور اللّغة العبريّة ونحوها بما يوافق روح اللّغة العبريّة على ممر العصور والأجيال، كما تطبق قرارات الأكاديميّة على المؤسسات التعليميّة

والعلميّة والحكوميّة ووزارتها والسّلطات المحلية، ونشرت الأكاديميّة منذ تأسيسها عشرات القواميس للمصطلحات في مختلف المجالات، قواعد التّشكيل، قواعد الكتابة الكاملة، قواعد النّسخ من العبريّة إلى لغة أجنبية أخرى والعكس.

ويمكننا أن نجمل أهم أعمال هذه الجمعيات في ما يلي:

- قامت هذه الجمعية بتنظيم دراسات وبحوث لغوية حول اللّغة العبريّة.
- إعداد المناهج والبرامج والطرائق الدّراسية للمدارس التّربوية.
- بناء المدارس والمكتبات العبرية العامة.
- تنمية الثقافة العبرية من لغة الأدب ونشرها بين اليهود من خلال الأعمال مسرحية والمهرجانات الثقافية وتفعيل المسرح المدرسي من خلال إنشاء مسرح معسكرات الانتقال باستعمال اللغة العبرية.
- إنجاز المعاجم المتخصصة في: الرّياضيات والمعلوماتيّة والطب والهندسة والفضاء والفلك ...إلخ.
- الحفاظ على اللغة العبرية والاهتمام بنشرها.
- العمل على تجميع تراث اللغة العبرية في جميع مراحلها التاريخية التي عرفتها.
- إنجاز بحوث متعلقة ببنية اللغة ودراسة تاريخها والتحولات التي طرأت عليها.
- إقامة مواقع إلكترونية ووضع شبكات المعلومات الدولية[35] نحو:(**http://hebrew-academy.huji.ca.il**).

ولقد عملت أكاديمية اللغة العبرية منذ تأسيسها على فتح جميع الأبواب والقنوات التي من شأنها تقديم خدمة مفيدة للغة. فمن الإصدارات المتعلقة باللغة وتعليمها إلى فتح خط هاتفي مباشر يمكن للناس أن يستفسروا من خلاله عن جميع القضايا اللغوية التي تعترض سبيلهم. كما استثمرت في الوسائل

التكنولوجية المتطورة وإقامة بنوك للألفاظ والمصطلحات والإصدارات التي تقوم بإعدادها لجان متخصصة، كما عملت الأكاديمية على توحيد المصطلحات العلمية والتقنية التي تنتمي إلى جميع حقول المعرفة ومجالات الحياة المختلفة.

❖ **مكانة اللغة العبرية في السياسات الحكومية لإسرائيل:** أصبحت اللّغة العبريّة في واقع "المجتمع الإسرائيلي" لها مكانة خاصة في المشهد السّياسي لكونها الحاملة لهُوية قومية جديدة، إذ سعت الحكومة الإسرائيلية منذ البداية إلى فرض اللغة العبرية على "المجتمع الإسرائيلي" الجديد، وعملت على تهميش الهويات واللغات التي جاءت مع المهاجرين اليهود إلى فلسطين، من خلال إجبارية تعلم اللغة العبرية كما تعالت أصوات تنادي بأحادية اللغة "لإسرائيل" أي لغة واحدة لشعب واحد، ومن هذه الأصوات صوتا: **سبولسكي، وشوهامي** سنة 1999، فهما يدعوان إلى أن تكون العبرية هي اللّغة الوحيدة والتي يجب أن تسيطر على المجالات العامة، كما تمكنت الحكومة من استيعاب التنوع اللغوي في "المجتمع الإسرائيلي"؛ إذ وجد أكثر من 33 لغة حية، حيث يوجد حوالي أربعة ملايين ونصف مليون إسرائيلي الآن يتمتعون بكفاءة وظيفية باللغة العبرية؛ حيث أسهمت هذه اللغة بدور أساس في تفعيل الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة وتنشيط النَّشاطات العلميّة والثقافيّة، مما ساعد على تحويلها من لغة تستخدم للصلاة والعبادات الدّينية إلى لغة تواصليّة بين أفراد المجتمع الإسرائيليّ. وتسعى الحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة دائمًا إلى إعلاء شأن اللّغة العبريّة وفرضها على الحياة العامة، وجعلها في جميع المؤسسات الحكوميّة والمدارس والجيش، كما عملت على فرضها في الجامعات وأن تدرس بها مختلف العلوم، كما سعت هذه الحكومات على تمكين اللّغة العبريّة من خلال وضع رؤية سياسيّة لغويّة تستوعب الاحتجاجات الثّقافيّة والمعرفيّة لتعزيز مكانة اللّغة العبرية. ومن أهم الإجراءات الحكومية التي أخذتها نذكر:

1- **التّشريع اللّغويّ**: إنَّ التّشريع اللّغويّ مسألة في غاية الأهميّة؛ كونه تحمي الهُويّة من هيّمنة اللّغات الأجنبيّة، وتعزّز الشّعور بالانتماء، وتُسهم في إيجاد توافق سياسيّ وثقافيّ واجتماعيّ داخل "الدّولة"، لذا أخذت الحكومات الإسرائيلّية المتعاقبة تُشدّد على استعمال اللّغة العبريّة في مختلف مناحي الحياة من خلال سنّ نصوص قانونيّة تشمل جميع قطاعات المجتمع ومؤسساته المختلفة. وفي عام 1948م قام **الكنست الإسرائيلي** بإصدار مرسوم يلغي اللّغة الإنكليزية كلغة رسميّة ويبقي اللّغتين العبريّة والعربيّة وجعلهما لغتين رسميتين "لدولة إسرائيل"؛ حيث نصّ التّشريع على تعزيز مكانة اللّغة العبريّة على اللّغة العربيّة وقد تأتى ذلك من خلال الأساليب والوسائل التّالية:

- ✓ استخدام اللّغة العبريّة في المدارس العبريّة وجعلها لغة تدريس، ومن ثم تدريس اللّغة العبريّة للطّلاب العرب وجعلها ماده إلزامية يجبر الطّالب على تعلمها والتّمكن منها إضافة إلى جعلها لغة التّدريس في الجامعات الإسرائيلية، وفتح الأقسام المختلفة التي تقوم بالحفاظ على اللّغة العبريّة وعلى اللّغة والثقافة في "دولة إسرائيل".

- ✓ وضع اللافتات العموميّة في الشّوارع وفي المؤسسات الحكوميّة باللّغة العبريّة. وهذا ما جعل اللّغة العبريّة المهيمنة والمسيطرة في "دولة إسرائيل"؛ لأن اللّغة في اللافتات ليست وسيلة اتصال، بل أيضًا أداة لنقل الثقافة والحضارة كما تسهم في منح اللّغة العبريّة سلطة قوية في الدّولة.

- ✓ إلزامية استخدام اللّغة العبريّة في المؤسسات الحكوميّة وهي لغة التّواصل بين المواطن والمؤسسة فتتم المحادثة أو المكاتبة باللّغة العبريّة، وهو ما جعل اللّغة العربيّة محصورة فقط في حيّز خاص جدًا وهو الحيز الضيق في القرى والمدن العربيّة.

- ✓ جعل اللّغة العبريّة لغة أساسًا في التّعليم العالي ومعرفتها شرط أساس من أجل الانتساب إلى الجامعة أو الكليّة بشكل خاص، أما اللّغة العربيّة فهي

لا تشترَط في الجامعة إلا في قسم اللّغة العربي، وهذا يبيّن أن اللّغة العبريّة هي المهيمنة والمسيطرة في "دولة إسرائيل".

✓ العمل على جعل اللّغة العبريّة شرطًا من أجل أخذ المواطنة الإسرائيليّة، وذلك حسب قانون المواطنة الذي صدر في عام 1951، ونصّ على منح اللّغة العبريّة مكانة عالية وجعلها شرطًا من أجل الحصول على المواطنة.

✓ جعل اللّغة العبريّة اللّغة الرّسمية الأولى في الدّولة؛ حيث أن الاستخدام المطلق للغة العبريّة في مؤسسات الدّولة يؤكد حقيقة أن اللّغة العبريّة هي اللّغة الأساسيّة وصاحبة الهيمنة المطلقة في الدّولة[36]، ولقد اتخذت كذلك جميع الوسائل والإجراءات القانونية لتضييق الخناق على اللغة العربية وفق ما يحقق لها الأمن اللغوي داخل "إسرائيل"، وسعت بكل الأساليب لكي لا تعطي لها مكانتها اللائقة بها؛ فرسمية اللّغة العربيّة مقتصرة على الإعلان دون التّنفيذ وهذا ما يسمى **بالسّياسة اللّغويّة المعلنة**.

وفي واقع الأمر لم يكن فرض اللّغة العبريّة أمرا سهلا أمام الحكومة نظرا لوجود مشكلات لغوية تقف عائقًا أمام تطورها؛ حيث توجد لغات أخرى تنافسها؛ كاللغة اليّديشيّة واللغة الإنكليزية والعربية، وكذلك تعدد ثقافات الجماعات اليّهوديّة التي تحمل معها عادات نطقية اعتادت عليها في بلدها الأصلي، وفي هذا السّياق يشير **أحمد شحلان** إلى خطورة هذه المسألة في تقديمه كتاب (**الوافي في نحو اللغة العبرية**) لإدريسٍ؛ حيث يرى أن اللغة العبرية أصبحت تعيش اليوم تناقضًا كبيرًا لا تراه العين أيضا. إذ تعود العبرية إلى الحياة فتعاني من سوء النطق وتعاني من مشكلة الكتابة وتعاني من بعض غربة اللسان غربة لها خطورتها؛ لأن تغيير الصّوت نطقًا وكتابة قد يغير من المعاني وتشويش المعاني قد يربك أداة التواصل التي من أجلها كانت اللغة، مما صعب عمل الحكومات على تطبيق سياستها اللغوية في "إسرائيل".

2- **السّياسية الإعلاميّة وأثرها في نشر اللغة العبرية:** إنَّ المشهد الإعلامي في إسرائيل اتخذ أشكالا من التنوع والتعدد يتوزع بين الإعلام السمعي البصري والمكتوب؛ حيث سمح المشرع الإسرائيليّ بفتح المجال للقطاع العام والقطاع الخاص بإنشاء قنوات فضائية وإذاعية، قصد ضمان تنمية لغوية شاملة، كما تتوفر لدى إسرائيل إمكانات ووسائل جدّ متطورة في هذا الميدان؛ حيث أسهمت هذه التقنيات الحديثة في تفعيل اللغة في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية وتطويعها وتبسيطها للجمهور، كما ظهر عدد لا بأس به من الصحف اليومية التي تصدر باللّغة العبريّة مثل: **هآرتس يديعوت، أحرونوت، معاريف...إلخ**، مما جعلها ذات قيمة ومكانة في المجتمع الإسرائيليّ، إذ وفرت الحكومات المتعاقبة إمكانات ضخمة؛ تمثلت في إنشاء مؤسسات الطّباعة ودور النشر التي زودت بأحدث التقنيات المتطورة، فكان غرضها الأساس من توفير هذه الوسائل هو تحقيق انتشار واسع للّغة وتعزيز تواجدها بين اليهود، ويمكننا أن نوجز هذه الإمكانات في:

- ✓ امتلاك إسرائيل صاروخاً لحمل الأقمار الصناعية إلى مداراتها.
- ✓ استغلال إسرائيل للتكنولوجيا الغربيّة التي وضعت تحت تصرفها من دون شروط في تصنيع أقمارها الصناعية وإطلاقها ودخولها عصر التصنيع الفضائي وتكنولوجيا الاتصال.
- ✓ قيام الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بالقدرات التّكنولوجية الاتصالية المتنوعة وتدريب الطواقم العلمية والفنية العاملة في الأبحاث والمختبرات الفضائية.
- ✓ اطلاع إسرائيل على المشاريع الخاصة بتكنولوجيا الأقمار الصناعية الأمريكية.
- ✓ تأسيس معهد للعلوم الفضائية التابع لجامعة تل أبيب والذي أجريت فيه تجارب علمية حول الصواريخ وتحضير الوقود الصلب والسائل فضلاً عن

الأبحاث في فروع العلوم الفيزيائية والفضائية وتأسيس وكالة الفضاء الإسرائيلية التي تعتبر هيئة مقابلة للكنيست، كما تعتبر لجنتها المركزية مقابلة للحكومة من حيث علاقتها برئاسة "الدولة".[37] وكل هذه الإمكانات ساعدت بشكل كبير على تحقيق تواصل لغوي واسع بين فئات "المجتمع الإسرائيليّ"، وجعل اللغة العبرية تتفوق على جميع اللّغات التي كانت تنافسها داخل "إسرائيل".

3- **منهاج تعليم اللغة العبرية في "إسرائيل"**: إن الحديث عن تعليم اللغة العبرية من خلال منهاج اللغة العبريّة في المؤسسات التربوية يقودنا إلى إبراز الأهداف العامة للمنهاج وتتمثل في:

- ✓ تأكيد المنهاج على أهمية مهارات الاستماع والتحدث والكتابة وفهم المقروء.
- ✓ التأكيد على اللغة الوظيفيّة وتعليم القواعد من خلال سياقاتها وليست كقوالب لغوية مجردة.
- ✓ يهدف المنهاج إلى تحقيق الملكة التواصليّة للغة، وتحقيق الأغراض المختلفة للغة العبرية.
- ✓ يسعى المنهاج إلى تحقيق الترابط والاستمرارية بين المراحل العمرية المختلفة والنظر إلى اللغة كظاهرة متطورة.[38] ولقد حرص منهاج اللّغة العبريّة في المؤسسات التّربويّة في إسرائيل بصفة عامة على تعزيز مكانة اللّغة العبرية في الحياة الاجتماعيّة والعلميّة والثقافيّة، والتّأكيد على الوظائف الاتصاليّة للغة ويركز اللّغويون البارزون في إسرائيل على الوظيفة الأساسيّة للمنهاج وهي تحقيق تربية لغوية في سياقاتها الشموليّة، وجعل اللّغة أداة للتواصل في الحياة العامة كما اهتم بتمكين الملكة التّواصلية والكتابيّة أكثر من الاهتمام بقضايا الأدب والثقافة. ومما يجدر الإلماح إليه هو أن المنظومة التربوية في إسرائيل تأسست على التّعاليم التّوراتيّة، وهذا ما نلمسه من مقالة لـ**:نيكولاي بوديه**

(Nikolai Beaudet) التي نُشرت في جريدة **لوموند (Le monde)** بتاريخ 30 أفريل 1967م، والتي مفادها: (**وفي ظرف الثماني سنوات يستغرقها التّعليم الإجباري أي الابتدائي يكون التلميذ الإسرائيلي قد قرأ وفهم التوراة تقريبا من ألفها إلى يائها وحفظ منها جزءًا وتعود على شروح أهمّ مفسريها**) فهذا النّص يبين الأسس الدِّينية التي قامت عليها المنظومة التّربوية في إسرائيل والتي تسهم في إضفاء صفة القداسة والمشروعيّة على اللّغة العبريّة، مما يجعلها محل اهتمام لدى جميع الشّعب الإسرائيليّ.

ومما سبق ذكره يمكننا أن نستشف **سرّ نجاح التّجربة** اليّهوديّة في إحياء اللّغة العبريّة والتي وجدتها تكمن في:

- ✓ ربط اللّغة العبريّة بلغة التّوراة أكسبها بعدا روحيًا مما هيأ الجماعات اليّهوديّة إلى تقبلها، والعمل على إحيائها وترقيتها، وجعلها أداة للتّواصل الثقافي والحضاريّ.
- ✓ مساهمة الأفراد والجماعات والهيئات وجهات رسمية وغير رسمية في إعادة "دورها الحضاريّ" وهذا الأمر جعلها مسألة الجميع؛ أي لم تقتصر عملية الإحياء على شخص أو هيئة بعينها، بل أصبحت قضية قومية ووطنية.
- ✓ اتخذت اللّغة العبريّة الحديثة من التّخطيط اللّغوي؛ الذي أسهم بشكل كبير في إنجاح هذه التّجربة على ثلاث مراحل تتمثل في:

1- "مرحلة الإحياء 1890- 1916..

2- مرحلة التّوحيد اللّغوي (standardisation) ونشر اللغة 1916- 1948.

3- مرحلة تحديث المفردات:1948 إلى الآن"[39]. فهذه المراحل التي مرت بها عملية الإحياء للغة العبريّة كانت تعبر عن رؤية يهودية في تخطيطهم للغة العبريّة؛ فهم انطلقوا في الإحياء بعد أن تكون لديهم تخطيط لغوي واضح ومتكامل في إطار مشروع بناء الدّولة اليّهودية في فلسطين.

- ✓ وجود تخطيط عام ينظم عملية الإحياء وخاصة في المرحلة الأولى وهذا من النّاحية النّظريّة واستند التّخطيط اللّغوي إلى المصادر اللّغوية الآتية[40]: لغة التوراة **ولغة التلمود والمِدْرَشِيم** والآداب الحديثة والألفاظ والعبارات الأجنبية.
- ✓ أخذت اللغة العبرية من اللغة العربية خاصة أشكال تركيب الجملة العربية، كما أن المعجم العربي أمدّ العبرية بعدد كبير من الألفاظ بعضها كما هو، وبعضها ترجم معناه إلى اللغة العبرية.

إنَّ إحياء اللّغة العبريّة ودخولها في الحياة اليّومية أضحت عنصرًا أساسًا في تغير المشهد السياسي والثقافي والاجتماعي في "إسرائيل"، بفضل الجهود المبذولة من قبل المؤسسات المجتمع المدنيّ، حيث أصبحت اللّغة العبريّ اللغة وسيلة تواصل بين أفراد "المجتمع الإسرائيليّ"، فالجهود التي بُذلت لم تكن عادية، بل يمكن وصفها بأنها إعادة اختلاق اللغة العبرية من جديد.

الخاتمة: أضحت اللّغة العبريّة اليوم لغة فكر وأداة التعبير عن المنجزات العلميّة والأدبيّة والثقافيّة للمجتمع الإسرائيلي حتى غدت المعجزة أو الاستثناء اللّغوي دون باقي اللّغات الأخرى، فأصبحت لغة متحركة نامية تتجاوب مع الحراك العلميّ والثقافيّ الرّاهن، وتواكب المستجدات الحضاريّة، وتكيفها مع مقتضيات هذا العصر، بعدما كانت ضعيفة ومحدودة في ألفاظها وتصاريفها وأساليب تعبيراتها التي تسود في أماكن محددة، حتى صنفت ضمن اللّغات شبه الميتة، وفي غضون فترة وجيزة من الزمن أخذت هذه اللّغة مكانتها، في مسايرتها للواقع المعرفيّ، وتلبي الاحتياجات الرّاهنة في مختلف مناحي الحياة العلميّة والفكريّة والثقافيّة، بالرغم من الظروف الصّعبة التي مرت بها، والتي لم تشهد مثلها لغة أخرى، كما عملت جملة من العوامل والآليات التي أسهمت في إحياء اللّغة العبريّة وتطورها وإنمائها تمثلت في: ظهور الحركة التّنويرية والجمعيات والصِحافة والعمل المعجميّ والنّشاطات المسرحية وتطوير مناهج تعليم اللّغة العبريّة، والعمل على تيسير تعلُمها من خلال تحسين الكتاب المدرسي

وتجديد طرائق التعليم وتكوين المعلم وفق أسس علمية، كما شَكَل الاقتراض اللّغوي الأساس الأوّل في تنمية اللغة العبرية على مستواها الداخلي، إلى جانب الاشتقاق والنّحت والتّركيب والمجاز والتّرجمة وغيرها في إثراء المتن اللغوي العبريّ، كما تضافرت المؤسسات اللّغوية والإعلاميّة وجمعيات المجتمع المدني بهدف جعلها لغة هوية وفكر، وأداة تعبير عن مقتضيات الحياة اليّهودية بمختلف مظاهرها.

وإنّي لأروم من الباحثين الدّارسين ومن صَانعيّ القرار السَّياسيّ أن يستفيدوا من تاريخ تجارب الأمم في إحياء وإنماء وتطوير لغتهم، وأن يقوموا بدراستها وتتبع خطواتها ومنطلقاتها وأسسها العلميّة التي بنيت عليها لاستفادتها منها في التّخطيط اللّغوي وتنمية وتطوير اللّغة العربيّة واستلهام العبر من هذه التّجارب النّاجحة. قصد استكناه أبعادها. ومن خلال هذه الرّحلة الشّائقة مع تجربة "المجتمع الإسرائيليّ" في إحياء العبريّة استخلصت جملة من الأسس التي أرى أنَّها تسهم في النّهوض باللّغة العربيّة وتمثلت في :

- ✓ اعتبار اللّغة أداة لوحدة الأمة وبها يتحقق وجودنا الحضاري بين الأمم
- ✓ الإيمان بضرورة العمل المشترك لترقيّة اللّغة العربيّة بين جميع مؤسسات وجمعيات المجتمع المدنيّ.
- ✓ تفعيل دور جمعيات المجتمع المدنيّ بمختلف تخصصاتها وطبيعتها بهدف تطوير اللّغة العربيّة.
- ✓ وجود إرادة سياسيّة تعمل على حفظ اللّغة العربيَّة وربطها بالتَّنمية الشَّاملة.
- ✓ وضع استراتيجيات لتنمية اللّغة العربيّة في شتى مجالات الحياة.
- ✓ العمل على تطوير وتفعيل مؤسسات التّخطيط اللّغوي في الدّول العربيّة.

- ✓ التّنسيق والتّكامل بين المجامع اللّغويَّة والمؤسسات التي تعمل على ترقية اللّغة العربيّة.
- ✓ خلق وسائل جديدة تعمل على إنماء وإغناء اللّغة العربيّة.
- ✓ تفعيل وتطوير التّرجمة.
- ✓ استثمار وسائل وتقنيات الاتصال الحديثة في تنمية اللّغة العربيّة.
- ✓ ضرورة الارتقاء بالعمل المعجمي و تطوير الصناعة المعجميّة.

الهوامـش:

♦- تعني كلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عَبَر، بمعني قطع الطريق أو عَبر الوادي، وكل هذه المعاني نجدها في هذا الفعل سواء في العربية أو العبرية، وهي في مجملها تدل على التجول والتنقل الذي هو أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية؛ فكلمة عبري مثل كلمة بدوي، أي ساكن الصحراء والبادية.

♥- تطلق كلمة **السامية** على جملة من اللغات التي كانت شائعة منذ أزمان بعيدة في بلاد آسيا وإفريقيا سواء عفت آثارها أو ما تزال باقية وأول من استخدم هدا المصطلح هو شلوتسلو (shlozer) في تحقيقاته في تاريخ الأمم الغابرة سنة 1981 ق.م.

1- ينظر، إسرائيل ولفنسون (ابودؤيب) تاريخ اللغات السامية، ط1. بيروت:1980، دار القلم.

2- أحمد شحلان"المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوي" مجلة اللسان العربي. الرباط:1992، مكتب تنسيق التعريب، العدد36، ص131.

3- محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، ط1. القاهرة د س، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص167.

4- بلقاسم مگريني، كيف أغنى اليهود لغتهم دراسة في وسائل إنماء اللغة العبرية الحديثة، ط1. المملكة المغربية:2008م، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، ص19.

♦- **المشنا:** وتعني التثنية والترديد وهي كلمة تطلق على مجموعة من التشريعات التي صنفت في القرن الثاني الميلادي بعدما كانت نصوصا شفهية ومعناه تكرار التعاليم.

♣- معنى كلمة **التلمود** في اللغة العبرية هو الدراسة، وهو مؤلف واسع يضم الأدب الديني اليهودي ويشمل حقبة تاريخية تبدأ من القرن الثالث إلى القرن الخامس الميلادي وهدفه بالشريعة الشفهية التي تأتي تكملة لتعاليم الشريعة المدونة أو التوراة.

5- بلقاسم مگريني، كيف أغنى اليهود لغتهم، ص21.

6- المرجع نفسه، ص22.

7- أحمد شحلان" المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوي"مجلة اللسان العربي الرباط:1991، مكتب التنسيق والتعريب، العدد: 36، ص132.

8- بلقاسم مگريني، كيف أغنى اليهود لغتهم، ص29.

*- **هسكلاه:** هي كلمة عبرية مشتقة من الجدر العبري (سيخيل) ومعناه عقل أو ذكاء ثم اشتقت كلمة (سيكيل) بمعنى نور ثم استخدمت الكلمة بمعنى استنارة والاسم منها (مسكيل) وجمعه (مسكليم).

9- بلقاسم مگريني، كيف أغنى اليهود لغتهم، ص35.

10- سناء عبد اللطيف حسين صبر، الجيتو اليهودي، رسالة الماجستير، جامعة عين شمس: 1983، ص213.

•- **اللادينو:** لغة متطورة عن الاسبانية وقد دخلتها كلمات عبرية كثيرة تدل بصفة خاصة على معان دينية وروحية واجتماعية وكتب بحروف عبرية بخط راشي.

11- محمد أمارة، اللغة العربية في إسرائيل سياقات وتحديات، ط1. الأردن:2010، دار الهدى ودراسات دار الفكر ص23.

12- بلقاسم مگريني، كيف أغنى اليهود لغتهم، ص38-39.

♥♥- **مصطلح الاستنارة:** هو للإشارة إلى الحركة اليهودية المعروفة التي قام بها بعض المفكرين الغربيين اليهود لإحياء التراث العبري.

13- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية مجلد3، ط2. القاهرة: 2006 دار الشروق، ص85.

14- عبد الفتاح نازك، أضواء على الأدب العبري الحديث، ط1. القاهرة: 1988، دار المعارف ص7.

15- ينظر يوسف كلاوزنز، الموجز في تاريخ الأدب العبري، تر: إسحاق شموش، د.ط. فلسطين: 1986، دار المعارف.

16- مأخوذ من موقع الإنترنيت: www.ebnlokman.com/vb/showthrea. تاريخ الإطلاع على الموقع : 14 مارس2011م.

17- المرجع نفسه.

18- المرجع نفسه.

19- السيد إسماعيل السروي" فلسفة العبرية وعلاقتها بالمشروع الثقافي الصهيوني" مجلة العدد: 10، القاهرة :2001 رسالة المشرق مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ص243.

20- ينظر موقع الإنترنيت www.arabjo.nede/inde. تاريخ الإطلاع على الموقع: 22 أفريل 2011م.

21- محمد أحمد صالح حسين"الجهود اللغة العبرية وجهود الصهيونية لإحيائها" مجلة جامعة الملك سعود، العربية السعودية: 1426هـ/2005م، كلية اللغات والترجمة، العدد:18، ص25.

22- المرجع نفسه، ص28.

23- محمد أحمد صالح حسين" اللغة العبرية والجهود الصهيونية لإحيائها" مجلة جامعة الملك سعود، ص29.

24- المصدر نفسه، ص30.

25- ينظر: رشاد الشامي، تطور خصائص اللغة العبرية: القديمة والوسيطة والحديثة، دط. القاهرة: 1978م، مكتبة سعيد رأفت.

26- محمد أحمد صالح حسين "اللغة العبرية والجهود الصهيونية لإحيائها" مجلة جامعة الملك سعود، ص18.

27- أحمد شحلان"المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوية" مجلة اللسان العربي. الرباط:1992، مكتب تنسيق التعريب، العدد36، ص134.

28- أحمد شحلان"المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوية" مجلة اللسان العربي ص135.

29- محمد أحمد صالح حسين"اللغة العبرية والجهود الصهيونية لإحيائها" مجلة جامعة الملك سعود، الرياض: 1426-2005م، المجلد الثامن عشر، ص22.

30 – بلقاسم مگريني، كيف أغنى اليهود لغتهم، ص29.

31- المرجع نفسه، ص115.

32 المرجع نفسه، ص119.

33- المرجع نفسه، ص125.

34- أحمد شحلان "المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوي"مجلة اللسان العربي ص138-139.

35- بلقاسم مگريني، كيف أغنى اليهود لغتهم، ص47.

36 - ينظر موقع الإنترنيت http://www.islamweb.net/media/index تاريخ الإطلاع على الموقع 2011/04/22

37- ينظر موقع الإنترنيت: http://www.islamweb.net/ver2/archive/readArt تاريخ الإطلاع على الموقع:2011/5/22

38- ينظر: محمد أمارة، اللغة العربية في إسرائيل، سياقات وتحديات، ط1. الأردن: 2010، دار الهدى والدراسات.

39– عبد الكريم بوفرة "تخطيط العبرية الحديثة" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1994، مكتب تنسيق التعريب، العدد: 38 ص167.

40 – أحمد شحلان "المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوي" مجلة اللسان العربي، ص131.

التجربة اليابانية في إحياءِ لُغتِها

بلقاسم منصوري

جامعة تيزي وزو

مقدّمة: تعتبر اليابان في عصرنا الحالي مثالا يقتدي به، نظرا لما حققته من تقدم في مجالات مختلفة، أضحت تنافس كبرى الدول الغربية في العلم والتكنولوجيا، حيث استطاع ذلك البلد المحدود طبيعيا، والمدمَّر اقتصاديا في الحرب العالمية الثانية، أن يحتل مكانة مؤثرة في الاقتصاد العالمي، والمدهش أنّ هذا التطور تم في فترة يعتبرها الخبراء قياسية، بل يصفها بعضهم بالمعجزة. وكان للندرة في الموارد الطبيعية، وتعرض اليابان الدائم للبراكين والفيضانات أهم الحوافز لإبراز قدرات الشعب الياباني، الذي يؤمن بالمبدأ الكونفوشيوسي "بأنَّ ما يأتي سهلا في الحياة لا يمثل فضيلة، وأهم شيء في العمل هو المشقة والإخلاص"، إنّ الطبيعة والجغرافيا تمثلان واحدة من أهم مفاتيح فهم الشخصية اليابانية، البسيطة بساطة مناظرها، والثائرة ثوران براكينها، والنشيطة نشاط زلازلها.

وتعجبون لو قلنا لكم إنّ اليابان التي أصبحت تمثل قوة اقتصادية عظمى ثالثة بعد الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، مساحتها ثلث مساحة الجزائر، و80 ٪ منها جبلية، كما أنَّ اليابان تستورد 99,8 ٪ من بترولها من الخارج، خاصة من الدول العربية وإيران التي تمدها بحوالي 91 ٪ من هذا البترول، وتعجبون أكثر إذا علمتم إنّ اليابان رغم إمكاناتها التي لا تؤهلها حتى للبقاء نهضت وقامت كالعملاق واستطاعت خلال ربع قرن من الزمن أن تلملم جراحها، وتقيم ثورة صناعية لم يسبق لها مثيل لتدخل في مصاف

الدول العظمى في السبعينات، وتقبل التحدي والاختبار الصعب، والأكثر من ذلك أن تصبح قوة عظمى، لنجد أنفسنا أمام معجزة بكل المقاييس.

ولعل ارتباط اللّغة بحركات التقدم العلمي والحضاري عموما، جعل الكثير من الدارسين يرجع سبب نهضة اليابان إلى الحفاظ على لغتها، والاعتماد عليها في نظمها التعليمية، باعتبار اللّغة وعاء للثقافة والفكر والمعرفة، ووسيلة للنهضة والتنمية البشرية، وقناة للتواصل مع تراث الأمة، و التواصل مع الآخر إلى جانب أنّ اللّغة تحافظ على الثقافة والهوية الأصلية للأمة. وتعتبر التجربة اليابانية من التجارب الحية والناجحة؛ فهي أول دولة غير أوروبية استطاعت أن تحقق نهضتها، وفي الوقت نفسه أن تحتفظ بهويتها الثقافية الأصيلة، ولا ضير أن نستفيد منها، أو حتى من اليهود إن كانت تصب في إنائنا، وإن كانت غير ذلك فعلينا أن نفرزها إفرازا حسنا، يتلاءم مع طبيعتنا، وعقيدتنا وإطارنا الحضاري.

وانطلاقا من هذه المعطيات شكّلت **التجربة اليابانية في إحياء لغتها** موضوع دراستنا بكل ما تحمله من تناقضات تنبعث من صلب الشخصية اليابانية المحافظة على تراثها وقوميتها، مع الاقتباس من الغير وإخضاعه لما يناسبها، وبكل ما يتجلى فيها من دروس وعبر، يمكن أن تسهم في انطلاقة قوية مبنية على أسس متينة وسليمة للّغة العربية، ولعلّ استثمار مثل هذه التجارب في وطننا العربي يوقف سيطرة اللّغات الأجنبية التي أضحت تحظى بمكانة ربما أفضل من لغتنا العربية، ولعلّنا نستيقظ من سباتنا، ونثوب إلى رشدنا، وقد كنا ذات يوم (**خَيرَ أُمةٍ أُخرِجَت للنَّاسِ**) ومن هنا نتساءل عن سر هذه التجربة الفريدة من نوعها؟ وما هي العوامل التي أسهمت في إحياء اللّغة اليابانية؟ وكيف استطاعت اليابان أن تحافظ على لغتها على الرغم من ولوج الثقافات الأجنبية إليها؟ وهل يمكن للعرب أن يستفيدوا ويعتبروا من هذه التجربة الرائدة؟

أسباب النهضة اليابانية: استطاعت اليابان أن تحقق نهضة متميزة غيرت إثرها رسم خريطة القوى العالمية منذ القرن التاسع عشر حتى الآن، وهي التجربة الأولى خارج تجارب التحديث الغربية التي حيرت الدارسين؛ التجربة الرائدة في إقامة التوازن بين التراث والمعاصرة، بين الأنا والآخر، بين النزعة الإمبريالية والانفتاح على الغير، بين الاستثمار في الصناعة والتكنولوجيا والاهتمام بالفرد باعتباره رأسمال حقيقي في التنمية، ومن بين الأسباب التي نراها وراء هذه النهضة ما يلي:

1- **عامل الأصالة:** إنّ من بين أهم العوامل التي أثّرت على الثقافة اليابانية منذ القدم، الظروف الجغرافية، فعزلة جزرها، كفل لها حماية طبيعية في العصور القديمة والوسطى، وقلّل احتكاك اليابانيين بالثقافات الأجنبية وكانت هذه العزلة سببا في تكوين أهم خاصية للثقافة اليابانية، وهي الشعور بالتمايز والتميّز عن بقية شعوب العالم، يضاف إلى ذلك اعتقادهم بأنّ بلادهم هي الابن البكر للآلهة، وإنّ الحفاظ عليها واجب مقدس، أليست اليابان كما يعتقدون أعظم بلاد الدنيا؟

ولقد حافظ اليابانيون على تراثهم وثقافتهم ولغتهم، بالتصدي لمضامين الثقافة الغربية الوافدة إثر عملية الانفتاح على الغرب عندما بدؤوا في ترجمة العلوم والمعارف الغربية، وكان رد الفعل الياباني قويا بإطلاق الروح القومية اليابانية، وسعيها لفرض سيطرتها على القارة الآسيوية، "خاصة بعد انتصارها عل روسيا عام 1905م، الذي أدى إلى المزيد من التمسك بالتراث، والثقافة اليابانية، وإلى مزيد من الثقة في القدرة اليابانية" [1]، واقتنعوا في الأخير بأنّ اليابان تحمل رسالة إلى العالم، لأنهم بالفعل متميزون ومميزون عن باقي شعوب العالم، وعلى هذا الأساس انطلقوا في البناء، و التشييد لإقامة دولة عظمى.

كما يعتقد بعض الدارسين أنّ ثقافة اليابان ذات تاريخ مثير، وأدب رقيق وتقاليد مثيرة للفضول ومعتقدات دينية راسخة، فهي ظلت ولقرون طويلة موصدة

الأبـواب أمـام المـؤثرات الأجنبيـة المتبادلـة بـين الشـعوب، وإنّ انغـلاق اليابـان علـى نفسها منـع اليابـانيين مـن السـفر إلى الخـارج، والاحتكـاك بـالآخر لتجنـب التـأثر بالمناهج والأفكار الغربية، فهذه العزلة ساعدت وبشكل فعّال في خلق نوع من التجانس بين الشعب الياباني.

ومن الحقائق المؤكدة ثقافيا أنّ اليابان إن هي إلا إحدى روافد الحضارة الصينية الأم، ويلمس المرء أكثر من وجه للتأثر، رغم العزلة القوية التي سمحت بالإبقاء على القيم الحضارية اليابانية الأصيلة إلا أنها تجاوزت النماذج المستعارة.

ويروق لبعض المفكرين القول بأن اليابانيين مجرد عنصر مولع بالتقليد لكن الحقيقة أكّدت خلاف ذلك فهم كانوا على وعي كبير بأخذهم للأنماط الحضارية الأجنبية، لذا عمدوا إلى مزج هذه الحضارات مزجا فريدا من نوعه لم يسبق له مثيل، وأخضعوها للظروف اليابانية الوطنية، "والدليل على ذلك اللباس التقليدي الياباني، وفن الطبخ، وفنهم المعماري، وأسلوب حياتهم اليومية، مما يجعل المرء يقتنع بأن الشخص الياباني لا تنقصه القدرة على الإبداع والابتكار ونحن لم نعد نجد في أي بلد آخر تلك الحصر السميكة المصنوعة من القش والمستعملة في تغطية الأرض" [2]، ولكن بعد أن أصبح العالم قرية كونية صغيرة بفضل الثورة المذهلة في عالم الاتصالات أصبح الحفاظ على الهوية والخصوصية الثقافية لكلّ بلد أمراً مهماً، لا ينبغي النظر إليه على أنه قضية بسيطة أو ثانوية.

2- المعتقدات اليابانية: إنّ أي محاولة لفهم الشخصية اليابانية تبدأ بمعرفة معتقدات وديانات ذلك الشعب، ويشكل الدين والمعتقد مفتاح فهم الشخصية اليابانية، والذي يحير الدارس هو قدرة الشعب الياباني على تكييف كل هذه المعتقدات كي تتماشى مع الشخصية اليابانية، فهناك من يعتنق ديانة الشنتو ويعيش على مبادئ الأخلاق عند كونفوشيوس، ويطبق تعاليم بوذا

ورغم التطور الذي عرفته اليابان إلا أنها متمسكة بمعتقداتها القديمة كألوهية المظاهر الطبيعية وتعدد الآلهة.

2- 1- معتقد الشينتو (shinto): ديانة الشنتو ديانة أسطورية ساذجة حيث إنها لا تقدم أي تفسير للكون أو خلق الأرض، ورغم ذلك استطاعت أن تكون العقيدة الخاصة للغالبية الساحقة من اليابانيين وتقول ديانة الشينتو إنّ الأرض والسماء شيء واحد، ثم هبط الاله (ايزانجي) وزوجته إلى الأرض وتعاونوا في خلق الجزر اليابانية، ... فخلق الإله إله الشمس الذي ينحدر منه الإمبراطور الياباني [3] فديانة الشينتو عبادة للطبيعة وجمالها، واعتبارها مصدرا للرزق.

2- 2- المعتقدات البوذية: دخلت الديانة البوذية إلى الهند في القرن السادس عشر، حينما ساد الاعتقاد بأنّ الإله لن يجلب السعادة للشعب الياباني ويمكن أن يتصف بقوى الشر والانتقام، وقادر على إنزال الدمار إذا كانت صلوات الناس وطقوسهم لا ترضيها، وعلى عكس هذه الآلهة اليابانية جاء (بوذا) برسالة الرحمة والخلاص للجنس البشري وذلك في الحياة الدنيا والآخرة معا، وكانت البوذية أول ثقافة تفد إلى الجزر اليابانية، ومن ثم أعادوا إنتاجها في شكل ثقافة يابانية خاصة في مجال الفنون والكتابة وهندسة البناء والطعام واللباس والحكم [4]، فهم كيفوا البوذية لتندمج مع المعتقدات المحلية الأسطورية، كقداسة الإمبراطور والأسرة وقداسة أرض اليابان.

2- 3- الكونفوشية: نبعت الكونفوشية أصلا من الفيلسوف الصيني القديم (كونفوشيوس) وأطلق الغرب على فلسفته هذا الاسم، أما شعوب شرق آسيا فتطلق على هذه الفلسفة اسم (تعليم العلماء) وقد عاش كونفوشيوس في الفترة الممتدة ما بين (551 – 479) قبل الميلاد تقريبا، لكن هذه الفلسفة لم تصل إلى شكلها النهائي في الصين إلا في القرن الثاني عشر الميلادي، وتتلخص مبادئ الفلسفة الكونفوشية في التأكيد على النظام العقلاني للطبيعة، كما تؤكد على نظام اجتماعي قائم على أساس قواعد أخلاقية صارمة

والكونفوشية ليس لها مفهوم للألوهية، مع وجود قليل للطقوس الدينية وبالتالي لم تشتمل هذه الفلسفة على أية عبادة، وإنّما أكدت فقط على التفكير السديد والحياة السليمة، من خلال الولاء للحاكم، وولاء الأبناء للآباء، والتمسك الصارم بمجموعة الطقوس والآداب الاجتماعية [5]، إذ إنّ ما يجعل البشر إنسانيين هو طيبة القلب الإنسانية، المتعلقة بالشعور وكذلك بالتفكير، وإنها أساس العلاقات الإنسانية كافة، كما ينبغي أن نفكر من منظور أخلاقي ومراعاة قواعد اللياقة أو آداب المجتمع، التي تحكم العادات والمراسم والعلاقات التي تم الاعتراف بها من خلال ممارسة الناس لها عبر العصور، كما أكد كونفوشيوس على أهمية العائلة لأنها تشكل البيئة الاجتماعية المباشرة للطفل، ففي العائلة يتعلم الطفل احترام الآخرين وحبهم وطاعة الأبوين من خلال حسن السلوك في الحياة وجعل إسهامهما مبجلا، وإذا لم يكن بمقدور المرء أن يشرف اسم أبويه فعليه ألا يجلب لهما الخزي والعار وهذه الفضيلة التي تنشأ في العائلة تؤثر خارج المحيط العائلي، وتصبح من خلال اتساعها فضيلة أخلاقية واجتماعية.

وبوجه عام فإنّ الحياة الدينية في اليابان غنية ومختلفة مع تاريخ طويل من التفاعل بين عدد من التقاليد والممارسات الدينية، وشهدت كل الديانات الوافدة إلى اليابان تغيرات كبيرة من خلال عملية التأثير المتبادل بينها وبين التقاليد اليابانية، التي أنتجت علاقة حميمة بين الإنسان والآلهة وقدسية الطبيعة، والولاء للإمبراطور وحب الوطن.

3- عهد الميجي♦ والصحوة اليابانية: (1868م- 1912م) عُرفت الفترة التي حكم خلالها الإمبراطور موتسوهيتو(Mutsu-hito) **بالعهد الميجي(Meiji)** وسميت بالحكومة المستنيرة **(gouvernement éclairé)** خلال هذا العهد تطورت اليابان لتصبح قوة صناعية حديثة وقوة عسكرية، وأصبح الإمبراطور رمزًا للعهد الجديد، فأصدر الميثاق الإمبراطوري، الذي يضمن نية

الحكومة بتحديث اليابان، والتوجه للدول الغربية للحصول على التقنية والأفكار الحديثة، فشيَّدت آلاف المدارس وحلّت قوات الساموراي، واستبدلت جيشًا وأسطولاً حديثين، وأنشأت شبكة طرق، وبدأت ببناء السكك الحديدية وأرست نظامين حديثين للمصارف المالية والضرائب، كما شجعت الحكومة التصنيع فأنشأت عددًا من المشروعات الصناعية التجريبية لتكون نماذج تُحتذى للصناعة في اليابان وتمت الاستعانة بالخبراء الأوروبيين والأمريكيين؛ لتدريب اليابانيين على استخدام تطوير التقنية الحديثة.

وأُرسل هيروبومي إيتو أحد قادة العهد الميجي في عام 1882م، إلى أوروبا لدراسة أنظمة الحكم الدستورية، وفي عام 1889م، صدر أول دستور ياباني أصبح بموجبه الإمبراطور رأس الدولة والقائد الأعلى للجيش والبحرية، كما عين جميع الوزراء المهمين المسؤولين أمامه، كما تضمن الدستور إنشاء مجلس نيابي (دايت) مكون من مجلس للنواب ومجلس للشيوخ .

إنّ ما حدث في عصر الميجي هو ترسيخ البعد الوطني وغرس نزعة الاعتزاز بالذات، وتأكيد استمرارية هذه الذات عبر التاريخ، كما تصدى للثقافات الغربية الوافدة بقوة بهدف الحفاظ على الهوية الوطنية.

وقام بعدة إصلاحات مست جميع النواحي، الاجتماعية والعسكرية والعلمية، ولعلنا نذكر المادة الخامسة من الإعلان الإمبراطوري لعام 1868م الذي كان يتضمن" السعي لجمع المعرفة من بين أمم العالم وبذلك تترسّخ الإمبراطورية" [6]، وهذا يعتبر وعيا منه على أساس أن بناء الدولة الحديثة لابد أن تقوم دعائمه على أسس علمية وعلى أيدي شعب متعلم. إضافة إلى أن ميثاق أفريل 1868م تضمن وعد ميجي بإلغاء الاستعمالات العشوائية، وإنهاء السلطة المطلقة، واللحاق بالمعرفة في كافة أنحاء العالم [7]، وأُنشئت في عام1871م وزارة المعارف التي أقامت نظام التعليم، وسارعت إلى بناء المدارس والجامعات منها "جامعة في كيوفي ودوشيشا عام 1875م، وفي وازيد عام 1882م، وكانت نظم

التعليم في هذه الجامعات خاضعة لمؤثرات أمريكية بدرجة كبيرة في مستهل تطبيقها، لكن هذه المؤثرات لم تلبث أن تضاءلت منذ عام 1880م، وما بعد لتحل محلها المؤثرات الألمانية، وأخيرا نشير في هذا المقام إلى بعثة أيواكورا الشهيرة " [8]، وبهذا تكون اليابان قد طبقت المادة الخامسة من الإعلان الإمبراطوري باقتباسها للمعرفة من جميع أنحاء العالم لتكون انطلاقة سليمة نحو البناء.

إنّ العصر الذي عرضناه باختصار، والذي عرف باسم "عصر (ميجي الإصلاحي) يمكن اعتباره مرحلة تطور حتمية بالنظر إلى العوامل التي أسهمت في تحقيق هذا النجاح السريع الذي لا يمكن إرجاعه إلى العوامل الخارجية فقط، كتأثير الغرب عليها؛ لأن البلدان الأخرى ذات التجربة نفسها كانت استجابتها لتلك العوامل مختلفة، ومن ثمّ فإنّ أسباب نجاح اليابانيين يكمن في "خصائصهم الوطنية مثل تجانسهم العظيم، وهويتهم الذاتية القوية، فضلا عن تميزهم الواضح بوعيهم الشديد بإمكانات التعلم من الخارج... ومن العوامل التي أدت إلى نجاح اليابانيين هي أنهم عللوا التغيير الشامل الذي حدث في بلادهم بأنه تم من خلال نظام الحكم الياباني القديم وهو الحكم الإمبراطوري، وليس من خلال المفاهيم الأجنبية الجديدة التي تعلموها" [9]. وقد استطاعت اليابان حتى الآن، وبطريقة انتقائية، أن تسيطر على استيراد الأفكار والعادات الأجنبية مع المحافظة على قوة التماسك الوطني الشديد، ولكن في ظل فتح اليابان أسواقها للواردات الأجنبية، وتزايد الاتصال بالأجانب، سوف تصبح سيطرة اليابان على هذه التأثيرات في مجتمعها أكثر صعوبة، وستتزايد صعوبة الحفاظ على الملامح القوية المميزة للمجتمع الياباني.

كما إنّ الإصلاحات التي قدمها الإمبراطور ميجي تقوم على تقديس الأرض اليابانية، ونشر الأفكار التي تروّج إلى وحدة الشعب الياباني وتجانسه التام، واهتمامه بالعلم والمعرفة، وشددت على التجانس الاجتماعي والاحترام

المتبادل، واعتبرت الإمبراطورية بمثابة الأب الروحي لليابان ولجميع اليابانيين وشكّلت ما يمكن تسميته بالأيديولوجية القومية اليابانية.

4- التغلب على الصعوبات (التحدي الياباني): إنّ اليابان التي يقول عنها الكثير من الدارسين أنها مولعة بالتقليد، وإنّ الشخصية اليابانية عبارة عن خليط من الثقافات "أصبح البلد الوحيد غير الأبيض الذي كان قادرا على سد فجوة التطور واللحاق بأكثر البلاد الصناعية تقدما... نلاحظ أنه بلد متجانس لغويا بدرجة عالية، وأهم شيء هنا هو أنّ المقارنة مع الصين مقارنة مفيدة، فبعد انفتاح اليابان الاضطراري على الغرب أدت الإصلاحات اللّغوية بعيدة المدى خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، وفي جيل واحد، أدت إلى انتشار اللّغة الموحدة على نطاق الوطن، والتي أسست على نمط مكتوب جديد، بينما لم يتحقق الانتشار العام للغة الصينية الموحدة (بُتُنغـــوا putonghua) حتى الآن"[10]، وهو ما يبرز إرادة هذا الشعب الذي لا يستسلم أمام التحديات التي تواجهه في حياته على مر العصور، وأثبت في العديد من المرات عزيمة لا تقهر في شتى المجالات.

4- 1- تحدي صعوبة الخطّ: إذا علمنا مدى كثرة وتعقيد حروف الكتابة في اللغة اليابانية ربّما استشعرنا مدى صعوبة المهمة التي تغلبت عليها اليابان ببراعة، ومدى إصرار وإرادة اليابانيين في التصدي للحفاظ على هويتهم وخصوصيتهم الثقافية، فبالرغم من النظام الكتابي المعقد للغة اليابانية الذي يتألف من ثلاثة أنواع من الحروف مستخدمة أصعبها وأعقدها، وهي المقاطع التصويرية أو التعبيرية التي نراها مكتوبة على صناديق الأجهزة الكهربائية وغيرها، والتي تعد بالآلاف وتشبه اللغة الهيروغليفية المصرية القديمة، نجد اليابان تفخر بأنّ نسبة الأمية فيها صفر في المائة، هذا فضلاً عن أنّ اليابان هي الأولى في العالم، من حيث تحقيقها للنسب المرتفعة في عدد الملتحقين بالتعليم النظامي حيث تصل نسبة الالتحاق بالتسع سنوات الأولى الإلزامية 100٪ ونسبة

الملتحقين بالمدارس الثانوية بعد الانتهاء من المدارس المتوسطة الإلزامية 94.4 ٪ وتزيد النسبة إلى97.5٪ إذا أُضيفت نسبة طلاب الثانوية الدارسين بالمراسلة وبلغت نسبة المتقدمين للدراسة بالجامعة بعد الثانوية 50.7 ٪، وتزيد النسبة إلى 75.9٪ إذا أُضيفت نسبة الطلاب الذين يدرسون في الجامعات المفتوحة، أو بالتعليم بالمراسلة والمدارس التخصصية، وذلك حسب إحصائية وزارة التربية والعلوم والثقافة اليابانية لعام 2004م.

إنّ هذه الإحصاءات لها دلالات كثيرة، وهي تعكس مدى اعتزاز اليابانيين بلغتهم التي هي وعاء ثقافتهم ورمز هويتهم، حيث يتمسكون بخصوصيتها من منطلقات ثقافية واجتماعية، ومن ثم يجدُّون ويجتهدون لتعلمها والتمكن منها، وهذا ما أجهض محاولات طمس هذه اللغة، حيث كانت محاولات لإلغاء مقاطع الكتابة اليابانية، وتبني الأبجدية اللاتينية بدلاً منها في الكتابة، حيث حاول الأمريكيون إلغاء مقاطع الكتابة اليابانية واستبدالها بالحروف اللاتينية على غرار ما حدث في تركيا مثلاً، وبالفعل أوفدت وزارة التعليم الأمريكية لجنة لتقصي مستوى التعليم والأمية في اليابان وقامت هذه اللجنة بإجراء اختبارات في اللغة اليابانية للشعب الياباني على مستوى اليابان كلها في وقت واحد ولكل الأعمار للصغير والشاب والكهل وللرجال والإناث ظنا منهم أنّ نتيجة الاختبارات ستكون سيئة وتثبت ارتفاع مستوى الأمية باليابان، ومن ثم يمكنها استبدال مقاطع الكتابة اليابانية بأنواعها الثلاثة بالأبجدية اللاتينية، ولكن كانت النتيجة مدهشة ومفاجئة للأمريكيين حيث وجدوا حتى المرأة العجوز تستطيع أن تكتب بهذه المقاطع الكتابية المعقدة، وأن نسبة الأمية قاربت الصفر! وبالتالي تراجع الاحتلال الأمريكي عن رأيه بهذا الشأن، وبقيت اللغة اليابانية كما هي تنفرد بهذا النظام الكتابي لها إلى الآن، وهذا دلالة على أن المشكلة ليس في صعوبة اللغة بقدر الاعتزاز بهذه

اللغة، والتمسك بها والإقبال على تعلمها، والتمكن منها، وليس البعد عنها بدعوى أنها لغة صعبة أو لغة لا تساير العصر وعلومه.

وتظهر الأصالة الثقافية لليابان في استخدامها رسوم الكتابة الصينية واستعارتها من الدول الأخرى كلمات عديدة ولكنها احتفظت بذاتية لا تقهر "وهي في العديد من الجوانب تبدو ذات صلة مع اللّغة الكورية، ولكنها ليست ذات قرابة كاملة مع أية لغة معروفة وتستخدم أسلوبا في الكتابة ذا تعقيد ليس له مثيل"[11]، فلقد اقتبس اليابانيون النظام الصيني في الكتابة إضافة إلى كلمات صينية كثيرة، ولكن تم تبسيط بعضها في (ألفباء مقطعية) أو جداول مقاطع لفظية على شكل رموز مكتوبة، وتسمى هذه الجداول **كانا**.

نظام الكتابة: يعتبر النظام الكتابي للغة اليابانية من أكثر الأنظمة تعقيدا وتحديا لدارسها ويتعجب الكثير من إحاطة اليابانيين بهذا النظام المعقد ومن العجيب أنّ الكثير يحملون نفس الفكرة عن اللغة العربية، لكن هذه الصعوبة ليست بالصورة التي يتخيلها الكثيرون، فالصعوبة تكمن في تعدد نظام الكتابة (ثلاثة أنظمة في لغة واحدة) وكذلك في العدد الهائل من المقاطع الصورية التي يجب على القارئ أن يتقنها.

1- الروماجي (Romaji): وهي الكتابة التي يستخدم فيها الهجائية الإنكليزية (الحروف الرومانية) وهو نظام كتابي دخيل معتمد بالأخص لتدريس اللغة اليابانية للأجانب، وعندما ترى كلمة مكتوبة بالروماجي فإنك تستطيع أن تنطق بها إذا عرفت كيف ينطق اليابانيون حروفهم، وتنطق (a) آ كما في (father) و(e) ا، كما في (grey) و (o) أُ، كما في (home) و(u) أو، كما في (good)[12] كما تُدرَّس الألفباء اللاتينية في المدارس اليابانية مع ثلاثة أنظمة من اللغة اليابانية المكتوبة بالحروف الرومانية، وباستخدام الحروف الرومانية تكتب الحروف الساكنة بطريقة اللغة الإنجليزية والحروف اللينة بطريقة اللغة

الإيطالية، أما النظامان الآخران لكتابة اللغة اليابانية بالحروف الرومانية فهما : النوع القومي، ونوع نيپون، وكلاهما يستند على بنية اللغة اليابانية نفسها.

2- الكانجي (kanji): وهي الكلمة اليابانية للكتابة الصينية عن طريق الصور، استمدها اليابانيون من الصين في القرن الخامس الميلادي وأدخلوها إلى اللغة اليابانية (لم يكن لليابان نظام كتابي قبل ذلك) لتصبح أساس نظامهم الكتابي في بداية القرن التاسع الميلادي، ولم يزد اليابانيون سوى عدد قليل من المقاطع تسمى المقاطع الوطنية، والعدد اللازم للإنسان الياباني ليكون متعلما قادرا على القراءة يقرب الألفي مقطع (1945 مقطع كانجي حسب النظام التعليمي الرسمي) ويتعلم التلميذ الياباني 1600 مقطع خلال السنوات الأولى، وما تبقى يتعلمه في المرحلة المتوسطة، وتعلم هذه المقاطع يكون حسب أهميتها (كثرة تكرارها) ثم تأتي المقاطع الأساس لتشكل مقاطع أخرى.

3- الكانا (Les KANA): وهو تعبير ياباني يعبر عن التطور الثقافي بتبني نظام كتابة يلائم اللغة اليابانية، وهو اختراع ياباني بحت، على خلاف المقاطع الأخرى، ويستخدم على نطاق واسع، وتكتب من اليمين إلى الشمال مثل اللغة العربية، وهي متبعة خاصة في الصحف، والطريقة الأخرى تكتب من اليسار إلى اليمين كما في الإنگليزية، واليابانية في الأزمنة الغابرة كانت تكتب من اليمين إلى الشمال وقد يلاحظ زائر اليابان هذا النمط مستخدما أحيانا في كتابة معابد الشينو والبوذية وخاصة القديم منها [13]، وهذه الأبجدية الصوتية ليست بسيطة كما يبدو، فهي تحتوي على شكلين خطين مختلفين عن الرموز الصينية، أحدهما شكل سريع أو موجز يسمى **هيراگانا** (Hiragana) يحتفظ ببعض النمطية الصينية، والآخر أكثر سهولة في الكتابة هو الكاتاكانا (Kata kana) الذي احتفظ ببعض الرموز الصينية [14]. ويستخدم اليابانيون - حاليًا - هاتين القائمتين من الأبجدية المقطعية، وتعتبر **هيراگانا**

الأكثر شيوعًا، وتُكتب اللغة اليابانية - عادة - بدمج كل من كانا والحروف الأبجدية الصينية كانجي وتسمى كانا ماجيري، وتضاف - أحيانًا - كانا ذات المقاس المخفض مع أحد الحروف الأبجدية لتوضيح النطق، ثم بدأت الحكومة اليابانية - عام 1948م - في تخفيض عدد الحروف الأبجدية إلى 1850 مع تبسيط أشكالها.

ويستثقل اليابانيون على الرغم من اجتهادهم نطق وتعلم اللغات الأخرى وخاصة اللغة الإنكليزية للفروقات الهائلة في اللفظ والقواعد، وتشكل بعض ألفاظها معضلة كبيرة لافتقاد اللغة اليابانية للأصوات الساكنة، لذا يميلون تلقائيا إلى إتباع كل حرف ساكن في اللغة الإنكليزية بحرف علة مما يؤدي إلى تغير تام في لفظ الكلمة، فمثلا كلمة and تنطق andu، وكلمة bed تنطق beddo ...الخ وكذلك يستثقلون بعض الحروف الإنكليزية مثل V و L ، ناهيك عن أسباب أخرى يطول شرحها [15]، وما يجدر التنويه إليه أن الولايات المتحدة الأمريكية طلبت من اليابانيين التوقف عن استخدام الكانجي والكانا والكتابة بطريقة الروماجي (الحروف الإنكليزية) بدل ذلك، والسبب يرجع إلى"أن كتب اليابانيين القديمة كلها مكتوبة بالكانجي والكانا وإعادة كتابة جميع هذه الكتب يعد عملا صعبا" [16] فالإرث الياباني لم يكتب بالحروف الإنكليزية، وهي تعتبر محاولة جريئة لدفاع اليابان عن لغتها.

4- 2- مستويات الحديث في اللغة اليابانية:هل يوجد فرق بين اللغة التي يتعلمها الدارس وبين اللغة المحكية في الشارع الياباني؟ وهل يوجد لغة فصحى ولغة عامية؟ أسئلة مشروعة لا بل وواجبة لمن يهمه أمر اللغة اليابانية، والجواب عليها صعب للغاية في حالة اللغة اليابانية لسبب رئيس هو مفهومنا لمصطلح الفصحى، ففي اللّغة العربية نعتبر الفصحى اللغة التي نتعلمها في المدارس وينقص استخدامها في الحياة اليومية، فمن هذا المنظار لا يوجد ما يسمى باللغة الفصحى والعامية في اللغة اليابانية، فالبنية القواعدية التي يتكلم بها الياباني

في حياته اليومية لا تختلف اختلافا كبيرا في الأساس عما تعلمه في المدرسة، أما الفـرق في المفـردات فهـو فـرق موجـود ولكـن لـيس بصـورة ضـخمة أيضـا [17] والحـديث باللغـة اليابانيـة لهـا مسـتويات وهـي: الرسميـة وشـبه الرسميـة والعاميـة ويختلف استعمال كل مستوى حسب المقام.

إنّ اللغة اليابانية تمثل بصورة ما الإنسان الياباني في تعامله مع الثقافات الأخرى، فهو استوعب الحضارة الغربية وقَوْلَبها ضمن إطار ثقافته إلى حد ما واللغة اليابانية تعاملت بمرونة عالية مع طغيان لغة العولمة، فاليابانيون استوردوا عوامل النهضة الإدارية والصناعية الأروبية، وأيضا ما ينقص لغتهم من مصطلحات وكلمات، ولكن هذا الاستيراد كان بنظام واحتراف عجيبين فهم لم يدمجوا تماما هذه الكلمات كتابيا بلغتهم بل أفردوا لها حروفا وطوعوا الكلمات الجديدة بصورة جميلة وهذه العملية لا تتم بطريقة عشوائية بل هي عملية مضبوطة رسميا [18]، كما يجيد الكثير من اليابانيين اللغة الإنجليزية، إذ إن بعض الكلمات اليابانية مأخوذة من الأصل الإنجليزي.

ويعتبر الشـعب اليابـاني مـن أكثـر شـعوب الأرض تجانسـا عرقيـا، ثقافيـا ولغويا، ومع ذلك توجد فروقات بين منطقة وأخرى من الناحية اللغوية، ومـا يميّـز اليابان أنّ هناك مرجعية لغوية عند الاختلاف وهـي اللغـة الـتي يتحـدث بهـا منطقـة الثقل السكاني◆، أما أشهر اللهجات فهي لهجات غـرب اليابـان أي المنطقـة الـتي تقع بها مدينتي أوزاكا وكيوتو، ولهجات منطقـة الشـمال، ورغـم هـذا التجـانس العرقـي والثقـافي واللغـوي، إلا أنّ اليابـان كغيرهـا مـن الـدول تواجـه مشـكلة الأقليات التي ترغب في الانفصال عنها، كإقليم (أُكينـاوا) الـتي ضـمتها اليابـان إلى أراضـيها سـنة 1879م، وأعادتهـا لهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة(كانـت استولت عليها في الحرب العالمية الثانية) سنة 1972م، وأثارت هذه المقاطعة قلقـا في اليابان بمحاولتها فرض اللغة الأوكيناويـة وممارسـات العـادات المحليـة، ولجـأ

أبناء أُوكيناوا في كفاحهم من أجل هوية منفصلة عن اليابان إلى هجين من الثقافة المحلية والثقافة الغربية.

إنّ اليابان بكفاحه وبتناقضاته أو بدونها لا يدل فقط على أنّ هناك استماتة داخلية من جانب الأقليات ضد ثقافة الأغلبية، وإنما يدل على وجود مواجهة يابانية رسمية قوية ضد تأثيرات العولمة الثقافية، إذ إنّ حاملي الفساد ليسوا في النهاية أغرابا ولا برابرة، وإنّما شباب اليابان نفسه الذين أثبتوا أنهم تلامذة نجباء لممارسة عالم العولمة الكونية، في الوقت الذي تعمل فيه الثقافة المحلية على تهيئتهم كيابانيين أصليين.

4- 3- إحياء الأدب القومي: يعتبر الأدب الياباني من أعظم آداب العالم، ويعكس كثيرًا خصائص الشعب الياباني، مثل تمسُّكه بالتقاليد وشدة تأثره بالطبيعة، وربما أنتج اليابانيون أول أعمالهم الأدبية المكتوبة في القرن السادس الميلادي، ولكن عزلة اليابان الطويلة عن باقي العالم، وصعوبة لغتها المكتوبة للتعلُّم، أبقى الأدب الياباني غير معروف تقريبًا خارج اليابان حتى القرن العشرين، ورغم أنّ الحروف المقطعية أقل ملائمة في الاستعمال بدون شك من الحروف الأبجدية، إلاّ أنّها حملت لليابانيين حلا لمشكلة الكتابة التي استعصى زمنا طويلا، وسمحت بتطوير أدب محلي أصيل، وكان اليابانيون حتى في أقوى موجات النفوذ الصيني قد احتفظوا بعادة كتابة قصائدهم بلغتهم الخاصة مستعملين الرموز الصينية، وعندما تم تبسيط نظام التدوين فإنه أعطى للشعر ازدهارا وانطلاقة جديدة، وساعد على تطور أنواع أدبية أخرى كالقصة وأخبار الرحلات والدراسات خلال القرن العاشر، ومع ذلك فمعظم مؤلفات التاريخ والبحوث والوثائق الرسمية في القرون الوسطى دونت باللّغة الصينية وانحصرت الكتابة باللّغة اليابانية في مجال سيدات البلاط الإمبراطوري اللواتي لا يعرفن الصينية [19]، من هنا نصل إلى التناقض القائم في المجتمع الياباني الذي يجهد رجاله الكتابة باللّغة الصينية بينما شريكاتهم من النساء الأقل ثقافة

يكتبن باليابانية، واضعات بذلك حجر الأساس لأدب قومي أصيل وهذه اليقظة القومية التي ظهرت في بادئ الأمر في الآداب أثرت كذلك في فن الرسم والنحت وهندسة البناء، وفي الوقت نفسه تغيرت المؤسسات السياسية والمفاهيم الاجتماعية تغيرا جذريا وانسلخت عن الأنماط الصينية الأصيلة.

5- **الاستثمار في التعليم:** إنّ الحديث عن التعليم في اليابان يقودنا للإطلاع على إحدى التجارب الرائدة في مجال النظم التعليمية التي تجمع بين الأصالة والتحديث، وهما الركنان الأساسان اللذان تقوم عليهما المسيرة التعليمية لأي مجتمع من المجتمعات، فاليابان التي استفادت من مستجدات العلم والتكنولوجيا، والاجتهادات التربوية، والنظم التعليمية الحديثة، لم تغفل في نفس الوقت الجذور التاريخية للثقافة الأصيلة التي ميزت الشعب الياباني عبر العصور.

كان للإصلاحات التي قام بها ميجي (meigi) أثر كبير في ترسيخ البعد الوطني، وغرس نزعة الاعتزاز بالذات، والدفاع عن الهوية الوطنية، والتصدي للثقافات الغربية الوافدة، ولكن مع الحرص على الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة، وقاد ميجي اليابان إلى التقدم في جميع المجالات "وكانت تلك الصحوة بمثابة الثورة بكل معانيها" [20] فأدخل إصلاحات عميقة تتمثل في الاتجاه نحو الحداثة الغربية، والمحافظة على القيم اليابانية الأصيلة، وهكذا أصبح المجتمع الياباني في عهد الميجي حيا متحركا.

وتعد لوائح التعليم التي أُصدرت عام 1872م، بمثابة نقطة تحول بالنسبة لنظام التعليم الحديث في اليابان، وأسفرت الجهود العديدة، والجادة من قبل اليابانيين إلى نتائج مهمة، إذ صار أكثر من38.4٪ من الشعب الياباني يحمل التأهيل الجامعي، وصار أكثر من 92.0٪ من الشعب الياباني حاصلا على مستوى يفوق المتوسط [21]، ومع إصلاحات ميجي التي حرصت على تعليم الذكور والإناث دون تمييز ارتفعت نسبة التعليم عام 1907م لتصل97٪ من عدد

الأطفال في سن الدراسة [22]، وحقيقة الأمر فإن اندفاع اليابانيين لتوسيع نطاق التعليم، وتجويده كان يسير بوتيرة جد سريعة، ففي عام 1955م كان نصف الشباب الياباني يدخلون مرحلة التعليم الثانوي، ونسبة أقل من 10٪ يدخلون المؤسسات التعليمية فيما بعد المرحلة الثانوية، وعند حلول السبعينات صار أكثر من 90٪ من كلا الجنسين (الذكور والإناث) يُتمون مرحلة تعليمهم الثانوي مقارنا ذلك بنسبة 80٪ من الأمريكيين وكقاعدة عامة فإنّ كافة اليابانيين الذين يدخلون أي مدرسة يكملون تعليمهم فيها دون أي تسرب، وفي عام 1975م على سبيل المثال كان 97٪ من الطلبة اليابانيين الذين التحقوا بالتعليم الثانوي قد أتموا دراستهم فيه بالمقارنة بنسبة 79٪ في أمريكا، وهذه نسبة مرتفعة جدا على المستوى العالمي [23] وتتمتع اليابان بمستوى تعليم عالٍ، إذ إن معظم الأشخاص من 15 سنة فما فوق يستطيعون القراءة والكتابة ويقضي أطفال اليابان وقتًا كبيرًا في تعلم اللغة اليابانية لصعوبتها، وبعد إتمامهم المدرسة الثانوية الصغرى يذهب الأطفال إلى المدرسة الثانوية العليا لدراسة ثلاث سنوات فيها، وذلك بعد اجتيازهم لاختبارات القبول، ويذهب الأغلبية ممن يكملون دراستهم الثانوية الصغرى للدراسة الثانوية العليا.

إنّ فترة التعليم الإجباري من 6 إلى 9 سنوات متاحة لمعظم الأطفال اليابانيين، وذلك قبل الحرب العالمية الثانية، وفي كل طور من التعليم يكون المحتوى موحدا، ويمكن لكل طفل يملك الإمكانات النظرية الالتحاق بالطور التالي له، أما التعليم الثانوي والعالي فقد اعتمدت اليابان النظام الأمريكي ثلاث سنوات للطور الأول من التعليم الثانوي (junior high school) وثلاث سنوات للطور الثاني (senior high school) وأربع سنوات من التعليم الجامعي ولكن أغلبية المدارس يضيفون عاما آخر من الدراسة [24]، إنّ الانتقال من نظام 3/3/5/6 (ست سنوات من المدرسة الابتدائية خمس سنوات من المدرسة المتوسطة، ثلاث سنوات من التعليم الثانوي، وثلاث سنوات من التعليم العالي)

إلى النظام الأمريكي 4/3/3/6 أدخل اليابان في غموض كبير، وكان لارتفاع عدد الجامعات والتصاعد السريع للطلبة في الجامعة، بالمقابل تقليص مدة التكوين، الأثر الكبير في تدهور مستوى الدراسة.

وكانت اليابان شديدة الحرص على نشر التعليم بين أبنائها وذلك قبل عقود طويلة من الاحتكاك المباشر مع الدول الغربية، فقد انتشرت آلاف المدارس في كل أنحاء اليابان، وبعد الاحتكاك بالغرب طرحت اليابان شعارها المعروف بتقليد الغرب ثم سبقه، ونقلت منه أحدث نظرياته العلمية، وبدأت في تأصيل نفسها في العلوم والتكنولوجيا، "فكثفت جهودها في برامج البحث والتطوير لتخرج جيشا كبيرا من العلماء في إطار ما يسمى بالتفوق العلمي واستند اليابانيون على نظام تعليمي غاية في الدقة تدعمه رغبة أصيلة لنقل العلم والمعرفة "[25]، وهذه الرغبة موجودة في الشخصية اليابانية، فروح الانفتاح على الغرب، إلى جانب المحافظة على تراثهم وأصالتهم، وإلى جانب تخرّج العلماء والباحثين والمهندسين ركزت اليابان في المقام الأول على التعليم الأساسي باعتباره المستودع لإمداد الدولة بكوادرها الفنية والأكاديمية.

ولم تقتصر اليابان على نقل المعرفة الغربية بل فضّلت أن تستقيها من منبعها الأصلي، إذ "أوفدت حكومة ميجي عددا كبيرا من الشابات والشبان في بعثات علمية إلى الدول الأجنبية، وذلك منذ العام الأول لعصره، فأرسلت 170موفدا إلى الخارج خلال الفترة الممتدة من 1869 إلى 1879"[26]، وما يلاحظ أنّ هذا العدد تضاعف في فترات لاحقة، وهو ما يدل على أنّ اليابان مهتمة بتطوير تعليمها، وتحسين جودة التكوين للقائمين بهذه العملية التي تراها مصدر كل انطلاقة صحيحة في البناء و التشييد.

5- 1- الاهتمام بالمعلم: إن الشيء الملاحظ على مجتمعات شرق آسيا عموما واليابان بصفة خاصة، المكانة التي تحتلها مهنة التعليم بين سائر المهن الأخرى، إذ تحظى بالتقدير والاحترام الذي يكنّه الشعب الياباني للمعلم، وهذا

ما جعل الكثير من الشباب يقبلون على ممارستها، وبقيت فكرة راسخة في أذهانهم أنّ المعلم يحمل رسالة عليه أن يبلغها إلى المتعلمين، لأن التعلم في المجتمع الياباني وكذا الحصول على الشهادات الدراسية يعتبر من أكثر الأمور أهمية وتقديرا في الحياة المعاصرة للشعب الياباني.

وإنّ الحقيقة التي يؤكدها المختصون خارج اليابان وحتى اليابانيون أنفسهم مفادها أنّ التقدم الياباني منذ عصر الميجي، والمعجزة الاقتصادية التي حققتها اليابان بعد الحرب العالمية الثانية يرتبطان بالدرجة الأولى للاهتمام بالمعلم وتقديسه.

5- 2- الإصلاح التربوي في اليابان: تولي اليابان اهتماما بالغا للعملية التربوية، إذ عملت على إصلاح منظومتها التربوية، وكان هناك اتجاهات مختلفة بحسب اختلاف توجهاتهم المعرفية والفلسفية، فهناك من يحن إلى الماضي خوفا من التغيرات الثقافية، والحضارية، بدعوى المحافظة على التراث والأصالة، والآخر إصلاحي يرى ضرورة تبني الأفكار الأخرى "من آراء ألمانية وآراء أمريكية تحث على التربية التقدمية، وآراء عن النظام التربوي الفرنسي وآراء كنفوشيوسية عن التعليم، وكان هذا المزيج عند التطبيق ياباني الروح وكان لهذا النظام إصرار على تخريج مواطن مثقف وعصري، والذي هو دون شك ياباني، وبهذا يمكن أن تحقق أهداف الوحدة الثقافية، وأيضا سرعة التطوير والتحديث"[27]، الذي خلّف نظاما تربويا عصريا يسعى إلى مواكبة التقدم الصناعي والاجتماعي وفق القيم الثقافية الأصيلة، وتكافؤ الفرص التعليمية بين اليابانيين.

كما أنّ التمسك بالقيم الأخلاقية في المدارس اليابانية كان غاية الاتجاه الإصلاحي، كما تقول هوايت: "إنّه نابع من الثقة التي أحرزها اليابان منذ تقدمها الاقتصادي الهائل في الستينات، وممّا تعرضت له أيضا من معاناة في التنافس خلال الحرب التجارية، وبقلة مواردها التي أظهرتها الصدمة البترولية

التي تعرضت لها أوائل السبعينات بعد حرب اكتوبر1973" [28]، والمطّلع على مقررات الدراسة في اليابان في مجال التربية الأخلاقية، يرى أنّه من المرغوب فيه أن يتعلم الطفل الياباني في المراحل الابتدائية الأولى تحمل المشاق، وفي السنوات المتوسطة يتعلم الإصرار، والاستمرار لتحقيق المطلوب منه في صبر وعزيمة، وفي السنوات الأخيرة من الطور الأول يتعلم أن لا يقف سلبيا أمام المصاعب والعقبات وأن يجد الحلول ليحقق هدفه وأن لا يخاف الفشل بعد أن يبذل الجهد الضروري "فجوهر العملية التربوية في اليابان يتمثل في التزام الفرد بتحقيق إنجاز ما، سواء في الدراسة أو في العمل، فالمهم أن يتعلم الفرد الياباني معنى الارتباط والمسؤولية" [29]، وارتباط العلم بالسلوك والقيم الأخلاقية واضح في المجتمع الياباني، فالمواطن الصالح هو الذي يدرس ويحافظ على قيمه ويساهم في نشر الفضيلة بين أبناء جنسه.

كما أنّ العملية التربوية في اليابان يسهم فيها كل أفراد المجتمع دون استثناء، وتتوزع المسؤولية بصورة متوازنة بين الأسرة والمدرسة، إذ يعتبر "مدرسو المدارس أنفسهم مسؤولين عن سلوك تلاميذهم لدرجة أنّه قد يطلب منهم تقديم استقالاتهم، أو على الأقل الاعتذار علنًا في حالة تورط تلميذ ممن يخضعون لإشرافهم في مشكلات مع الشرطة" [30]، ويتضح هذا الشعور بالمسؤولية أيضا في مسؤولية الآباء والأمهات في متابعة أبنائهم في عمل الواجبات المدرسية اليومية، و"في استفتاء أجري في اليابان اتضح أن الأمهات يتحملن أكثر من المدرسين مسؤولية التقدم المدرسي لأبنائهن" [31]، فالعملية التعليمية تتوزع في اليابان بصورة متوازنة بين الأسرة والمدرسة، فالتنشئة الاجتماعية يضطلع فيها الجميع دون استثناء.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الطلبة اليابانيين الذين يدرسون في الخارج ويتعلمون اللّغات الأجنبية فإنّهم لا يحصلون في الواقع على اعتراف بما حققوه من إنجازات دراسية، بل إنّ أولائك الذين تعلموا الإنجليزية في الخارج، وصاروا

يتحدثونها بطلاقة، يطالبون لدى عودتهم إلى اليابان بالانخراط في التدريبات اللّغوية المهجورة للتحضير لامتحان مادة اللّغة اليابانية ضمن امتحان القبول في الجامعات، أما الموظفون اليابانيون الذين يخدمون في الخارج لمدة طويلة جدا فلا يتمتعون في واقع الأمر بأية فرصة للترقية إلى مناصب عليا في شركاتهم في اليابان، ذلك أنّهم يعتبرون إلى حد ما ممن تلوثوا بالاغتراب، أو على حد التعبير الياباني الشائع (gaijin kussai)[32] إنّ هذا الإجراء الذي فرضته اليابان دليل على وعيها بأهمية اللّغة في مؤسساتها، وحرصها على سلامتها من التشويه والتلوث لدى ناطقيها، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بإطار دولة مهمته خدمة اليابان والدفاع عنها.

ولإعطاء دفع قوي للإصلاحات التربوية التي تعتزم اليابان القيام بها عمدت إلى إدخال الإعلام نظرا لما يملكه من سلطة التغيير، فعملت على إنشاء التلفزيون التعليمي، الذي أُنيط به مهمة إصدار الكتب الدراسية جنبا إلى جنب مع البرامج التعليمية، "ويوجد برنامج دائم للبحث والتشاور مع المدارس المختلفة للتوصل إلى استحداث برامج تعليمية أفضل، وتجري القناة التلفزيونية التعليمية في شهر أوت وسبتمبر من كل عام بحوثا ميدانية على عينات مختارة من المدارس في كل مقاطعة، ثم يعقد في شهر نوفمبر اجتماع للمؤتمر الاستشاري المركزي والذي يتكون عادة من كبار العلماء ومن الخبراء التلفزيونيين موزعين على مراحل مختلفة من الأطوار التعليمية: مرحلة الحضانة، والمرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية، إضافة إلى ممثلين عن وزارة التعليم، وفي الأخير يقومون بوضع الخطط التعليمية للعام الدراسي التالي، والذي يبدأ في شهر أفريل[33].
وتوجد لجنة منفصلة تسمى (لجنة تطوير البرامج) تعهد إليها مسؤولية الاستبانات للمساهمة في تخطيط وتطوير هذه البرامج، وإضافة إلى ذلك تعقد اجتماعات خاصة مع المعلمين في مختلف المقاطعات للاستماع إلى آرائهم حول البرامج المطلوبة لمقابلة احتياجات المدارس المختلفة، ويحافظ التلفزيون على المستوى

الرفيع لبرامجه التعليمية من خلال انتقاء خيرة الأخصائيين والأكاديميين، ممن تخرجوا في مختلف الكليات الجامعية.

5- الاهتمام بالترجمة والاستثمار فيها: لعبت حركة الترجمة دورًا أساسًا في حفظ التراث العالمي من الضياع، بسبب كثرة الحروب والمنازعات والعوامل الطبيعية المدمرة لذلك اعتبرت حركة الترجمة بمنزلة فعل حوار دائم بين شعوب العالم ذات الثقافات المتنوعة، والقادرة على التفاعل الإيجابي، فهي حوار ضمني بين تجارب الشعوب الثقافية عبر الكلمة الفاعلة، وبقدر ما تبتعد الكلمة المترجمة عن الاستعلاء الثقافي تنجح في نشر ثقافة الانفتاح والتواصل الحر، لتصبح جزءًا من تراثه الثقافي، "إلا أنها، بالمدلول الثقافي والحضاري للمصطلح، ليست مجرد نقل كلمة أو مقولة من لغة إلى أخرى، بل هي وبالدرجة الأولى ثقافة حية قادرة على تحويل موارد المجتمع إلى قوى محركة للطاقات الإبداعية فيه" [34]، فهي تتحول إلى فعل حضاري وديناميبة قوية لتغيير المجتمع بعد أن أصبح العالم كله قرية ثقافية واحدة في عصر العولمة والتفاعل اليومي والمباشر بين مختلف أشكال الثقافات واللغات.

ولعل المشروع الياباني للترجمة الآلية يحتل موقعا متميزا للاعتماد عليه جزءا أساسا ضمن حاسوب الجيل الخامس، فقد دعمت الحكومة اليابانية مشروعا بحثيا عمليا للترجمة، والتقنية بين اللّغتين الإنجليزية واليابانية [35]، من هنا كان اهتمام اليابان الكبير بعملية الترجمة، ونقل قسم كبير من التراث الإنساني العالمي إلى اللغة اليابانية خلال المائة عام المنصرمة من بين الأولويات فقد أولت اليابان اهتمامًا خاصًا بالترجمة منذ بداية نهضتها في أواسط القرن التاسع عشر حتى الآن "قامت اليابان منذ الحرب العالمية الثانية بترجمة نحو150.000 كتاب إلى اليابانية، وتهدف تلك الكتب المترجمة إلى نقل كم هائل من المعلومات" [36]، وما زالت من أكثر دول العالم سخاء في مجال تمويل الترجمة، ودفع نفقات المترجمين، وتنشيط مؤسسات الترجمة، وصولاً إلى

استخدام الترجمة الآلية المراقبة في السنوات القليلة الماضية، فتوسعت الترجمة في اليابان عبر أجهزة متخصصة تسهم في تعريف اليابانيين بجميع الدراسات العلمية الرصينة، في مختلف النواحي الثقافية والتكنولوجية وثمرات المطابع، والعلوم العصرية، في مختلف دول العالم هذا بالإضافة إلى الترجمات الأدبية والفنية والدينية وغيرها.

ويقدم هذا العنصر صورة علمية دقيقة عن الترجمة في اليابان، وهي تحتل موقعًا متقدمًا في عملية نشر المعرفة والاطلاع على ثقافات الغير منقولة إلى اللغة اليابانية في سبيل إحيائها والدفاع عنها، وأثبتت سياسة اليابان في مجال الترجمة، ومن خلال الحجم الكبير لما ترجم إلى اليابانية عن اللغات الأخرى، أنّ الترجمة تسهم في تعزيز اللغة القومية، بالرغم من الصعوبات الكبيرة التي يعانيها كل من يتعلم اليابانية، قراءة وكتابة، نجح اليابانيون في تعزيز لغتهم وتطويعها لكل أشكال العلم والتكنولوجيا، واستخدامها كمعادل محلي للغات العالمية في مجال الترجمة الفورية والآلية، لذلك تقدم تجربة اليابان في مجال الترجمة دروسًا مفيدة للعرب من أجل تشجيع الترجمات من وإلى اللغة العربية من جهة، والعمل على تطويرها وجعلها اللغة الأساسية لتزويد المواطن العربي بمختلف العلوم العصرية، والتكنولوجيا المتطورة، والآداب والفنون العالمية، من جهة أخرى.

ولما كانت اللغة المكتوبة أداة فاعلة في حفظ التراث الثقافي، ونقله من جيل إلى آخر عبر ثقافات وحضارات مختلفة في إطار علاقات من التبادل بين مختلف الشعوب والقوميات، أضحى لزاما على اليابان الاهتمام بإرثها الحضاري، " ولقد حافظ اليابانيون على تراثهم وثقافتهم مع عملية الانفتاح على الغرب عندما بدؤوا في ترجمة العلوم والمعارف الغربية، بل والأكثر من ذلك كان رد الفعل الياباني لهذه الثقافة الغربية الوافدة هو التصدي لمفاهيمها العنصرية" [37]، فاليابان اعتمدت سياسة انتقائية جديرة بالاهتمام أثناء نقلها

للثقافات الأجنبية، فهي أخذت ما يساعدها وما يتماشى وتصوراتها ويلبي احتياجاتها.

وليس من شك في أنّ أفضل أشكال الترجمات هو الذي يعبر عن تكافؤ في المستوى الثقافي بين قوى حية متقاربة في الإدراك والوعي بالمصطلحات والمفاهيم المنتقلة عبر الثقافة الوافدة، وإلا تحولت الترجمة إلى عامل قهر واستلاب واستعلاء حضاري من جانب الطرف الأقوى، الذي يهدد بفقدان الشخصية الوطنية والقومية للجانب الأضعف، انطلاقًا من مقولة ابن خلدون الشهيرة حول تشبه المغلوب بالغالب، والترجمة أخيرًا حوار ضمني بين الشعوب والتي من وسائلها الأساسية المدرسة والمطبعة ووسائل الإعلام، والصحافة والشعر، والأدب، والمسرح، والسينما، وغيرها.

أظهرت اليابان اهتمامًا كبيرًا بثقافات الشعوب الأخرى، وهناك بعض الباحثين الذين يبالغون جدًا بهذا العامل لدرجة تعرية اليابان من كل ما يمكن أن يشكل ثقافة أو تراثًا يابانيًا خالصًا فهم يصفون اللغة اليابانية الكلاسيكية أو الكانجي بأنها مقتبسة عن الصينية، ومعها حفلات تقديم الشاي وتنسيق الزهور، والرسم المستند إلى الحروف اللغوية، ولباس الحرير أو الكيمونو وموسيقى النو ومسرح الدمى، ومسرح الكابوكي، وغيرها الكثير، "وربما وجدنا تفسيرا لذلك في أنّ اليابانيين اعتادوا على التطلع إلى الخارج بحثا عما يمكن أن يتعلموه"[38]. ومنهم من ينسب الديانة البوذية في اليابان إلى الهند وكوريا، والعلوم العصرية والتكنولوجيا المتطورة في اليابان الحديثة إلى الاقتباس عن أميركا وأوروپا.

وكان الرد الياباني مقنعًا وحاسمًا، بأن "ترجمت حوالي نصف الإنتاج المعرفي العالمي إلى اليابانية لتخلق بيئة علمية فيها، وتدفع لتحقيق ذلك مبالغ باهظة لمتابعة مشروعات الترجمة الآلية"[39] واعتبروا أنّ االتراث الثقافي والإبداعي ليس ملكًا لصاحبه، إذ إنّ اليابان اقتبست كل ما هو مفيد لها من

تراث الشعوب الأخرى، لكنهم طوروا ذلك التراث وأعطوه سمة يابانية واضحة المعالم، فهم طوروا الكانجي الصيني، وأضافوا إليها حروفا خاصة باليابان كذلك طوروا الفنون الأخرى، وأنشؤوا ديانة الشينتو التي شكلت مسارًا خاصًا في الديانة البوذية التي تحجرت تحت وطأة طقوسها التقليدية.

ومنذ بداية الإصلاحات في عهد الإمبراطور ميجي في عام 1868م اعتمدت اليابان على ترجمة مكثفة من اللغات الأجنبية إلى اللغة اليابانية لتثقيف الشعب الياباني بكل ما يستجد على الساحة العلمية والثقافية في مختلف دول العالم، "ففي العقد الأول لإصلاحات ميجي، تُرجم عدد كبير من الكتب الأوروبية والأمريكية والصينية لأغراض الدراسة الأكاديمية والبحث العلمي وتمّ استقدام أعداد متزايدة من الأساتذة والباحثين والخبراء والمستشارين الأجانب للعمل في مؤسسات التعليم اليابانية كذلك تمّ تدريس بعض المواد الجامعية بلغات أجنبية دون أن يستمر هذا المنحى لفترة طويلة"[40]، ففي ثمانينات القرن التاسع عشر بدأ اليابانيون بالحلول تدريجيا مكان الأجانب في مؤسسات التعليم وأصبحت اليابانية لغة التدريس الرسمية والخاصة على حد سواء.

وقد استمرت تلك السياسة بوتيرة متصاعدة حتى الآن، فقد دلت بعض الإحصائيات الدقيقة إلى أنّ نسبة الأبحاث والكتب المترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة اليابانية كانت محتشمة في الفترة ما بين 1979م - 1996م، وحين أدركت الحكومة اليابانية الخلل الفادح في تلك النسبة، عمدت في السنوات الأخيرة إلى تشجيع وترجمة الكتب والوثائق والمقالات اليابانية إلى اللغات الأخرى، فقد أدخلت الحكومة اليابانية في برنامجها للعام المالي 1999م بندًا خاصًا يتعلق بنشر اللغة والثقافة اليابانية في الخارج، وشكلت لجنة من ثمانية باحثين يابانيين مرموقين لاختيار الكتب التي ستترجم من اليابانية إلى اللغات الأخرى، وقد اختارت الحقول الثقافية التالية: الثقافات المقارنة، الاقتصاد

تاريخ اليابان الثقافي المعاصر الأدب الياباني، الفن الياباني، تاريخ الأدب المقارن الحديث، تاريخ العلوم، وغيرها وقد قررت اللجنة ترجمة 32 كتابًا في عامها الأول منها سبعة إلى اللغة الصينية، وخمسة إلى كل من الإنكليزية والكورية وكتابان إلى كل من الإيطالية والإندونيسية والإسبانية، وكتاب واحد إلى كل من الدانماركية والبرتغالية والألبانية والهنغارية والبلغارية والبولندية والروسية والفارسية، وتوزعت عناوين الكتب المترجمة على الشكل التالي: 18 كتابًا أدبيًا، وثلاثة كتب في الفلسفة، وثلاثة كتب في التربية وعلم الاجتماع وكتابان في الاقتصاد والإدارة، وكتابان في السياسة والحقوق، وكتاب في التاريخ، وكتاب في الفنون، وكتابان في موضوعات شمولية، وقدمت الحكومة اليابانية مساعدة عينية بقيمة 13.6 مليون ين لترجمة تلك الكتب عن اللغة اليابانية، و13.25 مليون ين لدعم دور النشر في خارج اليابان، وفي ذلك تأكيد واضح على الكلفة العالية جدًا التي تقدم للمترجمين [1 4].

أمّا في مجال الاهتمام باللّغة العربية، فلم تساعد اليابان على ترجمة أي كتاب من اليابانية إلى العربية طوال أعوام 1994 – 1996م، ثم موّلت ترجمة كتاب واحد عن اليابانية إلى العربية في أعوام 1997- 1999 بالمقابل ساهمت في نشر كتابين عن اليابان في عامي 1994م و1995م، وكتاب واحد في عام 1996م، وكتابين عام 1997م، ولا شيء عام 1998م و كتاب واحد عام 1999م، مع ذلك خصصت الحكومة اليابانية مبلغًا جيدًا لترجمة روايات ريوتارو شيبا (Ryotaro Shiba) التاريخية لأنه الأديب الياباني الأكثر شهرة في مجال رسم صورة صادقة للشخصيات اليابانية التي لعبت دورًا بارزًا في نهضة اليابان الحديثة والمعاصرة، ومنذ عام 2002م بدأت المؤسسات الثقافية اليابانية تحت إشراف وزارة الثقافة في اليابان، بإعداد ميزانية سنوية لتشجيع ترجمة التراث الياباني إلى اللّغات العالمية، وقد خصصت الوزارة مبلغ 198 مليون ين للمساهمة في ترجمة ونشر الأدب الياباني عبر اللغات العالمية الحية، وخصص

مبلغ مماثل لعام 2004م بعد أن بدأت ملامح مشروع متكامل لترجمة كتب أساسية ومهمة تعبر عن شخصية اليابان أو خصوصيتها التاريخية والثقافية والفنية والعلمية والتكنولوجية والأدبية وغيرها، في عام 2004م أقرت مشروعا استثنائيًا لترجمة أكثر من ثلاثين كتابًا يابانيًا إلى اللّغة العربية خلال السنوات الثلاث القادمة، وقد اختارت البدء بترجمة ستة كتب للأطفال والإعداد لسلسلة من الكتب المترجمة في مختلف مجالات المعرفة، والتي قد تصل إلى المئة كتاب مترجم مباشرة من اليابانية إلى اللّغة العربية، وقد بدأت فعلاً بترجمة سلسلة لكتب الأطفال، وقد وصلت ميزانية عام 2005م إلى 328 مليون ين، وستكون الميزانية نفسها للعام المالي 2006م.[2 4] إنّ هذا السخاء من الحكومة اليابانية في مجال نشر لغتها خارج اليابان لدليل آخر على وعيها بدور اللّغة في جانبها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، فبفضلها يمكن فرض سيطرتها على دول العالم الثالث خاصة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مؤسسة اليابان (The Japan Foundation) هي منظمة إدارية مستقلة، أسستها الحكومة اليابانية عام 1972 للقيام ببرامج التبادل الثقافي الدولي ولتعميق التفاهم بين اليابان والأمم الأخرى، وللمؤسسة أنشطة عدة تندرج تحت ثلاثة مجالات رئيسة هي: الفنون والتبادل الثقافي وتعليم اللّغة اليابانية في الخارج والدراسات اليابانية في الخارج والتبادل الأكاديمي[3 4] وكانت المؤسسة الوحيدة التي أُنيط بها مسؤولية ترجمة ونشر التراث الثقافي الياباني عبر اللغات الأخرى، وقد لوحظ في السنوات الأخيرة أن وزارة الثقافة ووزارة الاقتصاد والتجارة والصناعة في اليابان، تقدمان دعمًا مهمًا للمؤسسات الأجنبية، التي تعنى بترجمة ونشر التراث الياباني، لذلك تبنت اليابان فلسفة النهوض السلمي أو (القوة النظيفة Soft Power) التي تشجع النشاط الاقتصادي، والحلول الدبلوماسية وليس العسكرية للنزاعات التاريخية الموروثة وكما تشجع نشر العلوم العصرية، والتكنولوجيا المتطورة، وثمرة ثورات

البيو- تكنولوجيا أو الجينيوم والإعلام والتواصل، وهي تحبذ التفاعل أو الحوار وليس الصدام بين الثقافات والحضارات [44]، وتقوم فلسفة (القوة النظيفة) على أساس التركيز على الطاقة الإبداعية الخفية لدى الشعوب وأبرزها التراث الثقافي، والقدرة على التواصل، والإبداع والمقولات الإيديولوجية التي تبرز شخصية الأمة وتميزها عبر العصور، ووسائل نشر المعلومات المقروءة والمسموعة والمرئية، وتنشيط قطاعات الخدمات المدنية، وتشجيع المؤسسات الاجتماعية وغيرها.

نخلص إلى القول إنّ اليابان أولت منذ القدم اهتمامًا خاصًا لنقل تجارب الشعوب الأخرى إلى الشعب الياباني، وكانت الترجمة العامل الأساس في حفظ وإحياء اللّغة اليابانية، ولم يكتف اليابانيون بنقل تلك التجارب بل نشروها على نطاق واسع، وحولوها إلى جزء لا يتجزأ من شخصية الإنسان الياباني، وهي شخصية مؤهلة للتعلم الدائم من تجارب الغير دون عقد أو مركبات نقص، فقد تبع اليابانيون نصيحة إمبراطورهم ميجي حين خاطبهم في بداية نهضة اليابان بقوله: (الحقوا بالغرب وتجاوزوه) فلحقوا به كتلميذ نجيب، وتجاوزوه على قاعدة الحكمة العربية الشهيرة (رب تلميذ فاق معلمه) فلقد ترجم اليابانيون واقتبسوا الكثير عن التراث الصيني، ثم ترجموا واقتبسوا بصورة أكثر عن التراث الغربي، بشقيه الأوروبي والأميركي، وهم يترجمون الآن الكثير من روائع التراث العربي والهندي والإفريقي وغيره، ولديهم جامعات ومراكز أبحاث متخصصة في مختلف حقول الترجمة والمعرفة.

لقد باتت الترجمة من بين أولويات دول العالم، لذا أضحت الحاجة ماسة إلى جعل الترجمة بمنزلة ساحة حقيقية لتفاعل الثقافات، والآراء والمقولات السياسية والفكرية والطبية وغيرها، وستؤدي الآلات العصرية المستخدمة في الترجمة الفورية دورًا ملحوظًا في تسهيل مهمة المترجمين دون أن تلغي الدور

الأساسي للمترجم في صياغة الأفكار، والمقولات العلمية الدقيقة، وتقديمها إلى القارئ بلغة مشرقة.

وتتولى شركة **(تاناي سيواكو)** المحدودة نشر محتويات المجلات العلمية مجانا، أما عن الترجمة إلى اليابانية، فتشرف عليها منذ 1998م هيئة **آسكا** (الساتل المتطور للكونيات والفيزياء الفلكية) ويقوم بها 15 مترجما ويبدأ العمل قبل صدور الطبعة الأمريكية بأسبوعين، إذ تتيح المجلة قائمة مؤقتة بالمحتويات، وهكذا يسند كل عنوان إلى مترجم يتم اختياره بعناية، حسب مجال اختصاصه [5 4]، علما أن هؤلاء المترجمين الخبراء يعيشون في أنحاء مختلفة من العالم، ولا مجال للتهاون أبدا، لأن المحتويات وخلاصات البحوث تصدر باليابانية مهما كانت الظروف.

ونظرا لأهمية المفاهيم المصطلحية، فإن مناقشات حامية تجري حول المقابل في اللّغة اليابانية ومتى تعذر التأكد من المعنى كاملا، بقيت على أصلها الإنگليزي، وقد يتم اللجوء إلى العالم الياباني الحائز على جائزة نوبل وله القول الفصل، ومن جهة أخرى تظل أسماء المؤلفين في أصلها بالحروف اللاتينية تسهيلا للرجوع إليها، فما أعظم هذه التجربة وما أحوج العرب إلى الاقتداء، وهل يمكن أن نستفيد منها لتسهيل نقل المصطلحات العلمية للّغة العربية؟

ويبقى عدم توحيد ترجمة المصطلح العلمي، ونقله نقلا دقيقا ومعبرا تعبيرا صحيحا عن مدلوله في غالبية الدول العربية، من أهم الأسباب التي تسهم في زيادة حدة الفجوة الثقافية بين العرب لغويا وقوميًا، بسبب غياب القرار السياسي الذي يوحد بين الشعوب العربية ولجوء كل دولة عربية إلى تبني مصطلحات ومفاهيم خاصة بكل قطر، ومنها ما يفهم على غير مدلولاته السليمة في القطر الآخر.

دروس وعبر: كل هذه العوامل التي ذكرناها جعلت اليابان يرتقي بلغته والعبرة هنا:

1- **اللّغة احترام لخصائصها:** إنّ اليابان التي استطاعت أن تنافس أكبر الدول الغربية، وحققت معجزة انبهر بها كل الدارسين والمهتمين بالتجربة اليابانية، إنّما كان من خلال لغتها القومية التي مكنتها من التدرج والصعود في امتلاك القاعدة الحقيقية للعلوم والتكنولوجيا، بالرغم من الصعوبة التي تواجه المتعلم الياباني، لكثرة مقاطعها وتعقّدها، إلا أنّ ذلك لم يمنعهم من ابتكار منطاق يستوعب تلك الحروف، ويعد غياب بعض الأصوات في اللّغة اليابانية هاجسا لدى اليابانيين لعدم قدرتهم على نطق بعض الكلمات الإنڨليزية، رغم ذلك استطاعت لغتهم أن تستوعب المصطلحات العلمية للغات الأخرى، من هنا يتضح لنا جليا أنّ الحفاظ على خصوصيات اللّغة ضروري على مستعمليها، وما الحملة الحاقدة على اللّغة العربية إلا وهم، وذريعة يتستر وراءها المعادون لها فباللّغة العربية شهدت الإنسانية حضارة عالمية شامخة في الماضي وأصبح جليا مدى مقدرتها على استيعاب مصطلحات التقانة المعاصرة، واحتواء ألفاظ الحضارة، وأضحى لزاما وواجبا علميا إذا أردنا نهضة علمية في مستقبل أمتنا العودة إلى لغتنا بغض النظر عن الإدعاءات القائلة بصعوبتها، ولعل تجربة اليابان في الاعتماد على لغته من الأدلة المشجعة على إمكانية التعريب في الوطن العربي.

2- **اللّغة استعمال وإنتاج:** لقد أشرنا فيما سبق إلى مستويات الحديث في اللّغة اليابانية، وقلنا بإنّ اللّغة التي يتكلمها الياباني لا تختلف اختلافا كبيرا عما يتعلمه في المدرسة، فالاستعمال حفظ اللّغة اليابانية وجعلها لغة طبيعية، إذ إنّ الدراسات اللّسانية المعاصرة أكدت هذه النقطة، فوجود الحمام اللّغوي ضروري لحياة اللّغة، إضافة إلى أنّ المبدعين اليابانيين يكتبون بلغتهم في مجال الأدب والعلوم ولم تكن اللّغة يوما عائقا أمامهم؛ لأنهم على وعي كامل بأنّه لن يحصل لهم تطور وتقدم ورقي إلا بلغتهم القومية. فما أحوجنا إلى هذه الميزة التي يفتقدها أبناء أمتنا العربية، الذين يرضون اللّغات الأجنبية منفى لهويتهم، ونرى خليطا لغويا يعبر عن انفصام في الشخصية العربية. ومن هنا نقول: ألم يحن

الوقت أن ننزل العربية منزلتها؟ فتصبح لغة قادرة على التعبير على كافة المضامين المستعملة في المجتمع، والعودة إلى اللّغة العربية التي تعبر عن شخصيتنا وهويتنا.

3- اللّغة تحيى بالترجمة منها وإليها: يمكن القول إنّ النهضة التي عرفتها اليابان كانت وراء حركة الترجمة التي لعبت دورا إيجابيا في نقل العلوم والتكنولوجيا، وتطعيم اللّغة اليابانية بمصطلحات جديدة مكّنتها من مسايرة تطورات العصر، كما كان للترجمة الآلية التي اعتمدتها اليابان رغبة منها في الحصول على العلوم في أقصر وقت ممكن، إن في التجربة اليابانية في الترجمة الدقيقة المستوعبة للمعنى الأصلي، لقدوة حسنة وعبرة تعتبر، فعلى سبيل المثال فإن مجلة علوم التي تصدرها الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم تكتسي أهمية قصوى بالنسبة للعالِم الياباني، لذا فإن من يهمهم الأمر من أولي العلم يحرصون الحرص كله لمعرفة فحواها تمهيدا للاطلاع على مضمونها في وقتها ولهذا الغرض أصبح جدول محتوياتها يصدر باليابانية على شبكة الإنترنت منذ عام 1998م، بعد مرور اثنتي عشرة (12) ساعة على صدور المجلة بالإنكليزية وعادة ما تتوفر للعلماء اليابانيين الطبعة الورقية بعد زملائهم الأمريكيين بعدة أيام وإنّ عنصر السرعة مهم، ذلك أن الاعتراف بالإنجاز والابتكار العلميين متوقف عليه وبقراءة المحتويات وخلاصة الأبحاث في لغتهم، عوضا عن النص الإنكليزي فإنهم يوفرون الجهد والوقت. ألا يمكن أن نعتبر؟ وقد كنا ذات يوم نملك بيت الحكمة الذي يعد تجمعًا لكبار المفكرين والمترجمين والعلماء وفيه بدأت عمليات الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية، حيث تم تأليف الكثير من كتب الفكر والعلوم وترجمتها، مما أهّل المسلمين لاستقبال الفكر الإنساني في أبلغ مصادره، وظهر أثره على الفكر العالمي والإنتاج الغربي المعاصر.

4- اللّغة شخصية وتميّز: إنّ اللّغة هي الوسيلة الوحيدة التي تعبر عن شخصية الفرد وتميزه عن غيره، فلا يمكن أن تكون خصوصية ثقافية لأية أمة من دون سيادة لغتها القومية التي تعبر عنها تعبيرا يعكس تفردها، ولا يمكن أبداً أن تحقق أمة من الأمم تنمية اقتصادية واجتماعية ناجحة بغير لغتها القومية فاليابان حققت ذلك بلغتها ذات العشرة آلاف حرف، والصين بلغتها ذات الأربعة والأربعين ألف حرف، واليهود، وفيتنام وكوريا أبرز أمثلة حديثة على ذلك، ومن المفيد أن نذكر بأن مختلف الدراسات التربوية والاجتماعية التي عالجت تأثير اللّغة على المجتمعات أكدت استحالة تحقيق التقدم باللّغة الأجنبية، كما أنّ استيعاب الدروس يكون أكبر عندما يتعلم الطالب بلغته القومية، وهذا يدل على ضرورة العودة إلى اللّغة العربية التي تعكس شخصيتنا، وتميّزنا عن غيرنا.

خاتمة: مما تقدم ذكره يمكن أن نقول إنّ اليابان أبدت درجة عالية من التماسك لا مثيل له في العالم فالتجانس القومي، واللّغوي، والديني في اليابان أكبر على الأرجح مما هو عليه في أي دولة أخرى في العالم، ويعد موقف اليابان من لغتها نموذجا للنضال ضد هيمنة القطب اللّغوي الأوحد ونقصد به اللّغة الإنگليزية، فبالرغم من كل انجازاتها في مجال الصناعات الثقيلة، والاتصالات والإلكترونيات الدقيقة، إلا أنها أيقنت أنّ مصيرها في عصرنا الحالي رُهن بمصير اللّغة اليابانية وتوالت جهود اليابان كرد فعل تكنولوجي يهدف إلى كسر هيمنة اللّغة الإنگليزية، ولم تتوقف جهودهم عند الدفاع عن لغتهم، إذ راحوا يركزون على تكنولوجيا الترجمة الآلية لنقل المعرفة الغربية من جانب ومن جانب آخر نراهم يستغلون تفوقهم التكنولوجي في مجال المعلوميات، من أجل انتزاع الزعامة اللّغوية.

ومن خلال دراستنا يتضح لنا أنّه ليس من المهم أن تصبح دولة ما من الدول المتقدمة أن تمتلك ترسانة عسكرية، وقنابل نووية، وأراضي شاسعة، ولكن إذا عرفت كيف تستثمر طاقاتها البشرية والطبيعية، والاعتماد الكامل على

الذات، وأن تعرف كيف توظف ما تنقله من التكنولوجيا وأن يكون غذاء شعبها الروحي والمادي الوحيد هو الانتماء لقوميتها، واحترام وتقديس هويتها ولغتها، التي من دونهما يستحيل اللّحاق بالأمم، وما تحدثت عن اليابان إلا لأضرب مثلاً لإرادة التحدّي، والتمسك بقوميتهم وهويتهم، فانطلقوا يواجهون التحدّي بتحدٍ أكبر، والتطور بتطور أحدث، ويجعلون من بلادهم أجمل بلاد الدنيا، ويعتبرون أنفسهم أصحاب رسالة إلى هذه الدّنيا ونعم الاعتقاد.

أليس هذا وحده سر تحول اليابان من دولة محتلة فقيرة مدمّرة، إلى عملاق اقتصادي في ظرف قياسي؟

كما أردت من خلال عرضي لتجربة اليابان في إحياء لغتها، أن أضرب مثلا بدولة لا تملك أي مقومات للبقاء، ولا أي مؤهلات للقيادة، ولا تملك 1٪ من مقومات ولاية من ولايات الجزائر فضلاً عن أنّها دُمّرت بالقنبلة الذرية، لتتأكد لنا حقيقة مفادها، أنّ القنابل الذرية لا تميت شعوباً تريد أن تحيا حياةً كريمة ولا تقتل شعوبا ترفض أن تفرط في حريتها. **بل إنّ الشعوب تموت فقط عندما تفرط في هويتها ولغتها**... هنا فقط تموت الشعوب.

وإن الشعوب الحيّة هي التي تُعلي من شأن لغاتها وتدفعها إلى الصدارة وليس هنالك لغات حية ولغات غير حية، بل إن هناك شعوبا حية وأخرى تريد أن تموت، ومن خصائص الشعوب الحية أنها تتخذ ما تستطيع من إجراءات للحفاظ على لغاتها وتدافع عنها في وجه هيمنة اللغات الأجنبية.

فما أحوجنا إلى هذه الدروس، لتعود لنا ثقتنا في أنفسنا، ولنعرف كيف ننطلق إلى غدٍ مشرقٍ بلغتنا العربية.

الهوامش:

1 – محمد الخطيب، التجربة اليابانية (رؤية إسلامية) ط:1. القاهرة:1994، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ص60.

2 – أودين أولد فاذر ريشاور، تاريخ اليابان من الجذور إلى هيروشيما، ط:1. تر: يوسف شلب دمشق: 2000 منشورات دار علاء الدين، ص7.

3 – عبد العزيز عبد الستار تركستاني، محاولة لفهم الشخصية اليابانية من منظور عربي- إسلامي، دط السعودية:2007، دار المفردات للنشر، ص18.

4 – المرجع نفسه، ص20.

5 – أدوين رايشاور، اليابانيون، تر: ليلى الجبالي، الكويت: 1989، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ص285.

♠ – لفظة الميجي تعني في اليابانية، الحكومة المستنيرة، وقد وضعت هذه التسمية في عهد الحاكم موتسوهيتو واستمرت بعده، واعتمد على نخبة مثقفة منفتحة على الغرب ومتمكنة من العلوم الغربية ومتشبعة بالثقافة التقليدية، وتم استقدام ضباط فرنسيين وبريطانيين لتحديث الجيش، كما أرسل بعثات طلابية إلى البلدان الأخرى لدراسة العلوم ونظم الحكم والمؤسسات فصارت اليابان قوة ذات مكانة دولية.

6 – فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان، دط، مصر:1988، دار الكتب المصرية ص75.

7 - JEAN Chesneaux, L’asie orientale aux XIXeme et XXeme siècles, 2eme edition. France : 1973 , presses universitaire de France , p159

8 – فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان، ص75.

9 – أدوين رايشاور، اليابانيون، ص 112.

10 – فلوريان كولماس، اللّغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، الكويت: 2000، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة، ص46.

11 – أودين أولد فاذر ريشاور، تاريخ اليابان من الجذور إلى هيروشيما، ص9.

12 – هلين ميرز، اليابان، دط. تر: عفاف محمد فؤاد، مصر:1996، دار المعارف، ص44.

13 – هارون السوالقة، أساسيات اللغة اليابانية وقواعدها، دط. شيزوكا:2004، ص8. من موقع www.goruano.com، تاريخ الإنزال: 2011/01/12.

14 – أودين أولد فاذر ريشاور، تاريخ اليابان من الجذور إلى هيروشيما، ص27.

15 – هارون السوالقة، أساسيات اللغة اليابانية و قواعدها، المرجع السابق، ص5.

16 – هلين ميرز، اليابان، ص46.

17 – هارون السوالقة، أساسيات اللغة اليابانية وقواعدها، المرجع السابق، ص13.

18 – المرجع نفسه، ص13.

♦ – منطقة الثقل السكاني وتضم أكبر مدينتين في اليابان (طوكيو) و(يوكوهاما)

19 – أودين أولد فاذر ريشاور، تاريخ اليابان من الجذور إلى هيروشيما، ص27.

20 – إزراف ڤوجل، المعجزة اليابانية، مصر: 1996، تر: يحي زكريا، الهيئة المصرية للكتاب ص46.

21 – عبد الرحمان الأحمد، وآخرون، التعليم في اليابان: تطوره التاريخي ونظامه الحالي الكويت:1983، دار العلم ص17.

22 – مسعود ظاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية (تشابه المقدمات واختلاف النتائج) الكويت:1999، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد:252 ص285.

23 – فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان، المرجع السابق، ص254.

24- Edwin O.Reischaur , Histoire du japon et des japonnais du 1945 à 1970, traduit de l'américain et annoté par Richard Dubreuil, France : 1973, Edition du seuil, P 25-26

25 – فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان، ص253.

26 – مسعود ظاهر، "النهضة العربية والنهضة اليابانية"، المرجع السابق، ص289

27 – هوايت ميري، التربية والتحدي التجربة اليابانية، مصر:1991، تر: سعيد مرسي، عالم الكتب، ص108.

28 – المرجع نفسه، ص285.

29 – الطاهر عمري، "المتغير الثقافي والإصلاح التربوي قراءة في تجربة اليابان"، قسنطينة: 2005، مجلة منتدى الأستاذ، العدد الأول، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ص137.

30 – إزراف ڤوجل، المعجزة اليابانية، المرجع السابق، ص253.

31– هوايت ميري، التربية والتحدي التجربة اليابانية، ص131.

32 – إزراف ڤوجل، المعجزة اليابانية، المرجع السابق، ص259.

33 – المرجع نفسه، ص197–198.

34 – المرجع نفسه، ص1.

35 – داخل حسن جريو،" كتابات ثقافية"، العراق:2005، المجمع العلمي العراقي، ص59.

36 – إزراف ڤوجل، المعجزة اليابانية، ص44.

37 – محمد الخطيب، التجربة اليابانية رؤية إسلامية، ص59.

38 – إزراف ڤوجل، المعجزة اليابانية، ص18.

39– حسام الخطيب، "الترجمة الآلية وتعريب العلوم محاولة لكلمة فاصلة"، ندوة المسئولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، جامعة عدن– اليمن، 2002/10/29/27، ص5.

40 – مسعود ظاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية (تشابه المقدمات واختلاف النتائج) الكويت:1999، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد252 ص286.

41 – مسعود ظاهر،" الترجمة وأثرها في تطوير البحث العلمي في اليابان"، ص4.

42 – المرجع نفسه، ص4.

43 – مؤسسة اليابان، من موقع: http/ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الإنزال: 2011/01/12.

44– مسعود ظاهر، المرجع السابق4.

45 – محمد الديداوي، "إشكالية وضع المصطلح المتخصص وتوحيده وتوصيله وتفهيمه وحوسبته"، جنيف، مكتب الأمم المتحدة، ص10.

التّخطيط للّغة العربيّة في ظلّ الواقع اللّغويّ في الجزائر

محمّد حرّاث

جامعة تيزي وزّو

المقدمة: إنّ أهمّية اللغة العربية تكمن في أنها تؤكّد هُويتنا، تلك الهوية التي تجمع العرب من المحيط إلى الخليج، والتي لولاها لضاعت المعالم، ومن هنا كان الحرص عند كثير من الأمم على العناية بلسانها، وتنقيته من كل ما يشوبه، والواقع أن ما آل إليه اليوم حالنا أشبه بارتداد عن الاهتمام باللغة العربية نطقا وكتابةً، بعد أن كان الإقبال عليها هو الأصل. ولذا وجب على أهل الاختصاص، وعلى كل الفئات الاهتمام باللغة العربية، ورسم معالم واضحة مستقبلية تحفظ لها قواعدها، وترمم لنا أركانها، وذلك ما يسمى اصطلاحا: **التخطيط اللغوي**، أو **التخطيط للغة**، وما هذه المجامع والمؤسسات اللغوية إلا دليل واضح على أن فكرة التخطيط قد طرحت فعلا في الساحة، وهي الآن في المخابر تُتَداوَل وتدرس. إنّ ما يفرض علينا التخطيط للغة العربية، ويحتم علينا الاهتمام بمستقبلها، ليس لأنها وسيلة تواصل وتفاهم فقط بين الأفراد، وإنما هي وعاء هذا الدين، وحافظته، لذلك كان واجبا علينا نحن الباحثين في اللغة العربية إتمام ما بدأه أسلافنا، إذْ كان لهم باع طويل، وقدم راسخة في الذود عن بيضة اللغة العربية، والمنافحة عن حياضها.

مفهوم التخطيط اللغوي: لغة: قال ابن منظور: والخطُّ: الطريق، يقال: الزم ذلك الخطَّ، ولا تظلم عنه شيئا؛ قال أبو صخر الهذلي:

صُدُود القُلاص الأُدْمِ في ليلةِ الدُّجَى ❖ عن الخَطِّ لم يَسْرُب لها الخَطُّ سارِبُ

والخُطَّةُ بالضم: شبه القصة والأمر، يقال: سُمْتُه خُطَّةَ خَسْفٍ وخُطَّةَ سَوْءٍ قال تَأَبَّطَ شَرّاً:

هما خطَّتا إمَّا إسارٌ ومنَّةٌ ❖ وإمَّا دمٌ والقَتْلُ بالحُرِّ أجْدَرُ

أراد: خُطَّتانِ فحذف النون استخفافا. قال الأصمعي: من أمثالهم في الاعتزام على الحاجة جاء فلان وفي رأسه خُطَّةٌ إذا جاء وفي نفسه حاجةٌ وقد عزم عليها. وفي النوادر: يقال: أقم على هذا الأمر بخُطَّةٍ وبحجة معناهما واحد وقولهم: خُطَّةٌ نائيةٌ؛ أي: مقصد بعيد [1]. وهذا التعريف لا يبتعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي.

اصطلاحا: لا يخرج التخطيط في جوهره عن كونه عملية منظمة واعية لاختيار أحسن الحلول الممكنة، بغية الوصول إلى أهداف مسطرة، وبعبارة أخرى هو عملية ترتيب الأولويات في ضوء الإمكانات المادية والبشرية المتاحة وينبغي هنا أن نفرق بين التخطيط والخطة فالتخطيط عملية مستمرة، أما الخطة فهي وضع التخطيط في صورة برنامج موقوت بمراحل وخطوات وتحديد زمني ومكاني، والتخطيط قد يكون طويل المدى، أو قصير المدى، وقد يكون شاملا لكل القطاعات، وقد يكون على الصعيد القومي أو الإقليمي، أو المحلي. أمّا التخطيط اللغوي فهو مجرد محاولةٍ لبسط نوع من النفوذ؛ بقصد التأثير بصورة سريعة، وأكثر كثافة واطّرادا، وهو منهجية لتنظيم اللغات الموجودة، وتحسينها، أو لإنشاء لغات مشتركة جهوية أو وطنية أو دولية [2]. كما أنّ التخطيط اللّغوي هو تدبير للتحول اللغوي، سواء أمسّ التّحول المنظومة اللغوية، أم الخطاب اللغويّ، أم كليهما، وتتكلف ببرمجة التحول أجهزة تقام خصيصا لأغراض التخطيط، وتُفوّضُ رسميّا لذلك، "وقد أولت المجتمعات المعاصرة للغة الوطنية وتخطيط السياسة اللغوية اهتماما بالغا وذلك بـ:

- تشجيع المؤسسات العامة على ترقية وتطوير اللغة أو اللغات.
- جرد الحاجات وتحديد الأولويات.
- تحديد الأهداف والغايات القريبة والبعيدة.
- اختيار الوسائل لتحقيق تلك الأهداف.

○رصد ميزانية وموارد بشرية رافدة لذلك.

○متابعة تنفيذ الخطة الموضوعة [3].

ويعدّ التخطيط اللغوي فرعا من فروع اللسانيات الاجتماعية التي تُعنى بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع، ومدى تأثّر كلٍّ منهما بالآخر، ويُعنى التخطيط اللغوي بدراسة المشكلات التي تواجه اللغة، سواء أكانت مشكلات لغوية بحتة؛ كتوليد المفردات وتحديثها، وبناء المصطلحات وتوحيدها، أم مشكلات غير لغويّة ذات مساس باللغة واستعمالها [4]. ومن الجدير ذكره أن ظهور علم التخطيط اللغويّ قد تزامن مع تقدّم العلوم الاجتماعية والاقتصادية، والذي أدّى إلى تأثّر علماء التخطيط اللغوي بتلك العلوم، وخصوصا تلك التي تبحث في طرائق تطوير دول العالم النامية، وتحديثها اقتصاديا، واجتماعيا، وتربويا وثقافيا، وعلميا، ولغويا، وهكذا نرى أن التزامن أدى إلى تأثر علم التخطيط بمعطيات العلوم المعرفية المتعددة، كالاجتماع، والاقتصاد والسياسة، والتربية والنفس، واللغويات. وليس من الغريب أن نرى هذا التكامل بين العلوم لأن مدارها هو الإنسان، وهذا الإنسان لا يستغني عن لغة يعبّر بها عن أفكاره وحاجاته وثقافته، وحضارته، [5]وما هدف التخطيط اللغوي إلا حلّ المشكلات اللغوية وغير اللغوية التي تعترض الإنسان بوصفه فردا، والشعوب والدول بوصفها مجموعات بشرية تتفاعل مع بعضها.

وإن الارتباط العضوي الحيويّ بين الإنسان واللغة هو الذي أعطى دراسة اللغة ومشكلاتها الأهمّية القصوى الخاصة بها، أو المتعلقة بمستخدميها، ومن الجدير ذكره أن الدراسات المتعلقة بالمشكلات اللغوية وحلولها في مختلف البلدان قد أفرزت أدبا جمّا، وقدّمت أُطرا نظريّة تجعل من التخطيط اللغوي علما له أصوله وتطبيقاته وفوائده الجمّة [6] وليس شيئا عارضا.

إستراتيجية التخطيط: وهي تتضمن:

أولا: تحديد الأهداف بوضوح، وعلى أساسها تتبني الخطة.

ثانيا: ترتيب الأولويات؛ أي اختيار القطاعات والعمليات التي تُعطى أولوية على غيرها في الخطة، وهو عنصر حيويّ في إستراتيجية التخطيط، وتتحكم فيه بالدرجة الأولى الإمكانات المادية.

ثالثا: التّنبّؤ باحتمالات المستقبل والظروف المختلفة التي ستنجز فيها الخطّة، واحتمالات التغيير في الظروف أو الشروط أو الإمكانات.

رابعا: الشمول؛ أي تقدير الجوانب المختلفة؛ من حساب الإمكانات المادية والبشرية والظروف الاجتماعية.

خامسا: الواقعية؛ أي أن تكون تقديرات الخطة وحساباتها مراعية لظروف الواقع ومتماشيةً مع الظروف الفعليّة والعملية.

سادسا: المرونة؛ بمعنى وجود قدر يسمح بالحركة، ومواجهة التغييرات غير المتوقعة التي يمكن أن تحدث للخطة.

سابعا: المتابعة والتقويم[7]؛ بمعنى ملاحظة الخطة في واقع تطبيقها، والتغلّب على ما يواجهها من مشاكل، والاستفادة من الخبرة الماضية في عمل الخطة.

يبدأ التخطيط بتعيين المشكل اللغوي، وتحديد المحيطات المجتمعية التي تتطلب نشاطا تخطيطيا، وتدبيرا للثروات اللغوية، فالوظيفة الأولى والأساس في التخطيط: حلّ المشكلات اللغويّة، وإيجاد معالجة ملائمة تكون الأفضل والأحسن بالمقارنة مع غيرها. ومن الخصائص أيضا البرمجة المسبقة، بمعنى أن الاستراتيجيات والمشاريع ينبغي أن تُحدّد بتفصيل مقدّم حتّى لا تعرف الخطط الشّكّ أو المجازفة، ويكون ذلك بإمكان إعادة صياغة الأوضاع الجديدة بحسب ما تكشف عنه الاحتياجات، ومراقبة ما تمّ إنجازه، ومحاولة تقييم فعاليته وتأثيره. ويعدّ التّنفيذ خطوةً ثالثة في التّخطيط، وبعده يأتي التقييم، ومعرفة سير الخطّة إنْ كانت قد اشتغلت في الواقع أم لا.

وإنّ من أهمّ المكوّنات الأساس للتّخطيط اللّغويّ هي تحديد اللّغة المراد التّخطيط لها ثمّ وضع سياسة لغويّة واضحة، ومحدّدة وشاملة، وشموليّة السياسة اللغويّة هي أنْ تضع في اعتباراتها كلّ المتغيّرات الاجتماعية، ثمّ تأتي بعد ذلك مرحلة تنفيذ السياسة، ثمّ التّقويم المستمرّ لهذه السّياسة، على أن تبقى في هدفها الذي وُضعت من أجله، وهو حماية اللغة من المفردات الواردة، أو إصلاحها، أو إنعاشها، أو تحديثها، ودعم عرى التّواصل بين الأمم التي يجمعها لسان واحد.

التسامح اللغويّ: هو المزلق الكبير إن وقعت فيه لغةٌ ما واستشرى فيها هذا الدّاء فقدت بنيتها الصّحيحة، وهويّتها الأصيلة، فإذا تسامح أهل العربيّة في دخول مصطلحات أعجميّة أو حتّى عامّية إلى حمى لغتنا من باب التّسامح والتّبادل غير المدروس بين اللغات ضاعت العربيّة وضاعت معها هويّتنا ووحدتنا العربية، وفقدنا صلتنا بتراثنا. غير أنّ هناك تسامحا نقبله، وهو أنْ تسمح اللغة العربية بدخول كلمات أجنبيّة يصعب ترجمتها وإيجاد المرادف العربي لها وهذا ما قد حدث في تاريخ العربية، فقد أدخل العرب عدة مفردات من لغات غيرهم على الرغم من اعتزازهم بلغتهم وغيرتهم عليها؛ وذلك لأنّ هذه المفردات كانت شائعةً في الاستعمال، بل قل: ضرورية في الاستعمال اليومي، مثل كلمة **قلم** المأخوذة من اللاتينية **Calamus**، والخان، الخوان، الإبريق المسك، البريد... وهي كلمات مأخوذة عن اللغة الفارسية، وغيرها الكثير، وثّقها العرب في كتبهم، ونسبوها إلى الأمم التي أخذوها منها.

إنّ هذا التّسامح سمح بتغذية اللغة وتطعيمها، وجعلها كيانا حيويا لا جامدا متحجرا لكن هذا التّسامح يختلف اختلافا كبيرا عن التقليد الأعمى والاقتراض المتهوّر للمفردات الأجنبية، والاستغناء عن المفردة العربية الفصيحة فإذا كانت اللغة العربية تملك المرادف المناسب الصحيح والفصيح، فعلينا استعماله، والمحافظة عليه، ولا يكون الاقتراض إلاّ في المصطلحات الجديدة الّتي لا نملك لها نظيرا في لغتنا، أو يصعب ترجمته وتعريبه.

الحتمية اللغويّة: إنّ اللغة التي تفرض نفسها على غيرها من اللغات هي اللغة الأكثر تحضُّرا والتي يكون الناطقون بها مبدعين فنيا وتقنيا، يملكون تفكيرا سليما، وذهنا متفتّحا، هذه اللغة هي التي ستسود، سواء أكانت لغة المنتصر أم لغة المنهزم.

إنّ رقيّ لغةٍ ما مرهونٌ برقيّ المجتمع كلّه، والأمّة جمعاء، فإذا كانت الأمّة متخلّفةً وهي تعيش بين أمم بلغت من التّقدّم والرّقيّ شأوًا كبيرا؛ فأنّى لهذه الأمّة المتخلّفة أنْ تحافظ على لغتها؟! بل سيُفرَضُ عليها الغزو الثّقافي، - والغزو اللغوي خاصّة- فرضا قهريا، بل إنّ أفرادها سيختارون لغةَ الآخر على حساب لغتهم التي يرونها متخلفة لا تستجيب لمتطلبات الحضارة المعاصرة، كيف لا يختارونها وهم يرونها لغة السلع والبضائع والإعلانات والإشهارات والقنوات والكبتار والشابكة، وهذا بالفعل ما يحدث للأسف في وطننا العربي؛ إذْ وجدنا أنفسنا - إمّا اختيارا أو اضطرارا- نميل إلى استعمال اللغات الأجنبية في كبائر الأمور متخلّين عن لغتنا. والنّاظر في بلدنا إلى المصانع والمؤسسات الاقتصادية والتجارية والتكنولوجية والعلمية الدقيقة يظهر له المر بجلاء والخطير في الأمر أنه كلما زاد التقليد اللغوي عند أبنائنا لغيرهم زادت اللغات الأجنبية تغلغلا في اللغة الأم، بل سيأتي يوم يبدأ التفكير في الاستعاضة عن هذه اللغة باللغات الأجنبية القويّة، وإنْ كان هذا حدث ولو جزئيا في بعض دول الخليج التي تعتمد اللغة الإنجليزية في أكثر معاملاتها، وبخاصة الخارجية.

إنّ هذا الانهزام اللغوي الذي يعيشه أبناؤنا في وطننا العربي لم ينتج عن انهزامنا ماديا واقتصاديا وعسكريا وسياسيا، بل نتج عن انهزامنا ثقافيا وحضاريا، وهذا لعمري أخطر وأولى بأنْ يُعالج ويُتدارك سريعا؛ لأنّه سيمسّ ثوابت الأمّة، ويزحزح أركانها. إنّ هذه الأمة التي هذا حالها ستندثر لا محالة وهذا ما نسمّيه بالحتميّة اللغوية، اللهمّ إلاّ "إذا كانت بعض الأعمال المبدعة قد

كُتبت بهذه اللغة عندما كانت أمّتها في حالة سمو ورقي" [8] وهذا ما حدث في لغتنا العربية؛ إذْ لولا القرآن العظيم لاندثرت اللغة العربية منذ قرون.

الواقع اللغوي في الجزائر: إنّ ما آل إليه حالنا، وحال لغتنا، لشيء مؤلم ولقد آلت العربية إلى هذا المآل بعد أنْ كانت منتشرةً بكلماتها، وتعبيراتها في كثير من البيئات اللغويّة، ومنها التركيّة والفارسيّة، والألبانية، والمالطيّة والسّواحليّة، والأرديّة، وبعد أن كانت تكتب بحروفها لغاتٌ منها: الألبانية والتركية والفارسيّة والأرديّة. لقد كانت القضيّة في الرّبع الأول من القرن العشرين هي مدى قدرة العربية على استيعاب المصطلحات العلميّة الحديثة وأسماء الآلات المختلفة، والمخترعات المتجدّدة. لكنّ اليوم صارت القضيّة قضيّة موت أو حياة، فاللغة العربية أغفلت في هذا العصر تماما، وصار مثقفونا المفرنسون يعافون أن يتحدثوا بها ويفتخرون حين يجدون مصطلحا بالأجنبية ولا يجدون له مقابلا في العربية، ليفتخروا على السّامع أنّهم يتقنون اللغة الرّاقية – عندهم- مما جعلهم يغفلون عن لغتنا – رمز هوّيتنا- .

ولو ألقينا نظرة متفحّصة على واقع اللغة في المجتمع الجزائري فسنكتشف جملة من الميزات التي تظهر على هذا الواقع؛ إذْ يُمكن تمييز أربع أنساق لغوية منتشرة في المجتمع الجزائري؛ وهي: اللغة العربية الفصحى، واللغة المازيغية وفق تفرعاتها الجهوية، واللهجة الدارجة، والفرنسية. أمّا بالنسبة للسان المازيغي فهنالك إشكال عالق في أوساط علماء اللغة واللسانيات في الجزائر وهو الجدلية القائمة بخصوص ما إذا كان يتوجب تصنيف هذا النسق اللغوي في خانة اللغة أو تصنيفه في خانة اللهجة؛ بسبب افتقاره إلى نظام رمزي هجائي وقواعد نحوية وصرفية موحدة بين جميع مستخدمي هذا النسق على الصّعيد الوطني، لذلك يرى بعضهم أنه مجموعة من اللهجات المحلية، وأمّا بالنسبة للهجة العامية الجزائرية فهي مزيج هائل مستمد من العربية الفصحى والمازيغية والفرنسية وحتى بعض الرواسب اللغوية التركية؛ بسبب الاتساع الجغرافي

للجزائر، واختلاف أنماطها المعيشية والثقافية باختلاف مناطقها، فالدارجة الجزائرية نفسها تختلف بأشكال طفيفة أحيانا ومتفاوتة أحيانا أخرى، بحسب تقارب المناطق من بعضها أو العكس، سواء على صعيد التراكيب أم المضامين أم على الصعيد النطقي والصوتي [9].

1/- العربية الفصحى: إذا ما حاولنا إلقاء نظرة عامّة خاطفة على وضع اللغة في بعض المجالات الحياتيّة لمجتمعنا نجدها للأسف شيئا يحزّ في النّفس وتتقطّع له أكباد الغيورين عليها، وتنفطر قلوبهم لها. إنّ الحديث عن موقف المثقّفين من أداتهم اللغويّة حديث فيه من العبرات أكثر مما فيه من الخبرات فعلى الرّغم من جهادهم في مجالات متعدّدة، إلا أنّنا كنّا نرجو لهذا الجهاد أن يشمل الإصرار على سلامة اللغة والعناية بها" [10]، فواقع اللغة عند المثقفين فيه من الحسرة والتّأسّف ما لم نلمسه عند غيرهم، إذْ هم الذين ننتظر منهم أنْ تنتصر اللغة على أيديهم.

إنّ العلة تكمن في مستعملي اللغة لا في اللغة ذاتها، غير أنّ المثقّف أخطر من غير المثقّف حينما يخطئان في الاستعمال اللّغويّ؛ ذلك أنّ الرّجل المثقّف له القدرة على "تبرير ما يقول وما يفعل، إنّ الرّجل العادي إذا أخطأ وصوّبنا له خطأه امتنّ لهذا التّصويب، أمّا بعض المثقّفين فإنّك تراهم لا يلقون بالا لهذه التّصويبات، رافعين عقيرتهم بأنّ الشّيء المهمّ هو طرح الفكرة، وتوصيلها إلى المتلقّين" [11] وقس هذا الوضع على مدارسنا وجامعاتنا، ودُور الثقافة فالأستاذ الجامعيّ حتّى في تخصّص اللغة العربية يحاضر بالعامّية، أو بتلك الفصحى العرجاء وهي التي سُكّنت أواخر كلمها، بل حتى معظم أوائل كلماتها على سليقة العامّية، وقس على ذلك الأخطاء الفادحة في اللافتات في الحيّ الجامعي وفي الأقسام والكلّيات، مثل: (إلزمو الصمت، الاستقبال، ممنوع الجلوس/ الدّخول/ التّدخين، خاص إلا بالإداريين ...) وفي معظم المرافق العموميّة؛ نحو: (مخرج النّجات، سوق تيجاري، دخول/خروج ...)♥. ولقد استُبيحت اللغة العربية

بيد حرّاسها، وفي عقر دارها، وعلى الجامعيين أن يتنبّهوا إلى ذلك جيّدا بمحافظتهم على عروبة لسانهم، فهم فئة مرموقةٌ ضمن مجتمع يحاول الكثير من أبنائه تقليد اللغات الأجنبية، وعلى الأساتيذ قبل الطّلبة والدّارسين –بعيدا عن مجال المصطلح العلميّ- أن يؤكّدوا على استخدام اللسان العربي، ويا حبّذا لو أخذت الجامعات بما سبق أن طرحه **محمود تيمور** من أسماء عربية للشّهادات الجامعيّة على النّحو الآتي:

الدّيبلوم = البراءة/الليسانس= العالية/الماجستير= العالميّة/الدّكتوراه = الأستاذية [2] [1].

وأريد أن أنطلق من نقطة أراها مهمة وذات أبعاد خطيرة؛ وهي أنّ اللغة الفصحى في تعاملاتنا اليومية نعلم جميعاً أنه لا وجود لها، لكن ما يؤسف له أنها قد تأتي على لسان بعضهم في سياق التّهكم والسخرية، ويوظفها لافظها كأنها لغةٌ غريبةٌ، أو أنها لا تحقق التواصلَ الفعال، ويجعلُها لغةً خاصة في أماكن وأوقاتٍ محدّدة، ومنهم من يسمّيها لغةَ الدين. ونحن أحوج اليوم إلى تحرُّكين مهمين؛ هما أولاً: محاولة تخليص عاميتنا من الألفاظ الأجنبية وهذا التّحرك ضروريّ، ويجب أن يتم بسرعة، اليومَ قبل الغد، وأما التحرك الثاني فهو أشبه بالتخطيط اللغوي، فليس عيباً ولا صعباً أن تحلّ الفصحى تدريجياً محلّ العامية، ولِمَ لا نتكلّم الفصحى ولو بنطقها العامّي، أو التّصويت العامي هذا إذا كانت لدينا الغيرة على لغتنا والغيرة على هويتنا العربية. وهذا الواقع المرير هو الذي فرض علينا النظر في اللغة العربية واستشراف مستقبلها والتخطيط لها حتى تكون على المستوى الذي يجب أن تكون عليه. إنّ اللغة العربية في الجزائر تحتاج إلى ركائز تستند إليها؛ منها:

1. سنّ القوانين، وإصدار القرارات التي تحميها، وتعمل على تفعيلها وتدعيم انتشارها وتعليمها.

2. الإبداع بها؛ وهو نداء موجّه إلى أصحاب الإبداع بمختلف ميادينهم شعراءَ كانوا أو روائيين أو كتابا، أو مسرحيين أو غيرهم، بأنْ يحافظوا على اللغة العربية، ويعملوا على ترقيتها من خلال أعمالهم وإبداعاتهم.

3. إقامة المؤسسات المتخصّصة في دراسة اللغة؛ من ترجمةٍ وتعريبٍ وإصلاحٍ وتخطيطٍ وتفكيرٍ في مستقبلها.

4. العمل على إدخال العربية إلى عالم المعلوميات والبرامج الحاسوبية والمناطيق.

2/- العامية/الدارجة: إذا ما جئنا نطالب باستعمال اللغة العربية، قالوا إنها مستعملة، ألا ترون أنْ جميع الدول العربية تتكلم العربية؟ ناسين أو متناسين أنّ هناك فرقا شاسعا، وبونا واسعا بين العامية والفصحى، فاللغة التي نريدها تضاءلت في حقل ممارساتنا إلا ما صار نمطيا في مدارسنا ومساجدنا وإنْ تكلّم بها أحد في الشّارع فإنّه يثير انتباه كلّ من يسمعه، بل إن كثيرا من مستعمليها إنما يستعملها على سبيل التّهكّم والمزاح، وصار المتكلّم بالفصحى وكأنّه يتكلّم لغةً غريبة جديدة عن مجتمعنا العربي، حتى نحن الدّارسين للغة العربية والمنافحين عنها صرنا نجلدها بألسنتنا جلدا، بل لا نتكلّم بها إلا في مواطن الخلوة، أو مع أعز أصدقائنا، أو مع طلبتنا، متجنّبين التّحدّث بها أمام النّاس، إمّا بسبب الحياء والخجل، أو بسبب اتّهامها بعرقلة عملية التواصل. ويحتجّ الدّاعون إلى العامّية بعجز الفصحى عن التعبير بدقة وعمق عن خلجات النفوس، وتصوير اللمحات العاطفية، والأمثال الدارجة في كل قطر، وبأنّ الطفل العربي يعاني في دراسة الفصحى ما يعانيه في تعلّم أيّ لغةٍ سواها، فخيرٌ له أنْ يدرس لغةً أجنبية يتابع بها دروسه العالية من بعد في مواطن العلم، ويقتصد بها بذلك اقتصادا كبيرا في الزمن والجهد [13] إلى غير ذلك من المزاعم الواهية والأقوال الكثيرة التي دعت إلى اطّراح الفصحى، واعتماد العامّيّة.

ولقد نسي هؤلاء أو تناسوا أنّ تقوية العاميّة هو إضعافٌ للغة العربية الفصحى، ممّا يخلق منّا شعوبا تبدأ في إقليمها عربيّةً، ثمّ هي لا تزال شيئا فشيئا تبتعد عن عروبتها وعن لغتها لأنّ العامّية ليس لها قانون يحكمها، وتقبل أي لفظة أو أيّ لغةٍ تدخلها، لتلحق هذه الشّعوب العربيّة بتلك الشعوب البائدة التي أهملت نفسها وأهملت لغتها؛ فصارت إلى ما صارت إليه؛ أين البابليون والآشوريون والسومريون والفينيقيون والقحطانيون والسُّريان...؟ أتظنون أنّهم قد بادوا بأشخاصهم، وأنّ أصولهم قد اجتُثَّت من الحياة اجتثاثا؟ كلا .. إنّ بقاياهم ما زالت تعيش بيننا، ولكن مَن يعرفها؟ ومن يحترمها؟ ومن يقيم لها وزنا؟ وما قيمتها في الحضارة؟" [14] هكذا سيكون حالنا ومآلنا إن نحن أهملنا لغتنا. إنّ أغلب الدّاعين إلى استعمال العامّية هم مستشرقون، أو عرب متميّعون، ومن حججهم التي قدّموها [15]:

1. إنّ العربية الفصحى هي سبب تخلّف العرب عن الابتكار والاختراع.
2. إنّ العربيّة الفصحى أصعب وأعقد وأعسر من العامّية، وسبب سهولة العامّية هو تفلّتها من قيود النّحو والصّرف، واتّساعها في الاشتقاق والصّياغات المستجدّة وقبولها المفردات الأجنبيّة، على عكس الفصحى –على حدّ زعمهم- التي تعرقل التواصل بكثرة مرادفاتها وأضدادها، كما أنّ معظم فصيحها مهجور أو غريب أو ثقيل على اللسان، وبخاصة الإعراب؛
3. إنّ الفصحى أدّت إلى الانقسام والانفصام اللغويّ الذي يعيشه العربي اليوم، بين لغتين متمايزتين، عامّية يتكلّم بها في حياته اليومية، وفصحى يستعملها في الرسميات.
4. إنّ استخدام الفصحى إلى جانب العامّية من أسباب قلّة الإقبال على المطالعة، ولأنّ مكانة العامّية مرذولة؛ فإنّها تشجّع الاستعمال السيئ للغة كالشّتم والسّبّ.

5. إنّ المستخدم للفصحى يولي اهتمامه للشّكل والقاعدة اللغويّة على حساب المعنى والمضمون، وأمّا المستخدم للعامّية فإنّه يصرف كلّ اهتمامه للمعنى فقط.

6. إنّ من شأن إلغاء الفصحى، والاكتفاء بالعامّية، إشاعة للسّعادة بين النّاطقين بتلك اللهجات العامّية.

إنّ هذه الحجج وغيرها أقلّ ما يقال عنها إنّها واهية وخطيرة، وتحمل في طيّاتها الكره والمكر للغة العربية، وللإسلام عامّة، وسأردّ عليها بالآتي:

1. إنّ الغرض من هذه الدّعوة هو قطع العلاقة بين الشّعب العربي من جهة، وبين قرآنه ودينه وتراثه من جهة أخرى، فتبنّي العامّية سيجعل الفصحى بمرور الزّمن لغةً غريبةً عن النّاس، لا يعرفها إلاّ المتخصّصون، مثل اللاتينية وسيضطرّ المسلم العربي إلى قراءة قرآنه مترجما إلى العامّيات الكثيرة التي تنتج عن هجر الفصحى.

2. إنّ الدعوة إلى العامّية هي دعوة إلى فصل الدّول العربية عن بعضها؛ إذ ما يربط بينها وحدة اللسان بعد وحدة الدّين.

3. إنّ من الغالب أنْ يُنظر إلى وجود اللّهجات العربية على أنها وصمةٌ تنفرد بها العربية دون غيرها، والواقع أنّ وجود تنوّع لهجيّ ضمن اللّغة الواحدة يكاد يكون ملازما لها وبخاصّةٍ إذا اتّسعت الرّقعة الجغرافية لأصحاب اللغة الواحدة.

يقول **تراسك Trask**: "كلّ لغةٍ محكيّة عبر امتداد كبير من الأرض تتجلّى فيها التّنوّعات كالإسبانيّة والفرنسيّة والإيطاليّة والعربيّة والصّينيّة وما شابه ذلك، وحتى لغة **الباسك Basque** التي يتكلّم بها أناسٌ يقطنون إقليما طوله 100ميل وعرضه 30 ميلا، يتجلّى فيها قدْر هائل من التّنوّع قد يتجاوز كلّ ما نجده من تنوّع في اللّغة الإنجليزيّة". وقال **جورج يول George yule** إنّ

لكلّ لغةٍ أكثر من تنوّع، وخاصّة في الطّريقة التي يتمّ التّكلّم بها، ثمّ ذكر مثالا من اللّهجة الأسكتلنديّة لا يفهمه حتّى أبناء إنجلترا أنفسهم وهو:

Ye dinnae ken wit yer haverin' about.

ومقابلها بالإنجليزيّة الفصيحة:

You don't know what you are talking aboot

وترجمته: (أنت لا تعرف ما تتحدّث عنه). ويقول **كلوكسبيرغ ودانكس Gloksberg** and **Danks** ما نصّه: "في بلدٍ كبير مثل الولايات المتّحدة الأمريكيّة هناك **إنجليزية فصيحة** وهي لهجة مثاليّة لا تدلّ على إقليم المتكلّم ولا على طبقته؛ وهي **السّائدة بين المذيعين، ومقدّمي البرامج التّلفزيونيّة**" ويقول في الصّفحة نفسها عن اللّغة الألمانية ما خلاصته: "إنّك تفهم كلام النّاس ما دمت تسير من منطقة إلى منطقة مجاورة، ولكن إذا انتقلت إلى مسافة بعيدة ضمن الأرض الألمانيّة **فلن تستطيع الفهم**"[16]. وهذا يعني أن الفرنسيّة والألمانيّة والإسبانيّة والإنجليزيّة والإيطاليّة والبرتغاليّة...الخ، ليست هذه اللغات وجها واحد، أو –كما قيل- مثل قالب الجبن لا فرق بين أطرافه ووسطه، بل تتقاسمها اللّهجات وتجاورها العاميّات، فلماذا لا ننكر هذا التّعدّد في الإنجليزيّة، وننكره على العربية الجميلة العظيمة؟

وأمّا تهمة صعوبة الفصحى، وكون تلك الصّعوبة سببا في الدّعوة إلى اطّراحها وهجرانها، فحجّة واهية، تقعدُ بصاحبها، ولا تنهض به إلا إلى أسفل فالحضارة لم تبنَ إلا بالجهد والعرق، ولم تبن بمنطق الكسالى والمتهاونين فالرياضيات مصدر شكوى ملايين الطلاب في أرجاء العالم؛ لصعوبتها البالغة فهل يكون هذا مدعاةً لتركها، والاكتفاء بتوزيع الآلات الحاسبة على الطلاب، وإلغاء درس الرياضيات، فليست صعوبة العلم عيبا يعاب عليه. صحيح أنّ الدّرس النّحويّ صعب، ولكنّه ليس صعبا في العربيّة فحسب، وأرى أنه صعبٌ لأنّه يجب أن يكون كذلك، فالنّحو إلى حدٍّ ما هو رياضيات اللغة، وهو يمثّل الجانب المعياري لها وهي في الحقيقة الدّقّة التي تبدو في صورة صعوبة أو

تعقيد، يقول **ديفيد كرستيل David Crystal** في موسوعة **كيمبرج للغة الإنجليزيّة The Cambridge Encyclopedia of the English Language**:

"يعتقد الملايين أنّهم فاشلون في النّحو أو أنّهم نسوه أو ينكرون أيّ معرفة بالنّحو على الإطلاق" وقال قبل ذلك: "لقد أصبح النّحو في أذهان النّاس صعبا وبعيد المنال، منفصلا عن الحياة الواقعيّة، ولا تمارسه إلا طائفةٌ من الأشباح هم النّحاة" [17]. ولا أرى ضيرا من قبول العامّية على شرطين هما:

1. أنْ يُباعد بينها وبين الأدب شعرِه ونثرِه؛
2. أنْ نسعى حثيثا إلى تفصيحها، ولو في أدنى مستويات الفصاحة.

3/- المازيغية: إنّ الحديث عن المازيغية في الجزائر حديثٌ أخطبوطيّ متعدّد الأطراف، كلٌّ يدلي فيه برأيه المخالف تماما لرأي الآخر، وسبب هذه المشاحنة تلك الحرب البسوسيّة المفتعلة بين المازيغية والعربية؛ هذا الثّنائيّ الذي أعبّرُ عنه بقولي: **التّسامح يثبته التّاريخ، والصّرّاع أوجده العملاء**؛ ذلك أنّ الرّائي الممعن في تاريخ التلاقي المازيغي العربي في مجال التلاغي يرى أنّ المازيغية عايشت العربية قرونا من الزّمن، ولم يسجّل عليها التّاريخ منذ ما يقارب الخمسة عشر قرنا مواجهة أو مضايقة من اللغة العربية، بل كانتا متضامّتين، ولم يحدث بينهما تمييز اجتماعيّ قطّ، "فالتّمييز الاجتماعيّ أحدثته الفرنسيّة التي خلقت نوعا من النّخبة الوطنيّة المتعالية والتي أضحت تعتدي على الثوابت" [18] ولا ترعى لجزائريٍّ حرمةً؛ لا في لغته ولا في دينه ولا في هويته الحضارية، وزعم هؤلاء أنّ العربية لغةٌ عفا عليها الزّمن، وهي تنماز بالضّعف والوهن، لكن ما يثبته العقل والمنطق أنّ القصور لا يكمن في ذات اللغة، وإنّما في أصحابها فكم من لغةٍ بُعثت من الموات وهي الآن تنعم بالحياة، وكم من لغةٍ كانت منتشرة عالية صارت اليوم في الرُّفات.

إنّ الغوص في جزئيات مسألة المازيغية غوصٌ خطير، والباحث فيها عن حلّ كباحثٍ عن إبرةٍ في كومةِ قشّ؛ ذلك أنّ الجزئيات كثيرة وعميقة، بعضها

محلّ جدل عميق، وبعضها الآخر يدمي الأفئدة، والواقع المازيغي الجزائري مشحون بعد أن حصلت المازيغية على مكان في أوراق الدّستور الجزائري وغابت في الواقع عن الحضور الفعلي، وغابت في أجندة التوظيف. إنّ الحديث عن المازيغية عموما يحيلنا بشكل منطقي إلى التطرق لأهم أربعة فروع لغوية مُلحقة والمتمثلة في القبائلية والشاوية والميزابية وكذا الترقية. وحدها القبائلية استطاعت تأسيس مرجعية تاريخية ساهمت في إثرائها عديد الأسماء المختصة على غرار الراحل مولود معمري الذي يشير - ضمن إحدى الأطروحات اللغوية- بأنها لغة تشترك جذورها مع جذور اللغة المصرية القديمة واللغة الأمهرية في الحبشة. من جهتها ظلّت اللغة الشاوية - التي شهدت منذ بضع سنوات قليلة، محاولات وضع قاموس يخصها- حكرا على ضواحي جبال الأوراس متعلقة أكثر - على خلاف القبائلية- بالإرث الشفهي، تفتقد إلى تدوين ما تتضمنه من مكنونات أدبية أو فكرية تؤرخ للفئة الناطقة بتلك اللغة. إلى جانب ذلك نجد اللغة المحلية الميزابية منحصرة الوجود في ولاية غرداية، والتي تفتقد فعليا إلى أدب مكتوب، عدا بعض المحاولات المحتشمة، بغية الحفاظ على ذات اللغة، والتي نجدها في محاولات الثنائي الشعري عبد الوهاب حامو فخار وكذا صالح تيريشين. في الأخير نجد اللغة الترقية، بمنطقة الأهڤار أقصى جنوب البلاد، والتي تفتقد للدراسات اللسانية الكافية، حيث تظل متصلة فقط بالشق الموسيقى منها، والتي نجهل عنها الكثير، إلا أنها تظل تتشبث بخيط الاستمرار من خلال فرض الحضور في اللقاءات والمناسبات العائلية المختلفة [19] ومن هنا فإنّ هذا التشتت اللهجي يصعّب من مَهَمَّة التخطيط للمازيغية في الجزائر.

وأدخل في موضوع خطير مستعينا بالحكمة القائلة: العقول الكبيرة تناقش الأفكار والعقول المتوسطة تناقش الأحداث، والعقول الصغيرة تناقش الأشخاص، وأنا سأناقش الأفكار الخطيرة التي طرحت في ساحة الحديث عن

المازيغية، فقد تولّى جماعة من النّاس جعلوا من أنفسهم مازيغ أقحاحا، يدخلون من شاءوا من الجزائريين إلى رداء آل البيت المازيغي ويخرجون من شاءوا، وأقول لهم: إنّنا نحن الجزائريين كلّنا عربٌ وكلّنا مازيغيّون، من يملك الدّليل القاطع على طينيته المازيغية، ومن منّا يملك البيان الشّافي على عروبته، إنّ قرونا من الزّمن مرّت كانت كافيةً لردم كلّ الأسوار العرقية بيننا. إنّ هويّة الشّعوب - كما يقول الدّكتور صالح بلعيد- هي عبارةٌ عن تراكم من التجارب والمكتسبات والتّفاعلات مع أدوار التّاريخ ولقد احتضنت بلاد الشّمال الإفريقيّ القرآن العظيم ولغته، وجعلوها جزءا من هُوّيتهم وشخصيّتهم، وصار استعمال اللسان العربيّ من شعائر الإسلام في بلاد المغرب والأندلس وهذا بُعدٌ عميقٌ فهمه أجدادنا في إيمانهم بالوحدة الضّروريّة، فتخلّوا عن أنانيّتهم، وعن الفهم الضّيّق لحدود الهويّة الوطنيّة بمختلف أبعادها، وساهموا في ترقية اللغة العربية، وفي نشرها وتعليمها، وبرزت في السّاحة عدّة أسماءٍ لامعة، مازيغيّة الأصل، خدمت اللغة العربية إلى جانب خدمتها الإسلام، إذن فكلّنا سواء، الإسلام ربط بيننا ربطا لا يمكن لأحدٍ منّا أنْ يفصمه أبدًا مهما حاول، فمن هو العربيّ منّا ومن هو المازيغي؟ لقد كان عدد الفاتحين عشرة آلاف جندي، رجع منهم تسعة آلاف وبقي ألف، هل هذه الألف وحدها هي التي نشرت الإسلام في كامل شمال إفريقيا؟ وهل هذه الألف وحدها ولدت هذه الملايين من الجزائريين العرب؟ إنّهم مازيغيون تعرّبوا بمحض إرادتهم، فليس من حقّ من أراد أنْ يحافظ على لغته المازيغية أن يلوم من أراد أنْ يتخذ له لغة أخرى كالعربية، ولا يحقّ لهذا الاختيار أنْ يفسد للوُدِّ قضية، مع العلم أنّ هناك بعض البلدان التي فتحها المسلمون احتفظت بالإسلام وأرجعت اللغة العربية على عكس المغرب الإسلامي الذي احتفظ بالإسلام، ثمّ بعد ذلك قبل اللغة العربية واحتفظ بها عن طواعية واختيار، وهذا ما جعل بلاد المغرب - التي احتفظت بالدين واللغة- أكثر

التزاما وتمسّكا بالشعائر الدينية- لا تختلف عن المشرق العربي- من البلدان التي احتفظت بالدّين فقط.

إنّ المازيغيين هم من فتحوا أذرعهم مرحّبين بإخوانهم العرب الفاتحين، إذْ وجدوا فيهم كلّ ما لم يجدوا مع الغزاة السابقين، وإلا فبماذا نفسّر عدم ترجمة معاني القرآن العظيم إلى المازيغية، مع العلم أنه ترجم إلى أكثر من 600 لغة على الرّغم من بعض الرّوايات التي تقول إنّه ترجم إلى المازيغيّة، إلاّ أنّ هذه الرّواية لا تستند إلى دليل يثبت حقيقة المسألة، لقد ظلّ المازيغيون يقرؤون القرآن العظيم باللغة العربية دون أيّ حرج، ولم تبدأ عمليات الترجمة إلا في أوائل القرن الواحد والعشرين، إنّ المازيغيين كانوا يقدّسون اللغة العربيّة، بل ويعلونها على المازيغية، بَلْهَ الحديثُ عن تسابقهم في مناسبة العرب ومصاهرتهم، وحتّى تلفيق الأنساب والتّفاخر بالانتساب إلى العرب، ولقد كان المازيغيون يتكلمون بالمازيغية ويتكاتبون بالعربية وكان الخطّ المازيغي يعتمد الحرف العربي حتى الاستقلال، ثمّ جاء جماعة من الباحثين المُغَرَّر بهم ودعوا إلى الاستغناء عن الحرف العربي "ولم يسجّل لنا التّاريخ كذلك أنّه حدث صراع حول الامتياز الذي حظيت به العربية في الشّمال الإفريقي عامة، وفي الجزائر خاصّة ولذا يمكن قطع الطّريق أمام حَرَشَة الصّراعات ومثيري النّعرات، بالنّظر إلى المسألة اللغويّة في إطار الاحترام اللغويّ، وتوزيع مختلف الأدوار والوظائف بين اللغتين: العربية والمازيغيّة بالشّكل الذي يناسب كلاًّ منهما، والبعد كلّ البعد عن التّبعيّة اللغويّة الأجنبيّة" [20] وأقول من منطلق مازيغيّتي: نحن نتعامل مع اللغة العربية على أنّها رمز هويّتنا ومركز اجتماعنا وعامل وحدتنا، والمازيغيّة لغةٌ وطنيّة في مناطقها، وحاملة لثقافتنا، ورمز هويتنا كذلك، والفرنسية لغة أجنبية، نتعامل معها على أساس المنفعة، فنأخذ منها ما ينفعنا فقط. إنّ كتابة المازيغيّة بالحرف اللاتيني هو تكريس للتبعية والتعصب والتطرف، تعصّبٌ وتطرّفٌ في إقصاء العربيّة، وتبعيّة عمياء للمحتلّ الأجنبيّ، وإذْ أحاول انتشال المازيغيّة من براثن

الحرف اللاتيني فإنّي لا أزجُّ بها في إناء الحرف العربي، بل أقول إنّ رقيَّ اللغة مرهون برقيّ خطّها، وترسيمة حروفها وإنّما دعا بعض المنصفين إلى اعتماد الحرف العربي لأنّه يؤدّي إلى الوحدة الوطنيّة، ويرسّخ الهويّة المازيغية أكثر من الحرف اللاتيني؛ ولأنّه أيضا لا فرق بين الهوية العربية والمازيغية في الجزائر فالعربيّ الجزائريّ مازيغيٌّ بالضّرورة، والمازيغيّ الجزائريّ عربيٌّ بالضّرورة كذلك، ويتمّ اعتماد الحرف العربي في ظلّ عدم جاهزيّة حرف التيفيناغ ويكون اعتمادنا الحرف العربي مؤقّتا لا دائما، وهذا مرهون بمدى جدّيّة واجتهاد القائمين على شؤون التخطيط للغة المازيغية في إعداد خَطّهم، ولستُ أعني البطّالين الذين همّهم ترديد أقوالٍ تُلقى إليهم من وراء البحر، وكأنّهم أبواقٌ يُتَكَلَّمُ من خلالهم، فيعيدون الكلام ويوصلونه أكثر من صاحبه وأعلى من قائله.

إنّ اللغة العربية في الجزائر لغةٌ **موحِّدة لا أحادية،** فرسميّة اللغة العربية لا تعني إقصاء اللغات الوطنية؛ بل معناها أنّها لغة الدستور والإدارة والخطاب السياسي والأمور الرّسميّة، والدّارجة هي استعمال وظيفيّ تخفيفيّ لا بدّ منه وليست أبدا من عوامل التّخلّف ولم تكن كذلك قطّ، ولا يوجد مجتمع من المجتمعات إلا وفيه الدّوارج واللّهجات إلى جانب اللغة الأم، هذا إذا لم تخرج عن مجال الاستعمال الوظيفي المحدود كما بينّا ذلك قبل قليل، إنّما الذي يعيق اللغة الأم واللغة الوطنية في بلدنا هو غزو اللغة الأجنبية لمساحات وجودهما، كما أنّ اللغة العربية – كما قال الدّكتور صالح بلعيد- لا تريد **شرطة لغويّة** تمنع النّاس من توظيف اللّهجات ولا من توظيف المازيغية، وهذا ما يجعلنا نكذّب الدعاوى القائلة بأنّ العربية خطر على المازيغية أو العكس. إنّ هؤلاء الذين يناصبون للغة العربية العداء ممّن يُحسبون على المازيغية تكتنف دعوتهم أهداف مُبَيَّتة، وكأنّي بهم يريدون "محاسبة الأجداد على هذا الاختيار وكأنّهم لم يحسنوا الاختيار" [1 2] وهيهات لهم أنْ يزيلوا هذا الطّبع من الذّات التي انطبعت به

عبر قرونٍ أربعة عشر، وإنْ كان هؤلاء الذين يُحسبون على المازيغية يستنجدون بالفرنسية وبفرنسا، بزعمهم أن الفرنسية أنصفتهم والعربية أقصت المازيغية فأسألهم: لماذا فرنسا أبادت أهلكم في الماضي، ولم تشجّع استعمالكم للمازيغية؟ ولماذا منعتكم من التكلم بالمازيغية وفرضت عليكم الفرنسية فرضا قاهرا؟ واليوم بعد أنْ رأت فرنسا أنّ المازيغية تحالفت وتآخت مع العربية بعد الاستقلال حاولت -بمكرها المعهود فيها- فَصْمَ عُرَى هذا التآخي بحجّة المطلب الهُويّاتي، وسار وراءها شرذمةٌ من الباحثين، وكانت انطلاقتهم من فرنسا لا من الجزائر، وحسبنا ذلك دليلا يجعلنا نطعن هويتهم المازيغية الصّادقة.

إنّ المازيغيين حتى قبل دخول الإسلام كانوا لا يستعملون المازيغية إلا في مشافهاتهم واستعمالاتهم الوظيفيّة اليوميّة، وكانت عبارة عن مجموعة من اللهجات الإفريقيّة، وهذا ما كان يطبع الشّمال الإفريقي قبل الفتح الإسلاميّ أمّا اللّغة الرّسميّة فقد كانت لغةً أجنبيّة؛ إمّا نوميديّة أو فينيقيّة أو رومانيّة وبعد دخول الرّومان والوندال، وقع تهميش كبير للغة المازيغيّة ولم تُعطَ لها القيمة الوطنيّة إلا مع دخول العرب هذه البلاد، ومع ذلك قابل المازيغيّون العرب باحترام كبير؛ إذْ اعتمدوا اللغة العربية في خطاباتهم الرّسميّة وفي مكاتباتهم وأصبحت العربيّة لغة الإدارة بمحض إرادتهم، واقتصروا في لغتهم المازيغية على الاستعمال الوظيفي في معاملاتهم البينية، كما اعتمدوا الحرف العربي للغتهم كلّ هذا وغيره جعل وشائج التّلاحم وأواصر التّواصل تزيد متانةً، وتقوى صلابةً. إنّ الجزائر ليس فيها تعدّدية لغويّة، وإنّما هو تكاملٌ لغويّ، فالمجتمع الجزائريّ -كما يقول صالح بلعيد- له عينان: عين العربية وعين المازيغية، فدون العربية أعمى، ودون المازيغيّة أعور، وما يأتي خارج هاتين اللغتين هو خطر بل هو الرّمد إنّ العلاقة بين المازيغيّة والعربية في الجزائر لا تحتاج إلى برهنة فالتّسامح أثبته التّاريخ والصّراع أوجده العملاء، وأمّا علاقة الفرنسيّة بالعربيّة فكانت علاقة تعالٍ وإقصاء، وكانت علاقة الفرنسيّة بالمازيغيّة محاولةَ احتواءٍ، وتحريضا

وتلبيسا للحقائق، ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أنْ أخاطب الفرانكفوليين: قل يا أيّها المُفَرْنَسُون، لا نتكلّم ما تتكلمون، ولا تتكلمون ما نتكلّم، لكم لغتكم ولنا لغتنا "إنّ اللغة العربية في فكرها تقبل المراجعة ولا تقبل التراجع" المراجعة في طرائق تدريسها وتلقينها، لا التّراجع في مجالات وجودها أو في أولويتها، وبخاصة في هذا الوقت الذي "كثرت فيه الأمواس على رأس اللغة العربية" وفي ظلّ هذا الزّخم اللغويّ أو "التّسونامي اللغوي" الذي أدّى بشبابنا إلى التطلّع إلى لغات الآخر وهي الحال التي سماها صالح بلعيد "الحراقـة اللغوية".

4/- الفرنسية: ظلّت إشكالية الازدواجية اللغوية في الجزائر - وما تزال- نقطة الاختلاف الكبرى بين دعاة التعدد اللغوي والثقافي، ممّن يرون في اللغة الفرنسية غنيمة حرب لا يجب بحالٍ التفريط فيها، وبين المتشبثين بالحرف العربي ممن يصفهم الإعلام الجزائري بالعروبيين الذين يناضلون من أجل أن تأخذ اللغة العربية مكانتها الطبيعية في البيت والمدرسة والإدارة والإعلام. وشكلت مشاركة الجزائر في القمة التاسعة للفرانكفونية، والتي احتضنتها العاصمة اللبنانية بيروت استعدادها المستقبلي للانضمام لهذه الهيئة، مثلما كشف عنه وزير الخارجية آنذاك عبد العزيز بلخادم، شكّلت النقطةَ التي أعادت الجدل حول المسألة الفرانكفونية في الجزائر إلى نقطة الصفر بعدما هدأ النقاش حولها طيلة أحداث العَشْرِيّة الأخيرة، ليعود الانقسام من جديد يطبع الحديث الدائر حالياً في الأوساط السياسية والثقافية والإعلامية الجزائرية. وفي تصريح صحفي للدكتور أحمد بن نعمان قال إنّ سياسة الفرانكفونية التي طُبِّقت في الجزائر عمليا لم تؤدّ سوى إلى خدمة الأهداف الإستراتيجية لمخطط ديغول بعد رحيل أو ترحيل جنوده البيض، وفي الجزائر اليوم وإلى هذه اللحظة مجتمعان؛ مجتمع أصيل مكوّن من الأغلبية الساحقة من أفراد الشعب في كل أنحاء الوطن والأرياف خاصة، وهو شعب ذو وعي رفيع بالانتماء الحضاري الإسلامي، بما في ذلك الأقليات الريفية المتعاملة في حياتها اليومية باللهجات

البربرية. وهناك مجتمع آخر أو جديد كل الجدة في الجزائر، وبرز بعد الاستقلال فقط، وهو يمثل بحق الأقلية الفاعلة، وهذه الأقلية المحظية تتكون أساساً مما يمكن أن نطلق عليها اسم أغنياء الحرب من ورثة الإدارة الفرنسية في تسيير شؤون البلاد في ظل غياب الشهداء وتغييب المجاهدين، وقد تمكنت هذه الطبقة المجتمعية الحاكمة المسيطرة على كل الأجهزة الحساسة والحيوية في الدولة من التكتل الخفي لإجهاض كل المخططات والقرارات التي كانت تتخذ صوريا حول التعريب بالذات، المجمد قانونه منذ العام 1992. ولقد أصبح لهذا اللوبي المتنامي أدبُه المكتوب باللغة الفرنسية طبعاً، وله صحافته المكتوبة والمنطوقة، وله كل مقومات العيش والراحة في جزيرته الفرنسية داخل الجزائر العربية المسلمة، كما أن له نصيب الأسد في الأفلام الفرنسية المعروضة على الشاشة الوطنية وله أيضا إذاعة خاصة به وهي القناة الثالثة، والتي لا تختلف عن أي إذاعة فرنسية في الدعوة إلى نبذ العنف اللغوي ومحاربة التعريب، والدعوة إلى العض بالنواجذ على غنيمة الحرب (اللغة الفرنسية) لأنّ الجزائر دونها ستتأخر عن الركب الحضاري العالمي. إن فرنسا الاحتلالية المحترفة تعرف جيداً أنّ الذي ينافس لغتها في الجزائر المجاهدة هي اللغة العربية، وهي وحدها لغة الشعب والدين والتاريخ عبر القرون، وتعرِف أيضاً أن اللغة الفرنسية آيلة إلى الخروج من الجزائر بعد تحقق الانتصار عليها في معركة التعريب الحضاري الضارية حالياً كون بعض الذين انتصروا عليها في الأول ما يزالون في قلب معركة اليوم [2 2].
إنّ حضور الفرنسيّة في الواقع اللغويّ الجزائريّ أمرٌ لا يمكننا إنكارُه، وأصبح الفرانكفونيون يصولون ويجولون في السّاحة الجزائرية كيفما شاءوا، وقد كانوا في السّتّينات والسّبعينات يتذرّعون بعدم توفّر العربيّة على المصطلحات الكافيّة، وأمّا اليوم فقد أعلنوها جهرا أنّ العربية لا تصلح أن تكون لغة الحداثة والحضارة الرّاهنة، ولقد صدّقهم الكثير من شبابنا، كيف لا وهم

يروننا ندرّس الموادّ العلمية بالفرنسية، فنحن بذلك أضفينا عليها شرعيّة إمّا عن قصد أو عن غير قصد.

ولقد افتعلتْ بعض الدّوائر الأجنبيّة صراعا بين اللغة العربيّة وأخواتها من اللّغات الوطنيّة في الجزائر وخارجها، يقول الدّكتور محمد العربي ولد خليفة: "تعمل بعض التّيّارات على اصطناع الصّراع بين العربيّة والمازيغيّة أحيانا لأهداف سياسيّة... ونجحت في استقطاب بعض الباحثين الجزائريين، وقِطاع من الشّباب الأبرياء وآخرين من الاحتجاجيين، وإقناعهم بأنّ ترقية العربية وتعميم استعمالها خطر على المازيغيّة... لقد كانت الغفلة والاستقطاب صفقة مربحة للفرنسيّة المرشّحة لأنْ تكون اللغة الجامعة بين مجموعتين في وطن واحد لا يتفاهمان إلا بالفرنسيّة"[23] كما كان تدخل فرنسا في الجزائر بذريعة حماية الأقليات اللغوية، مدّعية أنّه لا يجوز فرض لغةٍ بالقوّة، متناسيةً ما فعلته حين سنّت قانون (حماية اللغة الفرنسية) سنة 1994م الذي صدر بمناسبة مرور مائتي عام على قانون حماية اللغة الفرنسيّة إبّان الثورة الفرنسية، إذْ ورد فيه: "يُعاقبُ كلُّ من يوقِّعُ وثيقة بغير اللغة الفرنسية بالفصل من وظيفته، وبالسّجن ستّة أشهر" وفي المقابل نرى الواقع يدمي القلوب والعيون، فقد أجازت الحكومات العربية تأسيس إذاعات وفضائيات بالإنجليزية في بلدان المشرق العربي، وبالفرنسية في بلدان المغرب العربي، وهذه الإذاعات والفضائيات ليست موجهة للأجانب في أنحاء العالم لعرض قضايانا أو الترويج لثقافتنا، وإنّما هي موجهة لأبنائنا؛ لتنقل إليهم برامج من أمريكا أو فرنسا مباشرة. وهذا الإجراءُ فتح المجال لإعادة احتلال المغرب من جديد، حيث إنّ هذه الإذاعات الخاصة تفتخر بإعلان تبعيّتها للغة والثقافة الفرنسيتين، انطلاقاً من لغة الحديث والحوار والاختيارات الغنائية، ومروراً بنقل عدد من البرامج مباشرة من إذاعات فرنسية، وانتهاء بتغطية الحياة الفنية والثقافية والإعلامية بفرنسا وكأنَّ المستمع المتابع يقطن بإحدى المدن أو القرى الفرنسية وليس بمدن المغرب العربي.

إنّ دول أوروبا الغربية التي تعرف معنى التخطيط، تنفق أموالاً طائلة على محاربة الهجرة السريّة إليها، ولا تسمح بزيادة عدد المهاجرين عن نسبة 10 ـ 15٪ من السكان وتصرّ على إدماجهم عن طريق تعلّمهم اللغة الوطنية واجتيازهم اختباراً بها قبل حصولهم على تأشيرة الهجرة، على الرغم من حاجة هذه الدول الماسة إلى اليد العاملة الرخيصة. كما لا نستثني أثر الفضائيات على سلوك العائلات التي تهجر العربية إلى الفرنسية، وكذا المليون مغترب جزائري الذين تقترن لديهم الحداثة بلغةٍ معيّنة غير العربية، كما أنّ الكثير من شبابنا المتعلّم والمتقن للغة العربية صار يميل إلى الطّبقة الأكثر تحضّرا وذات الحظوة الاجتماعية الأهم، وهي الطّبقة التي تتحدث باللغة الفرنسية، وأرى أيضا أنّ غالبيّة الشّباب الذي يتحدّث بالفرنسيّة هم في الأصل باحثون عن مكانة اقتصادية لا غير. وأقول في هذا المقام إنّ من بين الحقائق التي يجب اتخاذها بجدّيةٍ والإيمانُ بها هي:

1. إنّ اللغة الأجنبيّة لا يمكن أبدا أنْ تقودنا إلى الإبداع.
2. إنّ اللغة الأجنبيّة لا يمكن أبدا أنْ تنفعنا إلاّ إذا كانت مكانتُها بعد اللغة الرسميّة والوطنيّة.
3. إنّ من الواجب على أمّتنا تجاه اللغات الأجنبيّة أنْ تأخذها بمضمونها لا بغلافها.
4. إنّ اكتفاءنا بلغةٍ أجنبيّة واحدة لا يجعلنا بمأمنٍ من التّبعيّة، فعلينا الخروج من شرنقة اللغة الفرنسيّة التي هي في تصاغر وتراجع مستمرّ، والانفتاح على اللغات الأجنبية الأخرى كالإنجليزية.
5. إنّ معيار تقدّم أمّةٍ من الأمم يكمن في انعتاقها من التّبعيّة اللغوية العمياء، والعمل على الإفادة منها بحسب متطلبات العصر، وبقدر الضّرورة المعاصرة، مع العمل على توطين ما استفدناه ضمن متن اللغة الأم.

6. إن أكبر خطأ تقع فيه الجزائر هو تفضيلها للغة أجنبيّة على حساب لغة أجنبية أخرى هي أكثر عالميّة منها، وإلا فبما نفسّر فرض اللغة الفرنسيّة على أبنائنا في سنّ مبكّر على حساب اللغة الإنجليزية؟ ولِمَ لا يتركون حرية اختيار اللغة الأجنبية الأولى للتلميذ ووليه؟ إن هذا يعود في الأساس إلى الطبقة الفرانكفونية النّافذة في بلدنا.

ونتيجةً لما سبق، فإنّني أرى أنّ التخطيط اللغوي في الجزائر يجب أنْ ينطلق من نقاط رئيسة:

1. العمل على إيجاد خطة توفيقية تُرْضِي جميع الأطراف الفاعلة.
2. الوضوح في المنطلقات والغايات والأهداف.
3. الانطلاق من الثّوابت الوطنيّة، وعدم الخروج عنها أو عليها.
4. إعطاء مساحة منطقية ومدروسة للغات الأجنبية من أجل الانتفاع منها فقط، والابتعاد عن اللغة الأجنبية الواحدة، وذلك بالانفتاح على اللغات الأجنبية الأخرى الفاعلة في السّاحة.
5. إتباع التخطيط اللغوي بقرار سياسيّ حازم يسهر على العمليّة التنفيذيّة السّليمة.

لغة التدريس: إن من أهم المجالات التي على التخطيط اللغوي أن يمسها ويخطط لها هو مجال المدرسة؛ إذْ هي البيئة الأولى للطفل، وهي الأخطر من بين المؤسسات التي يتلقى فيها الفرد لغته، وهنا تطرح مسألة تعريب المدرسة الجزائرية، فقد كان الأمر من أولويات القيادة السياسية التي عملت على التعريب التدريجي، فكانت آخر عملية تمت في هذا المجال هي تعريب المدرسة الأساسية، إلا أن المدرسة الجزائرية ومنذ نشوئها 1976م، وعلى الرغم من التعريب الذي مسها كلياً تبقى المشكلة مشكلةً تربوية غير لغوية، حيث إنّ القسم صار يضمّ جيشا وجَحْفَلا من التلاميذ، وصار المعلم لا يتحكم فيهم بآليات علم النفس التربوي، وإنما صار همه العصا التي يخوف بها تلاميذه

كالسجان إزاء مسجونيه، وهكذا فإن المشكلة في المدرسة لها خصوصيتها حيث إن علاج المدرسة لا يحتاج إلى تخطيط لغوي فقط، بل إنني أرى ما تحتاجه المدرسة من تخطيط لغوي هو أقل من الخمسة في المائة، ذلك أنها تحتاج إلى معلّم له دراية بعلم النفس وعلم التربية، وحتى علم الاجتماع قبل أن يكون له علم بالمادة، ثم عليه أن يكتسب آليات التعليمية ليطوع المنهج الدراسي، وغيرها الكثير، ليأتي في الأخير تحكمه اللغوي في اللغة العربية. إنني أرى فيما أرى اليوم أن المدرس صار –وللأسف– (سيسيپيا) أكثر منه صاحب رسالة، بل صارت مهنة التعليم كمهنة التجارة أو غيرها، له وقت للدخول ووقت للخروج حتى أني سمعتُ عن معلمين في قوالب جاهزة وأنماط مكررة، فإذا دخل قسماً ألقى فيه درساً معينا، ويدخل قسماً آخر ليلقي الدرس نفسه فتحسب أنك في القسم الأول أو أنّك تشاهد فيلماً معاداً، والأدهى من ذلك لو رجعت إليه العام القادم في الدرس نفسه، لرأيت الفيلم يعاد للمرة الثالثة، وهذا الجمود أفسره بسببين: إمّا أنّ منهجية هذا المعلم في التعليم كاملة لا عيب فيها، فلا تحتاج إلى تغيير، وهذا رأيٌ فاسد من جهتين؛ أولاً الكمال للّه، وثانياً لنفترض أنّ المنهج صائب، فإنّه لا يصلح لجيلين مختلفين، فتلاميذ اليوم غير تلاميذ الأمسِ وتلاميذ الغد غير تلاميذ اليوم، بل إنّ الدرس الواحد في القسم الواحد يجب أن يُلقى بعدّة طرائق؛ حتى تستوعبه أذهان التلاميذ لأنّ التلاميذ ليس لديهم قدرة استيعاب واحدة، وإمّا –وهو السبب الثاني- أنّ المعلم جامد لم يتطور ولم يُحَسِّن منهجيته ولا معلوماته، فهل يعقل أن نَعْهَد إلى مثل هؤلاء تربيةَ فلذات أكبادنا بل أقول: فلذات كبد وطننا، الذي يعاني ندرة الأكفاء، وإنْ وَجَدَ بعضها يعاني من هجرتها، فللّه درّك يا جزائر.

وتتمثل مهمة المدرسة من حيث الغايات المنوطة بها في مجال تعليم اللغة العربية أن تجعل اللغة العربية في المقام الأول لدى الطفل، وأن تعمل على تصحيح لغة الطفل الملحونة والمنحرفة، ويُطلب من المعلم تطهيرُ العبارات التي اكتسبها

الأطفالُ وتصحيحُها، وعلى المعلم أن يكون على دراية بمعاني الكلمات الدارجة التي يأتي بها التلاميذ؛ حتى يزودهم بما يقابلها من الألفاظ في العربية الفصحى السّليمة. ويرى بعض الباحثين أنّ التعليم العربي عامة يعاني أزمة حادة حيث يشهد ظهور بعض المشكلات، ونموها، وتطورها في المجتمع العربي منها:

- انتشار الأمية بين السكان العرب، والأمية الحضارية؛ إذ أنه بالرغم من كل الجهود التي بذلت خلال العقود الماضية، فإنه لا يزال ما يزيد عن سبعين مليون أمي عربي نصفهم تقريباً من النساء وأغلبهم في الأرياف والقرى والبوادي، ويوجد ثمانية ملايين طفل خارج النظام المدرسي، وخارج أي شكل من أشكال التعليم؛

- عجز التعليم العربي عن إكساب الطلاب المهارات الحديثة والمعاصرة، فالغالب أنّ التعليم العربي نظري، ومنعزل عن الحياة المعاصرة، وما تتطلبه من قدرات ومهارات واستعدادات عقلية ومعرفية واجتماعية، فهو تعليم في أكثر برامجه يصب الطالب في قوالب أو قالب واحد دون تفاعل مع الحياة وتطورها.

- عجز التعليم العربي عن تجديد وبناء ثقافة عربية عصرية ديناميكية تجمع في بنياتها بين ما يعتز به العرب ثقافة وتراثاً، وبين ما يواجههم ويعيشون فيه من أنماط ورؤى ثقافية عالمية مادية وروحية ويسارية ويمينية وإنسانية فالطالب العربي أو الإنسان العربي يعيش أزمة عقلية وثقافية عميقة، فليس أمامه أي أنموذج ثقافي عربي حديث يقتدي به في مدرسته، أو بيئته، أو عمله أو حياته بصورة عامة.

- أزمة الاقتصاد والتنمية المنتجة، فالتعليم العربي عاجز عن أن يهيئ ويبني القاعدة العلمية والمهنية اللازمة للتنمية المنتجة، فالتعليم العربي لم يعمل أكثر من أن يشجع الطلاب والمتعاملين على تشرب القيم الاستهلاكية التي لا يستطيع الاقتصاد العربي تمويلَها بالعملة الصعبة، وجعلها جزءاً من منظومة

الحياة اليومية والتفكير [24]، وعلى ضوء هذه المشكلات تظهر مسؤولية علماء التخطيط التربوي ومهمّتهم من أجل تلافي هذه المشكلات.

لغة الإعلام: لمّا كان للإعلام تأثيره الكبير في مختلف طبقات المجتمع كانت لغته مؤثّرة أيضا:

1- في الصّحف والمجلات: إنّ إشارتنا إلى الصّحافة ضروريّة؛ لأنّ الصحف هي أكثر شيء يحظى بالقراءة من جميع المقروءات، ويجب أن يأتي الوقت الذي على الدول العربية، كغيرها من الدول الغربية، أنْ تهتمّ بلغة صِحافتها، فالصِّحافة العربية اليوم لا يهمّها إلا نقل الأخبار وصارت اللغة آخر شيء يهتمّ به، فالصّحفيّ العربي اليوم صار يخضع في مسابقات القبول لجميع الشّروط والاختبارات دون التّنبيه إلى سلامة اللغة، إلاّ من رحم ربّي وهم قليل والطّامّة الكبرى أنّه قد يُشار إلى لغة، وأيّ لغة؟ كنّا نقبل لو أنهم عنوا أدنى مستويات اللغة العربية الفصيحة، ولكنّهم قصدوا العامّية الهجينة. فهاهي فرنسا تسنّ قانوناً للحفاظ على نقاء اللغة الفرنسية، يعاقب فيه كل فرنسي يذيع كلمة غير فرنسية، وأما في الدول العربية فتُجلد العربية جلداً.

2- في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية: يقول بعض من يدافع عن وسائل الإعلام المنطوقة: إنّ النّطق والكلام فيه شيء من العفوية، فلا يجب أن نلوم الناطق أو نتبع أخطاءه وزلاته، أضف إلى ذلك أنّ الصّحفيّ يتوجّه بكلامه إلى عامة الشعب، ولما كان هدفه إيصال الرسالة فإنّ عليه أن ينزل إلى لغة العامّة حتى يحقق هدفه ويوصل رسالته، وهذا –لعمري- تبرير واهٍ وخطير في الوقت نفسه، يجعل من اللغة أداة للتواصل ليس إلا، وتخضع للتغيير الاعتباطي، وعدم الاهتمام بسلامتها، إذْ كان الاهتمام عند هؤلاء بالمعنى على حساب اللفظ إلا أنهم يخطئون إذا اعتقدوا أنّ سلامة اللّفظ تعيق الفهم السليم، فإذا كان المريض لا يستسيغ دواءً ما، فهل على الطبيب أن يغيّر له الدواء بحسَب هوى المريض؟ هذا لا يعني أنْ نخاطب الجمهور بلغة امرئ القيس أو النابغة، ولكن بمثل ما

ننزل إلى أدنى مستوى من الفصاحة كذلك نصعد أو نحاول أن نصعد بالجمهور إلى اللغة السليمة، ويجب أن لا نعوده هذه اللغة الهجينة الرديئة، فالجمهور أو الشعب إنما يتعلم لغته من الصحافة في أكثر الأحيان، وإذا وجد لغة الصحافة أرقى بقليل عما يفهمه ويستعمله من لغة، فإنه سيسعى جاهداً لأنْ يرتقى بلغته وبمستواه اللغوي إلى ذلك المستوى الذي هي عليه لغة الصِّحافة، ثم من قال إنّ الشعب الجزائري لا يفهم الفصحى السليمة الأولى؟ فالإنسان قد يفهم لغةً على الرّغم أنه في لا يستطيع استعمالها، أو لم يتعود ذلك، وهذا ما يجعلنا لا نقبل أيَّ عذر لصحافتنا أن تميل إلى العدول اللغوي الشّنيع، أو التسامح في الاستعمالات فإن أكبر وأخطر معول لهدم اللغة موجود بيد الصحافة، كما أنّ أكبر لبنة لبناء صرح اللغة العربية موجودة كذلك في يد الصحافة، منطوقة كانت أم مكتوبة.

تعميم استعمال العربية: إذا كانت للتخطيط اللغوي مجالات ومظاهر متنوعة، فمن بين المجالات الرئيسة للتخطيط اللغوي في العالم العربي تمكين اللغة العربية في محيطها، وفي مختلف مجالات الاتصال والتواصل، وخدمة جانبها الداخلي وتطويعه، نحو إنتاج أدوات فعالة تخدم اللغة، كوضع المعاجم والمصطلحات، وتعريب البرامج الحاسوبية... بهدف جعلِها لغة تعبيرية تامة، [25] وهذا ما تضمنه عموماً مضمون التّعريب في الوطن العربي. وقد تضمن التخطيط للتعريب في وطننا العربي مظهرين هما: تمكين اللغة العربية في محيطها، وتهيئة اللغة العربية وتطويرها من الداخل؛ وقد استهدف المظهر الأول تعميم استخدام اللغة العربية في كل مظاهر الحياة العلمية؛ لتصبح لغة التعليم والبحث العلمي ولغة تسيير مختلف المؤسسات الإدارية والاقتصادية، والمرافق الاجتماعية، قصد إرساء الهوية العربية في جميع نواحي الحياة العلمية. واستهدف المظهر الثاني إيجاد مقابلات عربية للتعبير عن مفاهيم مستجدة في مختلف الحقول المعرفية قصد تعميم اللغة العربية، واستعمالها في كل ميادين المعرفة البشرية. وأما

مكمن الإشكال في التعريب فهو أيّهما أولى: الاهتمام بالمظهر الخارجي وإحلال العربية مكانها بين اللغات لا تشاركها في مكانتها لغة أخرى حتى ولو امتازت بالقوة والنفوذ والانتشار والتاريخ الذي وضعته لنفسها، أو الاهتمام بإعادة النظر في وضع العربية في محيطها الداخلي؛ إذ أنّ مشكلة التعريب ليست قضية أكاديمية أو معجمية أو قاموسية على الرّغم من أهمية تعريب المصطلحات وإثراء العربية بالكلمات التي تعبر عن المفاهيم الحديثة ولكنها مشكلة وضع اللغة في المكان الذي يتطلبه مقامها، فالعناية والمجهود ينبغي أن ينصبا أولاً على تنمية اللغة داخلياً، وعلى تهيئ الأدوات التي تجعلها مؤهلة لأن تتمكن في وضعها المحيطي، بل إنّ عدم تنميتها داخلياً قد يساعد على اضطراب وضعها في المحيط، وتقهقرها عوض تمكنها [26]. وإذا ما ألقينا نظرة عامة على واقع العربية، فإننا نلاحظ أنّ دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، إلا أن الممارسات تدل على أن ثمّ هوة بين ما تنص عليه الدساتير، وبين ما هو مطبق على أرض الواقع، فلقد حدّدتْ مؤتمرات التعريب ونداوته التي عقدت في وطننا العربي في النصف الثاني من القرن الماضي أنّ سنة 2000 ستكون سنة التعليم باللغة العربية في جميع الجامعات والمعاهد العربية وهانحن أولاء في سنة 2011 ولا نزال نرى أن معظم الكليات العلمية في الجامعات الرسمية والخاصة تدرس باللغات الأجنبية، وانتقل ذلك إلى كليات العلوم الإنسانية، ولا نزال نسمع بعض الصيحات التي تنطلق في بعض المؤتمرات تسأل: هل العربية قادرة على استيعاب معطيات العصر؟ وهل يتمكن الطالب الذي يدرس بلغته الأم من مواكبة التفجر العلمي؟ [27] ومن هنا فإنّ إشكالية التعريب تحمل في مضمونها أبعاداً كثيرة؛ منها على سبيل الاختصار: التّلكؤ في إصدار القرار السياسي، وغياب التخطيط اللغوي، والتّأخر في وضع المصطلحات، وتشتّت الجهود وعدم التنسيق بين العاملين في هذا الميدان، وكذا عدم الجدية في متابعة التنفيذ، وأخيرا فاتورة الانتماء [28]. وإذا ما تحدثنا عما

أُنجز إلى غاية اليوم في قضية التعريب، فإنّ المقام يلزمني أن أنوه بالمجهودات المبذولة من قبل بعض الهيئات العاملة في هذا المجال ومنها:

- **مكتب تنسيق التعريب بالرباط**؛ وهو الذي أقرّ كمًّا كبيرا من المصطلحات العلمية، وعمل على التعريب في أصعب المجالات مثل: مجال الفيزياء والطب والهندسة والمحاسبة وغيرها.
- **المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق**؛ وهو الذي ناء بهذه المجالات الأربع من التعريب والترجمة ثم التأليف والنشر، وكلا المؤسستين تابعة إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو).

ضرورة التخطيط:

1/- على المدى القريب: ليكون التعريب نافعاً، والاستغناء عن اللغات الأجنبية غير ضار بمؤسساتنا التعليمية، وبخاصة في التعليم العالي يجب توفير الوسائل والمستلزمات التي يمكن تلخيصها في ثلاث نقاط:

2- "المدرس القادر على التدريس باللغة العربية.

3- المصطلح الموحد الموضوع وفقاً لطرائق وضع المصطلح ومنهاجه.

4- الكتاب العلمي والأدبي، المؤلف أو المترجم"[29].

هذا عن الوسائل، أما عن الخطوات التي يجب اتخاذها في عملية التخطيط:

1- تعريب المصطلحات العلمية والتكنولوجية، وسد الفراغ الموجود في كل القطاعات الحيوية التي تستعمل فيها المصطلحات الأجنبية بكثرة.

2- تعريب التعليم، وتعويد التلاميذ على التفكير والكتابة بلغتهم الوطنية الفصيحة.

3- توظيف اللغة لتحقيق أهداف المجتمع، وتسهيل عمليات التفاهم والمراسلات ومواكبة روح العصر.

4- إحداث مجلس وطني للتعريب.

5- إنشاء مراكز جامعية للبحوث، والتأليف في المواضيع التي يكون فيها نقص في المراجع العلمية والأبحاث الميدانية.

6- إصدار قوانين بعدم كتابة التقارير؛ والرسائل باللغات الأجنبية وإلزام كل مسؤول أن يكتب بلغته الوطنية، وبهذه الطريقة يمكن إقناع كل مسؤول بضرورة تحسين لغته الوطنية واستعمالها للمحافظة على منصبه وهيبته.

7- فتح المجالات أمام الإطارات التي تقوم بالتدريس، أو إجراء بحوثها باللغة الوطنية.

8- إعطاء الاعتبار للإطار الوطني الكفء الذي يعمل داخل وطنه.

10- ضرورة صدور قرار سياسي يقضي بجعل اللغة العربية لغة الوحدة الوطنية ولغة البناء الحضاري [30].

2/- على المدى المتوسط: يمس التخطيط على المدى المتوسط ما يلي من النقاط:

• المساعدة على تعريب التعليم العالي والجامعي بفروعه، وميادينه في الوطن العربي كافة.

• متابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة العلمية، والأدبية، والفنية في العالم والتعريف به، و اختيار الجيد الملائم منه وتعريبه.

• تنسيق مجهودات الترجمة والتأليف التي تتم في الوطن العربي، وتنشيط تبادل الخبرات والمطبوعات بين المؤسسات العربية العاملة في هذا الميدان.

• إجراء البحوث، والدراسات التربوية عن قضايا التعليم العالي، والتنسيق بين مؤسساته.

• إغناء الثقافة العربية بتعريب الرفيع من روائع الفكر العالمي في العلوم، والآداب والفنون ونقل ما لم ينقل إلى العربية.

• تدعيم التعاون بين الجامعات العربية لتعريب التعليم فيها.

• تنظيم مؤتمرات عربية، ودولية، وحلقات بحث، وَوُرَشُ عمل لمعالجة الأمور المتعلقة بتعريب التعليم العالي.

• الاستفادة من البحوث المقدمة في الوطن العربي وخارجه.

• إنشاء مصرف للمعلومات في مجال أهداف المركز، وغاياته وأعماله [31].

• إنّ من التّخطيط اللغويّ إدخال اللغة الوطنية إلى الجامعة، فلا أدري لماذا لا تعلّم اللغة العربيّة على أنها مادّة على الأقل في جميع كلّيات الجامعة ساعات معيّنة في الأسبوع، ويبرّر بعضنا عدم إدخال لغتنا إلى الجامعة بعدم إرهاق الطّالب بساعات زائدة على البرنامج الدّراسي، والوقائع تكذّب هذا الإدّعاء الذي يحاول التّشكيك في وطنيّة طلبة جامعتنا، وفي اشتياقهم إلى تعلّم لغتهم.

• رفع معامل مادّة اللغة العربية، ولنر أمثلة على ذلك في الدّول الغربية؛ إذْ أعلى المعاملات تعطى للغات الوطنية الرسمية في كلّ بلد، وكذلك أدعو إلى إعطاء الاعتبار لتخصص اللغة العربية وآدابها بجامعاتنا، ومعالجة هذا الإهمال الذي يصيب هذا القسم وطلبته، حتى صار محطّة للتهكّم، ولا يذهب إلى هذا التخصص إلا كلّ من لم يقبله تخصّص آخر، وأقولها صراحة: إنّ آخر وأقلّ وأدنى تخصص في جامعات وطننا هو تخصص اللغة العربية، وأنا أسمع يوميا الكثير يزدرون هذا التّخصّص.

3/- على المدى البعيد: إنّ التخطيط اللغوي بما فيه التعريب ورسم السياسة اللغوية للغة العربية أصبح علماً قائماً يهدف إلى وضع إطار نظري يهدف إلى ما يلي:

1- وصف الوضع اللغوي وغير اللغوي القائم في البلاد العربية، ومعرفة الوضع اللغوي الاجتماعي السائد لمعرفة العوامل المؤثرة؛ لتشخيص العوائق التي تقف في وجه اللغة العربية والتعريب.

2- تفسير الاتجاهات المتغايرة نحو العربية والتعريب، وتقديم الأسباب الواجبة أو المانعة لإنجاح تعميم العربية والتعريب.

3- استخلاص المبادئ العامة التي تكون بمثابة حقائق؛ وثوابت لعملية تخطيط العربية والتعريب، تصلح للتطبيق في العالم العربي أو البلاد الأخرى التي تسعى لتبني لغاتها القومية.

4- التّنبؤ بمستقبل العربية والتعريب، وتوقع الهنات والعثرات أو النجاحات لِنتائج تعميم العربية والتعريب.

5- التأسيس لعلم رسم السياسات اللغوية العربية يشتمل على التخطيط لمكانة التعريب واللغة العربية، وتحديدها وتطويرها، وبناء مصطلحاتها وتخطيط تعلمها واكتسابها [2 3].

6- إنّ من أهمّ عوامل التّخطيط اللغويّ إنشاء معاهد ومدارس عليا لتكوين الأساتذة والمعلّمين، ولا أقصد تعليم الأساتذة، وإنّما هذه المدارس تعمل على تكوين الأساتذة في المجالات المختلفة بعد توظيفهم في المؤسسات التربوية.

7- إنّ من التّخطيط اللغوي إصلاح لغة الصّحافة، وإعادة النّظر في كفاءة العمل في الصِّحافة بلفت النّظر إلى ضرورة توفّر شرط التّحكّم الجيّد والمقبول على الأقلّ في اللغة المعتمدة.

8- ضرورة معالجة ظاهرة هجرة الكفاءات، وبخاصّة الكفاءات التي تخدم لغتنا العربية وأرى أنّ تدنّي مستوى أطفالنا سببه المعلّم لا المتعلّم، ينضاف إلى ذلك الإهمال الذي نجده عند المسؤولين، والمناهج غير المدروسة التي تطبّق في مدارسنا.

9- إزالة المعوّقات التي تعترض سيادة اللغة العربية في الوطن العربي ومنها:

- ✓ عدم اعتزاز الأنظمة العربية باللغة القومية في بلدانهم.
- ✓ منافسة العامّية للفصحى في مجالات تتجاوز وظيفتها.

9/- القرار السياسي: نرى أنّ التّخطيط في الغالب من مشمولات السّياسة الحكوميّة التي تنتهجها الدّولة، وغالبا ما تعدّ جزءا لا يتجزّأ من سياسة البلاد التربويّة والثّقافيّة، فالدّولة مجبرة على اتّخاذ بعض الإجراءات من أجل تحسين الاستعمالات اللغوية، أو تغييرها تغييرا جذريّا، والسّلطة هنا لها دورٌ كبير من أجل فرضها، وجعلها ذات مصداقيّة في أعين الرّأي العام. إنّ السّلطة هي بمثابة عامل جوهري في التّخطيط اللّغوي لتدعيم المنظّمات والمؤسّسات والأشخاص، ممّا يشكّل عاملا مساعدا في الإصلاح اللغويّ، إنّ السّلطة ذات أهمّيّة في المسائل كما هو الشّأن في المجالات الأخرى من الحياة الاجتماعية [33].

وإنّ من بين أهمّ المقوّمات الرّئيسة لتخطيط السياسة اللغوية ما يلي:

1. تعميم استعمال اللغة القومية في أرجاء الوطن، وفي مختلف مجالات التّواصل؛ لتكون أساسا لوحدة الأمّة فكريا وسياسيا.

2. نشر اللغة القوميّة في العالم؛ لتشكّل رافدا تسهم بواسطته الثّقافة القوميّة في مجرى الحضارة العالميّة.

3. تعليم اللغات الأجنبية في مدارس الأمة ومعاهدها؛ لتزوّدها بأدوات تعارف وتعاون مع الأمم الأخرى.

4. تنظيم التّرجمة من اللغة القومية وإليها؛ لتمتين التّبادل المعرفي بين الشّعوب.

5. تحديد العلاقة بين اللغة القومية وغيرها من اللغات الوطنيّة والمحلّيّة لضمان وحدة الأمّة الفكريّة والسّياسيّة، وتحقيق المحافظة على تراثها الشّعبي وتنميته.

6. توحيد المصطلحات التقنيّة، سواء المصطلحات العلميّة التّكنولوجيّة منها، أم الحضاريّة والاجتماعيّة [34].

وتعدّ هذه المقوّمات من الأهمّيّة بمكان، لا تستغني عنها الدّول الجادّة في تخطيط سياستها اللغوية، وعلى صاحب القرار اتخاذ الإجراءات الاستعجالية التالية [35]:

1 ـ استخدام العربية الفصيحة في التعليم بجميع مراحله ومختلف مستوياته وتخصّصاته خاصّة في مواد العلوم والتكنولوجيا في التعليم العالي.

2 ـ اتّخاذ قرار ملزم بتعريب وسائل الإعلام، فلا تستطيع الإذاعات والفضائيات والصحف أنْ تستعمل لغة غير العربية الفصيحة.

3 ـ تنظيم علاقة اللغة العربية مع اللغات الأجنبية، وتحديد أدوار كل منها في الأقطار العربية بما يجنّب الثنائية المفقرة للغة العربية، ويحل لغتنا محلها الطبيعي في كل المجالات.

4 ـ فرض اللغة العربية لغةً للتعليم في المدارس والجامعات الخاصة في البلاد العربية، إلا إذا كانت هذه المدارس والجامعات لأبناء الجاليات الأجنبية في بلادنا، وفي هذه الحالة ينبغي أن تدرس هذه المدارس اللغة العربية لغة ثانية.

5 ـ تطوير طرائق وأساليب تدريس اللغة العربية في التعليم العام، وتنمية قدرات التلاميذ على استخدام اللغة أداةً طيعةً للتعبير الوظيفي والإبداعي، تحدُّثاً وكتابةً.

6 ـ العناية باللسانيات الحاسوبية بحثاً وتطبيقاً وتدريساً بما يساعد على استخدام اللغة العربية لدخول مجتمع المعرفة وتحقيق التنمية البشرية، مع العلم أن تحقيق التنمية البشرية يتطلب الالتزام بالديمقراطية منهجاً وسلوكاً، وتعميم تعليم إلزامي جيّد على نفقة الدولة، والأخذ بآخر معطيات العلم والتكنولوجيا في الإنتاج والخدمات.

7 ـ الاهتمام بالقضايا النظرية والمنهجية في وضع المصطلحات، وتأليف المعاجم المختصة والعامة.

8 ـ العناية بالترجمة العلمية والتكنولوجية تماشياً مع تدريس العلوم والتكنولوجياً باللغة العربية.

9 ـ التشجيع على إنشاء جمعيات أهلية للعناية باللغة العربية، وتحبيبها إلى المواطنين والناشئة.

10 ـ توجيه العناية إلى نشر اللغة العربية للناطقين بغيرها من اللغات في داخل الوطن العربي وخارجه.

الخاتمة: لقد أثبتت التجارب أنّ الإصلاح الذي لا يعتمد خططا واضحةً غالبا ما يكون مآله الفشل، لذلك حاولت في هذا المقال عرض واقع التّخطيط اللغوي في ظل الواقع اللغوي الذي تشهده بلادنا؛ ليكون أصحاب القرار على بيّنة من هذا الواقع الذي تعيشه اللغة العربية، حتى يسهل التخطيط لها. إنّ اللغة العربية تواجهها عدّة تحدّيات، فعلى التّخطيط اللغويّ أن يكون موجّها لإزالة هذه العوائق والتّحدّيات، ولكي يؤتي التخطيط أكله وتُجنى ثماره، عليه أن يُرفق أو يُدعّم بسياسة لغويّة من قبل الدّولة ومن الحكومة الوطنيّة، تعمل على تنفيذ هذا التّخطيط ودعم توصياته.

يجب أن نفكر في مستقبل لغتنا، وبخاصة المصطلح العلميّ العربي، الذي نظنّ أنه سيكون أحد الميادين المهمّة التي يتحدّد فيها مصير لغتنا في صراعها الحضاري مع اللغات القوية الوافدة، تلك اللغات ستغرقنا بأعداد هائلة من المصطلحات الدخيلة المتعلّقة بألفاظ الحياة العامّة، أو مصطلحات العلوم والتّقانة، ولا بدّ لنا أنْ نستقبل الدّخيل، ونضمّه إلى معجمنا اللغويّ. يجب أن نقول إنّ كلّ معنى يجول في الذّهن لا بدّ أن يكون له لفظ مقابل في اللغة العربية، ولو كان كامنا في أغوار معاجمها، فكيف وسعت هذه اللغة العظيمة، كلّ معاني الله تعالى التي بثّها إلينا، ولا يمكنها أنْ تسع أسماء المخترعات، وما جدّ في عالمنا اليوم. ومن هنا أقول إنّ اللغة العربية واسعة جامعة صالحة؛ واسعة من حيث الإحاطة بكلّ الدّلالات التي تجول في أذهاننا، وجامعة

من حيث إمكانيّتها اختراع أيّ مصطلح لأيّ جديد من المستجدّات، وصالحة في كلّ زمان ومكان، وما تاريخها التّليد العتيد إلا دليل قاطع على ذلك. إذن نحن أمام حتميّة وجود مقابل فصيح لكلّ مصطلح أجنبيّ، إما فصيح نجده بين صحائف أمات المعاجم الغابرة التّليدة وإمّا مستفصح مستعرب تصادق عليه مجامعنا وترضاه طبعيّة لغتنا ويسهل على ألسنتنا.

الهوامش:

---

1 – ابن منظور، لسان العرب، ط3. 1419هـ، دار إحياء التراث العربي، ج 04، مادة خطط.

2 – خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، تر: محمد يحياتن، ط03. الجزائر: 2007، دار الحكمة، ص 190.

3 – صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة العربية. الجزائر:2000، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة شركة دار الهدى، ص 276.

4 – فواز عبد الحق الزبون "دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية" الموسم الثقافي السابع والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، مؤتمر "اللغة العربية في المؤسسات الأردنية واقعها وسبل النهوض بها ط01. الأردن:2009، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص85.

5 – المرجع نفسه، ص 87.

6 – المرجع نفسه، ص 87، 88.

7 – محمد منير مرسي، الإدارة التعليمية وتطبيقاتها، دط. القاهرة: 1984م، عالم الكتب، ص 253، 254 255.

8 – صادق محمد نعيمي، التاريخ الفكري لأزمة اللغة العربية، المغرب: 2006، ص11.

9 – http://amir-fennour.over-blog.com/article-74357050.html

10 – أحمد سمير بيبرس، الواقع اللغوي والهويّة العربية، دط. القاهرة: دت، دار الفكر العربي، ص 18.

11 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

♥– الصواب: (الزموا الصّمت، الاستقبال، الجلوس/الدّخول/التّدخين ممنوع، خاصّ بالإداريين، مخرج النجاة، سوق تجاري، مدخل/مخرج).

12 – أحمد سمير بيبرس، الواقع اللغوي والهويّة العربيّة، ص 22.

13 – عبد العزيز بنعبد الله، التعريب ومستقبل اللغة العربية، ط01. القاهرة: 1975، معهد البحوث والدراسات العربية، ص 28.

14 – المرجع نفسه، ص 28.

15 – ينظر: طالب عبد الرحمن "العربية تواجه التّحدّيات" سلسلة كتاب الأمة، قطر: 2006 وزارة الأوقاف والشؤون الدّينية بقطر، العدد 116، الفصل الثاني.

16 – المرجع نفسه، ص 76، 77.

17 – المرجع نفسه، ص 81.

18 – صالح بلعيد، في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى. الجزائر: 2008، دار هومة، ص13.

19 – تـمّ نشر هذا الموضوع على صفحات جريدة الخبر الجزائرية بتاريخ 14 ماي 2009
http://www.algeriachannel.net/?p=82

20 – صالح بلعيد، في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، ص 14، 15.

21 – المرجع نفسه، ص 45.

22–http://www.alriyadh.com/Contents/31-10-2002/Mainpage/Thkafa_2467.php

23 – محمد العربي ولد خليفة، العربية: الرّاهن والمأمول، ص 17–52.

24 – ينظر علي الهادي الحوات، التعليم والمعرفة والتّنميّة؛ دراسات في المجتمع العربي، ط 01. 2007: ليبيا دار الكتب العلمية، بنغازي ، ص 29 ـــ 35.

25 – آمنة إبراهيمي، وضع اللغة العربية بالمغرب؛ وصف ورصد وتخطيط، ط01. الرباط: 2007 منشورات زاوية، ص 62.

26 – آمنة إبراهيمي، وضع اللغة العربية بالمغرب، ص 64، 65، 66.

27 – محمود أحمد السيد، اللغة العربية وتحديات العصر، ط01. دمشق: 2008، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ص 103.

28 – ينظر محمود أحمد السّيّد، اللغة العربية وتحدّيات العصر، الفصل الرابع.

29 – شحادة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتّعريب، ط01. دمشق: 2007، دار الطّليعة الجديدة، الجزء الثالث، ص 108.

30– عمار بوحوش "لغتنا العربية جزء من هويتنا" سلسلة كتب المستقبل العربي، ط01. بيروت: 2005 مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 46، ص 21، 22 .

31 – صالح بلعيد، لماذا نجح القرار السياسي في الفتنام وفشل في ...؟ ص 65، 66 (بتصرف).

32 – ينظر: فواز عبد الحق الزبون "دور التّخطيط اللغويّ في خدمة اللغة العربية والنّهوض بها" ص 95 وما بعدها.

33 – خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللّغويّة، ص 190، 191.

34– علي القاسمي "تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي ومكانة المصطلح الموحّد" دورية اللسان العربي، الرباط، العدد 23، ص 47، 48.

35 – http://www.hadhramy.net